

مجلة

ISSN: 2454 - 7824

# الصباح للبحوث

المجلد-٢، يناير ٢٠١٧  
مجلة بحثية محكمة سنوية



قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها

كلية فاروق (حكم ذاتي)

كاليكوت، كايلا، الهند ٦٧٣٦٣٢

(كلية ذات كفاءة للإمتياز معترفة لدى المجلس الأعلى للجامعات، نيودلهي)

٢٠١٧

## هيئة التحرير

### هيئة الاستشارة

- د/ محمد بشير. كي، شيخ الجامعة، جامعة كاليكوت، كيرالا
- الأستاذ اي. بي. إمبيجي كوبا، عميد كلية فاروق، كيرالا
- د/ عبد المجيد. تي. أى، وكيل الجامعة، جامعة كاليكوت، كيرالا
- د/ س. بي أبوبيكرا، أستاذ مشارك والرئيس سابقا، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرالا
- د/ بشير أحمد جمالي، الأستاذ، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جوهر لال نهرو، نيودلي
- د/ حبيب الله خان، الأستاذ، قسم العربية، الجامعة المليلية الإسلامية، نيودلي
- د/ ثناء الله الندوى، الأستاذ، قسم العربية، جامعة عليكة الإسلامية، عليكرة
- د/ أن. أى. محمد عبد القادر، الأستاذ الفخرى، جامعة كاليكوت، كيرالا
- د/ أى. بي. محي الدين كوتى، رئيس قسم العربية، جامعة كاليكوت، كيرالا

### رئيس التحرير

- د/ علي نوفل. كي  
رئيس القسم ، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرالا
- المحرر

- د/ عباس كي. بي، أستاذ مساعد، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرالا
- الأعضاء

- د/ يونس سليم، أستاذ مساعد، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها
- د/ ساجد .إي. كي، أستاذ مساعد، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها
- د/ عبد المجيد. تي، أستاذ مساعد، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها
- د/ محمد عابد. يو. بي، أستاذ مساعد، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها
- د/ عبد الجليل، أم، أستاذ مساعد، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها
- السيد صغير علي تي. بي، أستاذ مساعد، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها

### هيئة المراجعة والتحكيم

- د/ أن. عبد الجبار، أستاذ مشارك والرئيس سابقا، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرالا
- د/ بي. أحمد سعيد، أستاذ مشارك متلاعنة، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرالا
- د/ جمال الدين الفاروقى. كي، عميد كلية دارالأيتام، موقل، ويناد، كيرالا
- د/ يو. سيد علوى، عميد كلية مليبار للدراسات العليا بونغفارا، ملابرم، كيرالا
- د/ س. بي. سيد علوى، عميد كلية يونيتي للبنات، مانجيري، كيرالا

\*\*\*\*\*

### قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرلا في سطور

○ تأسيس: ١٩٤٩ م

○ البكالوريوس في اللغة الشرقية (BOL): ١٩٤٩ م

○ البكالوريوس في اللغة العربية: ١٩٥٩ م

○ البكالوريوس في اللغة العربية والتاريخ الإسلامي: ١٩٦٦ م

○ الماجستير في اللغة العربية: ١٩٦٧ م

○ البحوث في اللغة العربية وأدابها: ٢٠٠٠ م

#### الرؤساء السابقون

- د/ سي. بي. أبو بكر (٢٠١٢ - ٢٠١٥)

- د/ أن. عبد الجبار (٢٠١١ - ٢٠١٢)

- الأستاذ ك. تي. حمزة (٢٠١٠ - ٢٠١١) تاريخ الالتحاق بالكلية سنة ١٩٨١ م

- د/ دي. بي. عبد الرشيد (١٩٩٥ - ١٩٩٣) (٢٠٠٣ - ٢٠١٠)

- الأستاذ وي. بي. عبد الحميد (١٩٩٥ - ١٩٩٣)

- الأستاذ أم. محمد (١٩٨٧ - ١٩٩٣)

- الأستاذ كنج محي الدين كوتى (١٩٨٣ - ١٩٨٧)

- الأستاذ علي كندي

- الأستاذ وي. محمد

#### أعضاء هيئة التدريس السابقون

- د/ بي. أحمد سعيد

- الأستاذ وي. سوبي

- الأستاذ ك. بي. كنج محمد

- الأستاذة طاهرة بي وي

- د/ أحمد ابراهيم رحمة الله

- د/ ك. وي. ويران محي الدين

- د/ ك. أم. محمد

- د/ اسماعيل ليبي

- الأستاذ أ. عبد الحميد
- الأستاذ ب. ب. عبد الحميد
- الأستاذ علي كنجي
- الأستاذ وي. محمد
- الأستاذ أم. أ. فريد
- الأستاذ ب. أم. سليم
- الأستاذ إ. س. أبو بكر
- الأستاذ أو. ك. حسن
- الأستاذ أم. أبو بكر
- الاستاذ ك. عثمان
- الأستاذ ك. ب. أبو بكر
- د/أ. أ. محمد عبد القادر
- د/أ. ب. محي الدين كوتى
- د/يو. سيد علوى

#### **هيئة التدريس الحالية**

- د/علي نوفل. ك، أستاذ مساعد ورئيس القسم
- د/يونس سليم. س، أستاذ مساعد
- د/ساجد إ. ك، أستاذ مساعد
- د/عبد المجيد. تي، أستاذ مساعد
- د/محمد عايد. يو. بي، أستاذ مساعد
- د/عبد الجليل. أم، أستاذ مساعد
- السيد صغير علي تي. بي، أستاذ مساعد
- د/عباس ك. بي، أستاذ مساعد

\*\*\*\*\*

## الأبعاد الجديدة في مجرى الأدب العربي الهندي

بسم الله الرحمن الرحيم

"الناس للناس من بدو وحاضرة"

بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم"

الأدب العربي الهندي قد اتخد طريقة جديدة في العصر الراهن بالتعاون مع البلدان الخليجية خاصة بالإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية. لأن الأدباء والأمراء من هذه البلدان بدأوا يهتمون بالنشاطات الأدبية في لغة الضاد في البلدان الأخرى مثل الهند. ويتمثل هذا التعاون في عقد الندوات والورشات وتأسيس المكتبات العربية في الكليات والجامعات.

حضور الأدباء والكتاب من ناطقي لغة الضاد قد نفع في الأدب العربي الهندي روحًا جديدا حتى يصغي الجيل الناشئ إلى أفواه شعراء العربية وكتابها مباشرا. وقد ساهمت المؤسسات الأدبية واللغوية بالهند والإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية مساهمة قيمة في تنسيق البرامج المختلفة في هذا المجال خلال السنوات الماضية.

ومن المؤسسات البارزة التي تبذل جهودها في هذا المضمار مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية بالرياض، المملكة العربية السعودية، ودار الياسمين للنشر والتوزيع بالإمارات لصاحبها دكتورة مريم الشناصي. وقد أقيمت الورشات اللغوية في هذا العام تحت رعاية هذا المركز في جامعة كاليفورنيا ببكرا، وفي الجامعة المليلية الإسلامية، نيودلهي للأساتذة والباحثين. ومهرجان الثقافة العربية وتراث الإمارات والترجمة الذي تم عقده برعاية الدكتوراه مريم الشناصي بجامعة كاليفورنيا وكان يتميز بطابعه العلمي وتنوعه الأكاديمي.

المليباريون الذين يعملون في الخليج العربي يساندون هذه النشاطات الأدبية حيث كتبوا في لغة مالا يالم حول تجاربهم العربية كما قاموا بترجمة المؤلفات العربية إلى لغتهم الأم. فتعاون العرب والمعجم فنشرت ترجمات للمؤلفات العربية في لغة مالا يالم كما نشرت ترجمات عربية للمؤلفات المليبارية خلال السنوات الماضية. ومن المؤلفات المترجمة إلى لغة مالا يالم :

- ١) سرد الذات لمعالي الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، أمير الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، قام بترجمته السيد عبدو شيووا بورام
- ٢) مذكرات فارسة عربية للكاتبة الإماراتية دكتورة مريم الشناصي قام بترجمته عبدو شيووا بورام
- ٣) المرأة والنخبة الذكورية للكاتبة المغربية فاطمة المرنيسي قام بترجمته الكاتب الليبي ك. م. وينو غوبال
- ٤) دعاء الكروان للدكتور طه حسين قام بترجمته الأستاذ محمد كوتاشيري
- ٥) ومن المؤلفات المترجمة إلى العربية من لغة مالايلم :
- ٦) أيام الماعز للكاتب بينيمين، ترجمه سهيل عبد الحكيم الوافي
- ٧) مثل ترينيمة للكاتب الشهير الليبي برومبا داوان شريداران قام بنقله الكاتب المصري محمد عيد ابراهيم
- ٨) ترجمة لمجموعة الأشعار للشاعر الليبي ساجيداناندان قام بترجمته الشاعر العربي الاماراتي السيد شهاب غانم
- ٩) "بين القصرين" للروائي العربي نجيب محفوظ قامت بترجمته الكاتبة الليبية ب. م. زهرة
- ١٠) رواية "شامين" (روبیان) للكاتب الشهير تاكازی قام بترجمته الكاتب الشهير الدكتور محمي الدين آلواني

تعقد دولة قطر مناظرة في كل سنة حول القضايا المختلفة في اللغة العربية للطلاب في مستوى البكالوريوس وحضرها الطلاب من جامعة كاليفورنيا وجامعة جواهarlal نهرولا بندي في العام الماضي وحازوا بجوائز. فهذه المبادرات خير دليل على الأبعاد الجديدة في المجال الأدبي العربي الهندي التي سوف تستفيد منها الهند عامة وولاية كيرلا خاصة في السنوات القادمة.

كما أن هذه المبادرات تُذكّرنا بواجبنا في هذا المجال، وذلك الاستعداد الدائم لمواكبتها وتشجيع الطلبة والباحثين على التسلح بآدابها وعلومها وجودة في التعبير فيها، وتجنيد طاقاتنا لرفع مستوى العربية في الإطار الأكاديمي والتفاعل الإيجابي مع كل المستجدات التي تحدث في محيطنا ، حتى تصير العربية تخطي خطوات موفقة سديدة إلى الأمام، لكي يبقى أثرها فاعلا ملمسا في قادم الأيام.

\*\*\*\*\*

## المحتويات

### محور العدد: الأدب الفلسطيني

- التجارب النسوية والنضال الفلسطيني في شعر فدوى طوقان

٢٢-٩ د/ محمد عبد القادر. ن.أ

- أثر الانتفاضة الأولى في أدب المقاومة الفلسطينية؛ رواية 'الجانب الآخر لأرض المعاد'

٣١ - ٣٢ السيد د. نسام. س.ي.

'للدكتور أحمد حرب نموذجاً'

- صورة المرأة الفلسطينية في رواية 'ربيع حار' لسحر خليفة

٣٧-٣٢ السيد عمير خان. م

- القضية الفلسطينية في الشعر العربي الحديث والمعاصر

٤٨ - ٣٨ د/ ن عبد الجبار.

- المقاومة من أجل البيت المقدس من شعر المقاومة الفلسطينية

٥٧ - ٤٩ د/ إيه. ك. مساجد.

### دراسات وأبحاث

- الهند كما تتعكس في الشعر العربي المعاصر

٦٥ - ٥٨ د/ جمال الدين الفاروقى

- المشروع الفلسفى لابن رشد

٧٧ - ٦٦ د/ ن. شمناد

- إدوارد سعيد ودوره التأسيسي لنقد ما بعد الكولonialية

٨٢ - ٧٨ د/ عبد الجليل. م

- العادات الهندوسية في كيرالا القديمة

٨٧ - ٨٣ د/ محمد عابد . يو.بي

- فن الرواية العربية وأعلامها المعاصرة في سوريا

٩٣ - ٨٨ السيد خالد. س.

- نمو الإنسان في ضوء القرآن الكريم

١٠١ - ٩٤ د/ يونس سليم

- أدب الرحلة : نظرة عابرة إلى حضوره الفعال في الأدب العربي الحديث السيد

١١٠ - ١٠٢ حمزة على أبي

- التدريس الفعال وأساليبه
- السيد/ اسحق.ك ١١٦ - ١١١
- السياسة والدين والجنس في ثلاثة أحالم مستغاني
- السيد/ صديق.بي ١٢٣ - ١١٧
- الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوبي
- السيد / عبد الناصر.تي ١٢٩ - ١٢٤
- الخط العربي الكوفي: تطوره وأنواعه
- السيد/ فرحان أنصاري ١٤٠ - ١٣٠
- الصحافة في العصر الحديث - نظرة على الصحافة الإلكترونية
- د/ نجم الدين ١٤٦ - ١٤١
- حركة أبواب الوحدة في التنوع
- د/ منصور أمين.ك ١٥٢ - ١٤٧
- الملامة الفنية في شعر أبي الفضل بافو المليار الترورنفادي
- د / عبد اللطيف الفيضي ١٥٩ - ١٥٣
- تداخل الأجناس الأدبية.
- السيدة سبينة . كي. ١٦٦ - ١٦٠
- لمحات خاطفة ومكثفة في رواية "ثلاثة وجوه لبغداد"
- السيد/ محسن م.و ١٧١ - ١٦٧
- عبد الكريم معوق المزروقي: نظرة طائرة
- د/ مظفر عالم. ١٨١ - ١٧٢
- دور ابراهيم عبد القادر المازني في النقد
- د/أ. أشرف الدين ١٨٥ - ١٨٢
- دراسة تحليلية عن "حالات من الليل يغشاها النهار" للدكتور ناصر الظاهري
- نحاس أ. أتش ١٨٩ - ١٨٦
- أصوات على أفضل الكتب لتعلم اللغة العربية وتعليمها لغير الناطقين بها
- د/ عباس . كي.بي ١٩٤ - ١٩٠
- قراءة في رواية 'النهايات' لعبد الرحمن منيف
- د/ عبد المجيد تي ٢٠٠ - ١٩٥

## التجارب النسوية والنضال الفلسطيني في شعر فدوى طوقان

د/ محمد عبد القادر. ن. أ<sup>١</sup>

### الملخص

فدوى طوقان من أبرز شعراء فلسطين في القرن العشرين وأجل شواعرها، ولقبت بشاعرة فلسطين حيث مثل شعرها مثلاً علياً للتجارب الأنثوية والمواقف الجريئة وإبراز قضية فلسطين وكفاح أبنائها في مراحلها وأبعادها المتنوعة. وقد عالج شعرها الموضوعات الشخصية والاجتماعية، وهي من أوائل الشعراء الذين عملوا على تجسيد العواطف في شعرهم، وقد وضعت بذلك أساسيات قوية للتجارب الأنثوية في الحب والثورة واحتجاج المرأة على المجتمع. ولشعرها مراحل قد تحولت من الشعر الرومانسي إلى الشعر الحرث هيمنت على شعرها موضوعات المقاومة بعد سقوط بلدها. وكانت للشاعرة نشاطات على الصعيد العربي والعالمي، وظلت تتحدث في أمسياتها عن المعاناة التي لازمتها منذ احتلال اليهود للأرض العربية الفلسطينية، حتى إن كثيراً من قصائدها خرجت إلى الوجود من خلال هذه المعاناة حيث أعربت أنها ما زالت تشعر بالإهانة والإذلال كلما رأت الأراضي العربية تُدنّس بأقدام اليهود.

### وضع المرأة الفلسطينية بعد نكبة ١٩٤٨

نكبة عام ١٩٤٨ في فلسطين هزت المجتمع الفلسطيني بمختلف طبقاتها وفئاتها وفيها الفلاحون والعمال والبدو والنساء والطبقات البرجوازية الصغيرة والمتوسطة والكبيرة، وكذلك الحال إثر نكسة حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧. وفي فترة ما قبل ١٩٤٨ كانت المرأة تقف بجانب الرجل تعمل في الحقل تزرع وتحصد وتحرث الأرض وتjeni المحاصيل في موسمها. وكان حظ الفتاة الريفية من التعليم محدوداً جداً، بينما كانت آخرها في المدينة حظيت بنصيب لا يأس به، وذلك لعدم انتشار التعليم في القرى وقلة عدد المدارس وعدم اهتمام الرجل في القرية بتعليم الفتاة التي كانت تُزوج في سن مبكرة.

وبعد قيام الدولة الصهيونية وسيطرتها على معظم أراضي فلسطين في ١٩٤٨ واقتلاع وتشريد غالبية الشعب الفلسطيني من أرضه اقتضت ظروف أبناء فلسطين أن تواصل الفتاة تعليمها حتى تتسلى لها المساهمة في رفع مستوى الحياة لأسرتها. وبعد ذلك اتسع ميدان تعليم المرأة والاهتمام بها فحصلت بعض الفتيات على أرفع الدرجات الجامعية في مختلف التخصصات العلمية والفنية والأدبية. ثم أخذ وضع المرأة الفلسطينية طابعاً فريداً؛ فهي إلى جانب ممارستها للتعليم والطب والصيدلة والمحاماة، تقف شامخاً كالطلود العظيم إلى جانب أخيها الرجل تحمل البندقية لتدافع عن قضيتها. وفي المرحلة التي تلت هزيمة يونيو ١٩٦٧ كانت شادية أبو غزالة أول سيدة سقطت في المعركة مع العدو المحتل، وكانت فاطمة برناوي أول سيدة تعقل

<sup>١</sup>الأستاذ الفخرى، قسم العربية، جامعة كاليفورنيا، كيرلا

لأسباب سياسية، وقد ضربت الشهيدة دلال المغربي مثلاً رائعاً في التضحية بالنفس في سبيل الوطن، كما أن كثيراً من المناضلات الفلسطينيات تعرضن ويتعرضن لصنوف من التعذيب على يد الصهاينة. والمؤاقف النضالية البطولية للسيدة ليلى خالد التي اشتركت في عملية خطف الطائرات تجربة فذة في تاريخ المقاومة المسلحة للشعوب المصطهدة عبر العالم<sup>١</sup>. إنما في هذه الفترة أشرقت في سماء الأدب الفلسطيني أدبيات مرموقات في مجال الشعر والنشر مثل فدوى طوقان، وأسمى طوبى، وسميرة أبو غزالة، والدكتورة نادرة السراح، ودعدد الكيالي، والدكتورة حياة ياغي، وسلمى خضراء الجيوسي، وسميرة غرام، ود. حنان عواد، ود. حنان عشراوي.

### فدوى طوقان

فدوى طوقان شاعرة احتلت مكانة مرمودة في أواسط الأدب العربي، وعرفت في تلك الأوساط "شاعرة فلسطين" كما أن شقيقها الشاعر المشهور إبراهيم طوقان عرف "شاعر فلسطين"، ثم أسماؤها محمود درويش -أبرز أعلام شعر المقاومة الفلسطينية- "أم الشعر الفلسطيني" اعتباراً لعنایتها الفائقية بفلسطين وأبنائها وأرضها وقداستها ونضالها.

ولدت في مدينة نابلس عام ١٩١٤<sup>٢</sup>، وقيل في عام ١٩١٧ من إحدى أعرق عائلات فلسطين، وتلقت تعليمها في تلك المدرسة حتى المرحلة الابتدائية، وأجبت بعدها أن ترك مقاعد المدرسة لأسباب اجتماعية قاسية تعرضت لها في مجتمع ذكوري محافظ، غير أن شقيقها الشاعر إبراهيم طوقان مس قوة ميل فدوى الفطري إلى الشعر منذ صغرها، فأخذ على نفسها عهداً بالأخذ بيدها والعناية بتوجيهها مخصصاً لها فترات من وقته يعطيها في خلالها دروساً في الأدب والشعر. فانصرفت الشاعرة إلى التحصيل الذاتي بمثابة الحاج، وقد حصلت من اللغة الإنجليزية عن طريق التثقيف الذاتي قدراً تمكنت به من مطالعة أدبها وشعرها حتى حصلت على ليسانس في اللغة الإنجليزية من إحدى جامعات إنجلترا عام ١٩٦٣.

شهدت فدوى طوقان مأساة وطنها ونضالها كاملة أثناء الانتداب وعند اقطاع جزء منه عام ١٩٤٨ وبعد هزيمة ١٩٤٨ عندما وقع بكماله في أيدي الصهاينة الشرسة وظاهرة الانتفاضة التي سطر من خلالها أطفال فلسطين العزاء صفحات مجيدة من البطولة بالحجارة. وفي وقت متاخر من ليلة الجمعة الثالث عشر من ديسمبر لعام ألفين وثلاثة<sup>٣</sup> رحلت فدوى مودعة لدينا آثار الدموع واللوع والأسى والأغلال عن عمر ما يقارب التسعين عاماً قضتها مناضلة بكلماتها وأشعارها في سبيل حرية وطنها وجنسها، وتستريح جثمانها في لحد سُطّرت عليه أبياتها الشهيرة:

<sup>١</sup> شحادة محمد عليان، الجانب الاجتماعي في الشعر العربي الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٧، ص ١٥٣-١٥٧.

<sup>٢</sup> د. كامل السوافييري، الأدب العربي المعاصر في فلسطين، دار المعرفة، ١٩٧٩، نقلًا عن: عمر فروخ، شاعران معاصران، ص ١٥

<sup>٣</sup> خليل عودة، فدوى طوقان في سطور، موقع "اللغة العربية: لغة القرآن"

كفاني أموت عليها وأدفن فهمها  
وتحت ثراها أذوب وأفنى  
وأبعث عشبا على أرضها  
وأبعث زهرة إليها  
تعبث بها كف طفل نمته بلادي  
١ ترابا، وعشبا، وزهرة....

أغراض شعرها متعددة، ولكن أكثرها كان تعبيرا عن همسات روحها وخلجات قلتها، ومناجاة الطبيعة بعد تجسيدها، والارتماء في أحضانها وبثها الألم والأسى، ففي في معظمها رومانسية التزعة، إلا أن شعرها بعد عام ١٩٦٧ يشكل أحد أعمدة شعر المقاومة مع أعلامه البارزة من أمثال محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وسالم جبران وأميل حبيبي وغيرهم.نظمت الشعر في قوالبه المتعددة، فهناك قصائد التزمت فيها وحدة الوزن والقافية، وأخرى التزمت فيه وحدة الوزن مع تعدد القوافي، وثلاثة سارت فيها على نظام الموشحات، ورابعة نهجت فيها طريقة الشعر الحر المعتمد على وحدة التفعيلة.

صدرت للشاعرة المجموعات الشعرية التالية تباعا:

١. ديوان وحدي مع الأيام (١٩٥٢)، دار النشر للجامعيين، القاهرة
٢. وجدتها (١٩٥٧)، دار الآداب، بيروت
٣. أعطانا حبا (١٩٦٠)، دار الآداب، بيروت
٤. أمام الباب المغلق (١٩٦٧)، دار الآداب، بيروت
٥. الليل والفرسان (١٩٦٩)، دار الآداب، بيروت
٦. على قمة الدنيا وحيدا (١٩٧٣)، دار الآداب، بيروت
٧. تموز والشيء الآخر (١٩٧٩)، دار الشروق، عمان
٨. اللحن الأخير (٢٠٠٠)، دار الشروق، عمان

وقد ترجم شعرها إلى عدد من اللغات العالمية ومنها الإنجليزية والألمانية والفرنسية والإيطالية والفارسية والعبرية. ولها من الآثار التراثية:

١. أخي إبراهيم (١٩٤٦)، المكتبة العصرية، يافا
٢. رحلة صعبـة - رحلة جبلية (١٩٨٥)، دار الشروق، عمان
٣. الرحلة الأصعب (١٩٩٣)، دار الشروق، عمان

<sup>١</sup> ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

والأخرين في سيرتها الذاتية، وهذه السيرة في جزأين قد ترجمت إلى عدة لغات، تظل أكبر مثل لجوئها على الذات، وتعد من أجمل كتب البحوث والاعتراف التي نشرت في العقود الأخيرة، ولا ينافسها في ذلك إلا "الخبز الحافي" لمحمد شكري و"خارج المكان" لأدوارد سعيد.

وقد نالت عدداً من الأوسمة والجوائز على الصعيد العربي والعالمي، ومنها:

- ١) جائزة الزيتونة الفضية الثقافية لحوض البحر الأبيض المتوسط باليريمو إيطاليا ١٩٧٨ م
- ٢) جائزة عرار النسوية للشعر، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٨٣
- ٣) جائزة سلطان العوسي، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٩
- ٤) وسام القدس، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٩٥
- ٥) جائزة المهرجان العالمي للكتابات المعاصرة، ساليرنو - إيطاليا
- ٦) جائزة البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ١٩٩٤
- ٧) وسام الاستحقاق الثقافي، تونس، ١٩٩٦
- ٨) جائزة كفافس للشعر، ١٩٩٦
- ٩) جائزة الآداب، منظمة التحرير الفلسطينية، <sup>١</sup>١٩٩٧

### التجارب الأنثوية

قد عانت فدوى طوقان نفسها في مجتمع ذكوري محافظ نشأت فيه صنوفاً من التعذيب والآلام والأحزان المكتومة والتقييد والإهانة، كلها مجرد كونها أنثى كما تخيل إليها. وقد مثلت فدوى طوقان في قصائدتها الفتاة التي تعيش في مجتمع مثل هذا تحكمه التقاليد والعادات الظالمية، فقد منعت من إكمال تعليمها ومن إبراز مواهيمها الأدبية ومن المشاركة في الحياة العامة للشعراء والمنتفقين ومنعت من الزواج، كل ذلك ترك أثره الواضح في شعر فدوى طوقان بلا شك وجعلها تدعى في كثير من قصائدتها إلى تحرير المرأة وإعطائها حقوقها واحترام مواهيمها وإبداعاتها مما جعلها محط احترام وتقدير غيرها من الأديبات اللاتي شاركتها نفس الفكرة، فقال عنها وداد السكاكيين: "لقد حملت فدوى طوقان رسالة الشعر النسوى في جيلنا المعاصر يمكنها من ذلك تضليلها في الفصحي وتمرسها بالبيان، وهي لا تردد شعراً مصنوعاً تفوح منه رائحة الترجمة والاقتباس، وإن لها لأمداً بعيداً هي منطلقة نحوه وقد انشق أمامها الطريق."<sup>٢</sup>

الحب من أبرز القضايا الإنسانية التي تثيرها الشاعرة فدوى، وهي شاعرة مصلوبة على صليب الحب، ويمثل دواوينها الثلاثة الأولى قضية الحب بمختلف طوابعها ومراحلها. في ديوانها الأول "وحدي مع الأيام"

<sup>١</sup> خليل عودة، موقع 'اللغة العربية: لغة القرآن'

<sup>٢</sup> ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

تخطو فدوى أولى خطوات الحب، في وقت كانت شابة مراهقة، وكانت أمنيتها في هذه المرحلة التخلص من وحدتها وعزلتها عن طريق رفيق. فهي لم تزل تشكو في كل قصيدة وحدتها التي تعيشها بدون رفيق، وترثى لحالها، تلك الصبية التي تموت وحيدة في فوران الصبا، لا صاحب يذكرها ولا رفيق:

فأين منك الآن دنيا الورى  
وأين أحلام الهوى الساحرة!!  
ماذا؟ تموتين؟ فوا حستاه  
على عروس الروض بنت الربع  
أهكذا في فوران الصبا  
يطويك أعيشار الفناء المريع  
وحيدة، لا شيء يُعْتَكِّرُ الربى  
ولا بكى الروض بقلب صديع  
قد انطوى مثلث منسية  
أختاه لا تأسى فهذى أنا  
أبكيك بالشعر الحنون الرقيق  
لا صاحبٌ يذكرني أو رفيقٌ<sup>١</sup>

وتجد الشاعرة في هذه المرحلة أن أعز أمل من آمال الفتاة أن تجد رفيقاً لها، فطبيعتها كأنثى تفرض عليها أن تكون قضية البحث عن رفيق هي قضيتها الأولى، فأثارتها في كل قصيدة. على أن قضية البحث عن رفيق لم تتحقق ولم تجد الرفيق. وعندما عادت إلى نفسها وبدأت تتأملها وتجرأ أحاسيسها، وحاولت إذابة نفسها بأبعاد كونية لتنسى أنها أنثى وأنها وحيدة وأنها تتذنب وأنها تريد رجلاً يملأ حياتها، فكانت تخرج إلى الحقول إلى أحضان الطبيعة. فهي تخاطب المروج أن تفتح لها قلبه الرحيم مادامت لم تجد القلب الذي كان يمكن أن يفتح لها في الحياة، وهي تحاول أن تخيل المروج رفيقاً لها، تسند رأسها إلى صدره الحنون:

قد جئت ها أنا، فافتتحي القلب الرحيب وعانيقيني  
قد جئت أنسد ه هنا رأسي إلى الصدر الحنون  
وأظل أمهل من نقاء الصمت، من نبع السكون  
فهنا لحظتك أستريح أغيب أغرق في حنيفي<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان، قصيدة ‘الشاعرة والفراشة’، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٢-٢٣.

<sup>٢</sup> فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان قصيدة ‘مع المروج’، ص ١٥.

وعندما يلح عليها الجنس، تحاول أن تفني نفسها إفناه تماماً في الكون، ويدافع عن إحساسها كأنثى شرقية تهب نفسها لبعد روحي، إذا ما فشلت في العثور على رفيق:

أواه لو أفني هنا في السفح، في السفح المديد ..

في العشب، في تلك الصخور البيضاء، في الشفق البعيد

في كوكب الراعي، يشع هنالك، في القمر الوحيد ..

أواه، لو أفني، كما أشتاق في كل الوجود!<sup>١</sup>

وفي قصيدتها "أشواق حائرة" تستعرض الجانب الجنسي من حياتها، بقوة وصراحة، ثم الجانب الذي تحاول فيه أن تذيب نفسها في الكون، ففي الجانب الجنسي تشعرنا بأن قلبها قلب العذراء التي تفور به الحياة المتعددة النوازع، والأحلام التي تدور حول الفتى الذي سيأتي ويأخذها بعيداً:

قلبي تفور به الحياة وقد

عمقت ومدت فيه كالأمد ..

فتهز أغواري نوازعه

صخابة، دفقة المدد

ويظل متظراً على شغف

ويظل مرتقباً على وقد

أحلام محروم تساؤره

متووحش في العيش منفرد

ويود لو تمضي الحياة به

<sup>٢</sup> للحب، مصدر فيضها الأبدى

وهنا نرى جواً مفعماً بالروحانيات والتهوميات الصوفية، يحاول أن يجرف الشاعرة إلى وضع ميتافيزي تسؤال، وهي تطوي أشرعة الحب وراءها متأملة في الكون وتتساءل عن كل شيء، ولكنها تفشل في محاولتها لتجد الإجابة على أسئلتها. وبعض أبياتها تذكرنا صوفيات رابعة العدوية عاشقة إله، على أن فدوى لا تحاول أن تستمر لهذا النهج الصوفي، ولذلك جاء شعرها في هذا الاتجاه غير صادق، وغير معبر عن منهج أبدي.<sup>٣</sup>

وفي المرحلة الثانية من قصة حبها 'وجدت رفيقها' غير أن هذا الحب لم يستمر إلا إلى فترة محدودة،

وهنا تبدأ المرحلة الثالثة مرحلة الذكريات، التي فرضت فيها فشلها في حبها، وعادت ثانية بأئسته حزينة، أكثر

<sup>١</sup> المصدر السابق، ص ١٢

<sup>٢</sup> المصدر السابق، ص ٣٩

<sup>٣</sup> شاكر النابلسي، فنوى تشتبك مع الأيام، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٨٥، ص ٤٠-٣٩

من ذي قبل، فعباراتها زادت حدة، وأهاتها زادت عمقاً. ولكنها لم يتعمق هذا اليأس وهذا البؤس، بل راحت تناقض نفسها. وبعد أن كانت تلعن رفيقها الذي غدر بها وبقلبيها، وتلعن تلك الساعات التي عرفته فيها، عادت تستعيد ذكرياتها التي تشعرنا من خلالها أنها سعيدة تملأها البهجة والإشراق وراحت تتلمس الأماكن التي كانت تغشاها مع رفيقها على عادة الشعراء التقليديين، ثم تقسم لرفيقها بأن الذنب في هذا الفراق ليس ذنباً، وإنما ذنب القيود والأغلال التي فرضتها التقاليد<sup>١</sup>:

هذا مكانك، هنا محراب أشواقي وحبي  
كم جئته والدمع دمع الشوق محتاج بهدبى  
كم جئته والذكريات تفيض من روحي وقلبي  
هذا مكانك حقل روحي فيه إحسان كثيف  
متحسن... يصبو إلى الماضي؛ إلى الأمس الحبيب  
(ثم)

ذنبي؟ وما ذنبي إلا ويلاه من ظلم القيود  
ما حيلتي والغل في عنقي على حبل الوريد<sup>٢</sup>

وفي ديوان "وجدهما" تصرخ بأعلى صوتها بأنها أنثى، وبأنها تحب، ومن حقها أن تحب، وهي ستتحب، رغم كل شيء، وأصبح الحب بالنسبة لها الحياة وأيتها بدونه لا تساوي شيئاً أي شيء. وفي يوليو سنة ١٩٦٠ نظمت قصيدة أسمتها "القصيدة الأخيرة" هي القصيدة الأخيرة من ديوانها الثالث " أعطانا حباً" صورت فيها كيف كان حبها ملذاً من الضياع التي كانت تعانها. وفي هذه القصيدة تودع فدوى الحب، وتودع معه الحياة، ذلك الحب الذي لم يكن كما تريده هي، بل كان غصات وجراحات وألمًا. وهكذا ختمت فدوى قصة حبها بهذه الأبيات البائسة، التي تقطر حزناً وألمًا ودمًا على الشباب الذي أضاعته هباءً، لا طائل من وراءه، فصار الحب بالنسبة لها صليباً حملته طيلة عشرين عاماً طويلاً وعبرت به هروباً من الآلام الشاقة، ومع ذلك لا تبحث عن الأسباب والبواطن لهذا الألم والفشل في هذه الدروب الطويلة الشاقة، بل اكتفت في هذه الدروب بالتأمل والتحسر والتألم. فهي شاعرة رومانسية بحق... تتأمل وتتعذب وتتألم فقط، دون أن تسأل عن معنى العذاب وال الألم.<sup>٣</sup>

وبالإضافة إلى هذه التجارب الأنثوية الفردية، تعالج فدوى طوقان في شعرها أبعاد التجارب الأنثوية الفلسطينية الجماعية في أوسع نطاق. مثلاً تصور بعض المآسي الاجتماعية التي وقعت بعد النكبة وحملت

<sup>١</sup> المصدر السابق، ص ٤٣-٤١

<sup>٢</sup> فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان قصيدة في محراب الأشواق، ص ٨٦-٨٤

<sup>٣</sup> شاكر النابلسي، فدوى تشتبك مع الأيام، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٨٥، ص ٥٣-٤٩

المرأة عبئها الثقيل في قصيدة "رقية"، وهي آخر قصيدة من ديوانها الأول "وحدي مع الأيام" تعبيراً عن إحدى صور المأساة وما عانته المرأة كأم حينما تحمل عبئ تربية البنات بعد فقد الأب:

هناك صنم (رقية) كهفا	رغي卜 عميق كجرح القدر
(رقية) يا قصة من مأسى	الحمى سطرتها أكف الغير
على صدرها الواهن المرتعد	تعلق شيء كفرح مهيبض
وقد وسدت رأسه ساعدا	وشدت بأخر حول الجسد
ولو قدرت أودعته حنايا	الصلوة، وضمت عليه الكبد <sup>١</sup>

وتتناول فدوى قضية الوفاء بين الرجل والمرأة، فتنقد الرجل الذي لا يفي زوجته وإنما ينظر إلى غيرها من النساء بالصدقة أو الزواج، ففي كل يوم له صديقة، وفي كل حال له زوجة، فأين إذن الوفاء؟ تقول في قصيدها "أسطورة الوفاء"

وتسأل: أين الوفاء؟

أما من وفاء؟

وأوضح في وجهك المتوجه

أسأل مثلك: أين الوفاء؟

وماذا عن الأوفياء

وأين هواك القديم

وأين النساء

مائات النساء اللواتي حببْتَ

وكل امرأة

تظنك ملك يديها

وتحسب حبك وقفها علىها

<sup>٢</sup> تظن غرامك أبقى من الشمس

وهكذا قد عالجت عدة قضايا نسوية وتجارب أنثوية متنوعة في مجتمع عربي فلسطيني محافظ وعبر عن كلها بصدق وأمانة فائقة وبجرأة مدهشة، حتى حدثت كارثة يونيو ١٩٦٧ إعصاراً تزلزلت به عواطفها فأخذت تهتم بقضايا وطنها و MAVI مأسى أبنائه ونضالهم الباسل ومقاومتهم الأسطورية.

<sup>١</sup> ديوان فدوى طوقان، ص ١٤٦

<sup>٢</sup> نفس المصدر (ديوان أعطينا حبا)، ص ٣٩-٢٣٨

## الأبعاد النضالية

تقول الشاعرة فدوى طوقان في حوار صحفي عن تجربتها الشعرية واتجاهاتها المتصاعدة إجابة للسؤال عن هممة النقاد بأنها شاعرة ذاتية فحسب: "فقد كانوا يهمونني بأنني شاعرة ذاتية أكتب شعراً عن تجربتي الذاتية في الحياة، ولكن القارئ لسيرتي الذاتية يعرف لماذا كان ذلك، فطريقة نشأتي وتجربتي الشخصية وهي أن الإنسان خلق وحيداً ويتعذب وحيداً ويموت وحيداً وأنا أنظر إلى معاناتي فأجد أن لا أحد يتعدب معي فأنا لوحدي، وهذا كله جعلني أكره وحدتي خاصة أن الإنسان والشاعر بالذات لا يتكامل إلا مع الجماعة. وهذا الشعور لم يعد لي إلا بعد حزيران ١٩٦٧ حيث عدت لها، فالاحتلال الإسرائيلي أرجع إلى الإحساس بنفسي ككائن اجتماعي، فقد كنت بسببه ألتقي بالجماهير الشعبية، عرفت القيمة والمعنى الحقيقي".<sup>١</sup>

والشاعرة نفسها توضح وجهة نظرها عن دور الكاتب والأديب والشاعر الذي يناضل من أجل القضية: "إن دور الشاعر والأديب لا يقل أهمية عن دور المقاتل في ساحة المعركة، فالشاعر الوطني الذي ينظم الشعر الحماسي يكون دافعاً قوياً لهؤلاء المقاتلين للصمود والاستبسال في المعركة، وأذكر في هذا السياق أن في خلال حرب ٦٧ قرأت قصيدة في الإذاعة بعنوان "لن أبكي". وكانت هذه القصيدة حماسية لدرجة أن مجموعة من المقاتلين سمعوها، وعندما انتهت القصيدة قام أحدهم وأحضر مصحفاً وأخذوا يحلقوه عليه واحداً تلو الآخر أن يقاوموا حتى النهاية وألا يستسلموا أبداً".<sup>٢</sup>

وقد نشرت هذه القصيدة في ديوانها "الليل والفرسان" أهدتها إلى شعراء المقاومة في الأرض المحتلة منذ عشرين عاماً... هدية لقاء في حيفا<sup>٣</sup>، ١٩٦٨/٣/٤. تقول فيها:

وها أنا يا أحبائي هنا معكم

لأقبس منكمو جمره

لأخذ يا مصابيح الدجى من زيتكم قطره

لصباخي

وها أنا ذا أحبائي

إلى يدكم أمد يدي

وعند رؤوسكم ألقى هنا رأسي

وأرفع جبتي معكم إلى الشمس

وها أنتم كصخر جبالنا قوه

<sup>١</sup> حلقة خاصة مع الشاعرة (مقابلة صحافية) الشاعرة فدوى طوقان، موقع "اللغة العربية: لغة القرآن"

<sup>٢</sup> المصدر السابق

كصخر بلادنا الحلوه  
 وكيف الجرح يسحقني؟  
 وكيف اليأس يسحقني؟  
 وكيف أمامكم أبكي؟  
 يمينا بعد هذا اليوم لن أبكي!

.....

أحبابي مصابيح الدجى، يا إخوتي  
 في الجرح...  
 ويا سر الخميرة يا بذار القمح  
 يموت هنا ليعطينا  
 ويعطينا  
 ويعطينا  
 على طرقاتكم أمضى  
 وأزرع مثلكم قدمي في وطني  
 وفي أرضي  
 وأزرع مثلكم عيني  
<sup>١</sup>في درب السنى والشمس

وتقول في قصيدة "الفدائى والأرض"<sup>٢</sup> من نفس الديوان:

يا ولدي  
 يا كبدى  
 من أجل هذا اليوم  
 من أجله ولدتك  
 من أجله أرضعتك  
 من أجله منحتك  
 دمي وكل النبض  
 وكل ما يمكن أن تمنحه أمومة

<sup>١</sup> ديوان فدوى طوقان، ص ٥١١-٥١٧

<sup>٢</sup> نفس المصدر، ٤٥٠-٥١٠

يا ولدي، يا غرسة كريمة  
اقتُلعت من أرضها الكريمة  
اذهب، فما أعز منك يا  
بني إلا الأرض

وفي قصيدها "حرية الشعب" تدعو الشاعرة فدوى طوقان إلى الحرية، وتظل رغم القيد ورغم الليل  
ورغم نسف الدور والتعذيب تقفو خطوها مناضلة، وهي تنشد تلك الحرية، التي ستظل تحفر اسمها حتى تراه  
يمتد في الوطن يغطي كل بشر من ثراه، فهي تقول:

حريتي!

حريتي!

حريتي!

صوت أردده بملء فم الغضب  
تحت الرصاص وفي اللهب  
وأظل رغم القيد أعدو خلفها  
وأظل رغم الليل أقفو خطوها  
وأظل محمولا على مد الغضب  
وأنا أناضل داعيا حريتي  
ويردد النهر المقدس والجسور

حريتي

والضفتان ترددان: حريتي  
ومعابر الريح الغضوب  
والرعد والإعصار والأمطار في وطني  
ترددتها معى:  
حريتي! حريتي! حريتي

....

سأظل أحفر اسمها وأنا أناضل  
في الأرض والجدران في الأبواب في شرف المنازل  
في هيكل العذراء في المحراب في طرق المزارع  
في كل مرتفع ومنحدر ومنعطف وشارع

في السجن في زنزانة التعذيب في عود الماشق  
 رغم السلسل رغم نصف الدور رغم لطى الحرائق  
 سأظل أحفر اسمها حتى أراه  
 حتى يغطي كل شبر في ثراه  
 حتى أرى الحرية الحمراء تفتح كل باب  
 وللليل يهرب والضياء يدك أعمدة الضباب  
 ويردد النهر المقدس والجسور  
 حريري!  
 والضفتان ترددان: حريري!  
 ومعابر الريح الغضوب  
 والرعد والإعصار والأمطار في وطني  
 ترددتها معك:  
 حريري حريري حريري<sup>١</sup>

وهذه بعض النماذج لمؤلفات فدوى طوقان الوطنية النضالية في شعرها واصطفافها في ساحة أدب المقاومة مع أعلامها البارزة أمثال محمود درويش، وسميح القاسم، وتوفيق زياد، ومعين بسيسو، وأحمد دحبور، وغسان كنفاني. والأديبة الفلسطينية الدكتورة حنان عواد تعرف أدب المقاومة بأنه "الأدب الصادر من لحم الجماهير الفلسطينية، هذا الأدب الذي يرفض الواقع الاحتلال والذي يعمل على إحداث التغيير النوعي في تحقيق الحرية للشعب الفلسطيني. إنه الصوت الصارخ المنبعث من الوجдан المفعم بالحب الفلسطيني للأرض الفلسطينية وللإنسان فلسطين، إنه الأدب الذي يصرخ بأعلى صوته لحرية شعبنا فلسطين. إنه أدب الثورة أدب العلم الملزם للمقاتل الذي يخط الطريق للمعركة وينشق فجر فلسطين ويشير لميلاد المناضل الذي يخترق الحدود والأبعاد حاملا راية الحرية والانتصار، ولقد أصبحت الثورة الفلسطينية وجдан الأديب الفلسطيني ومنحته صوتاً أقوى للتعبير عن القضية منطلقاً من فكر سياسي وموهبة تشكل هذا الفكر وتقريره إلى جماهيرنا الفلسطينية المناضلة".<sup>٢</sup> وامتدت جذوة هذا الأدب خارج الأرض المحتلة بعد عام ١٩٦٧، وقد أصبحت فدوى طوقان من أبرز أعمال شعر المقاومة منذ ذلك الحين.

وفي الثمانينيات ذاع شعر أطلق عليه "شعر الانتفاضة" ولاسيما بعد سنة ١٩٨٧ وهو تجسيد لانتفاضة الشعب الفلسطيني على طغيان الاحتلال الصهيوني وبطشه، فظهرت صورة الطفل الأعزل في مقابل الجندي

<sup>١</sup> المصدر السابق، ص ٥٥٤-٥٥٦

<sup>٢</sup> أدب المقاومة هو الأدب الذي يرفض الواقع الاحتلال، ( مقابلة صحافية)، 'ثقافة اليوم' الملحق لجريدة الرياض، ١٩٩٠، فبراير، ص ٢١

المدرج بالسلاح. وقد أصبح شعر الانتفاضة من الديوع بحيث يصعب حصره في مثال أو عند شاعر. ولعل من أشهر شعر الانتفاضة قصيدة محمود درويش "عابرون في كلام عابر" وقصيدة سميح القاسم "إلى غزة لا يقرأون". ولما سُئلت الشاعرة فدوى عن موقفها من الانتفاضة أجابت: "أنا متابعة لما يحدث على الساحة الفلسطينية. لكن بسبب المرض الذي ألم بي "الجلطة" فقد أثرت على بصري، أتابع الأحداث من خلال التلفاز لسماع الأخبار، بالرغم من ذلك فقد كتبت في ديواني الأخير أتحدث فيه عن أحلام السلام المستحيل مع اليهود... إن استمرار الانتفاضة ضروري جداً، فتوقفها يفرح الأعداء كثيراً. يجب أن يكون لدينا نظرة إيجابية حيالها، وألا تكون سلبين في تعاملنا مع هذا العدو الشرس، الذي تكافف فيه كافة الأحزاب الإسرائيلية بالرغم من خلافاتها الكبيرة من أجل تهبيط عزائم وإخماد جذوة الانتفاضة، ونحن بأشد الحاجة أن يكون لدينا هدف واحد من أجل نيل حقوقنا المشروعة".<sup>١</sup>

أثناء هذه المرحلة قد أثر مرضها تأثيراً كبيراً عليها وعلى إنتاجها الأدبي. ولم تنتج أي شيء، حيث إن آخر إنتاج لها كان "الحن الأخير" وهو مجموعة أشعار عاطفية تتحدث فيها عن عاطفتها في أيام الكبير، والتي كانت خائفة من المستقبل، ماذا سيحصل معها وينتها قلق كبير مما يؤثر كثيراً على كتابتها.

وعلى الرغم من هذه الظروف القاسية وأحوالها الشخصية الأليمة تصرّح: "إن الظاهرة التي عرفت فيما بعد لأطفال الحجارة أهربتني وجعلتني أفرد لها قصائد كثيرة أعبر فيها عن مدى حبي لهذا الجيل المختلف في كل شيء في طموحه ومقاومته وصبره وبراءته وقدرته على التصدي لقوى العسكرية التي لم تستطع في مجاهتها دول، فكان لأطفال الحجارة دور رائد في إذلالها وفضح سياستها أمام العالم". فكتبت من قصيدة "شهداء الانتفاضة":

لن يمسك الموت الخون قلوبهم  
فالبعث والفجر الجديد  
رؤيا ترافقهم على درب الفداء  
انظر في انتفاضتهم صوراً يربطون الأرض  
والوطن المقدس بالسماء

وقالت أيضاً:

يتصاعدون إلى الأعلى في عيون الكون وهم يتتصاعدون  
وعلى جبال من رعاف دمائهم  
هم يصعدون ويصعدون<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> مقابلة صحافية، موقع 'اللغة العربية: لغة القرآن'  
<sup>٢</sup> المصدر السابق

## الخاتمة

كلمات أفردتها فدوى طوقان من فراش مرضها لأطفال الحجارة، تلك الفئة الأسطورية التي استطاع القليل من الشعراء والأدباء إيفاءهم بعض حقهم في الوصف. هكذا كانت قضية فلسطين تصنع جانباً هاماً من شعر فدوى طوقان بلون أحمر قان، وكان شعر المقاومة عندها عنصراً أساسياً وملحمة رئيسياً لا يكتمل وجهها الشعري بدونه<sup>١</sup>. كان شعرها صورة حية لتطور الحياة الشعرية بعد النكبة، ومن يمضي في قراءته، ويتردّج معه من حيث الزمان، يجد صورة وجدانية لحياة المجتمع الفلسطيني وتطورها بفعل تطور الأحداث المشتملة عليه.(د. عبد الرحمن ياغي، ملف جريدة البعث السوري)<sup>٢</sup>

فدوى طوقان شاعرة عربية بدعة الأنغام وال تصاوير والموسيقى، صاحبة موهبة فنية رفيعة بين شعراء وشاعرات الوطن العربي المعاصرين (د. عبد المنعم الخفاجي، نفس الملف)<sup>٣</sup>.

تميزت فدوى طوقان بروح إبداعية واضحة وضفت شعرها في مقدمة الشعر النسائي الفلسطيني إن لم يكن في مقدمة الشعر النسائي على العموم.<sup>٤</sup>

## المصادر والمراجع

- فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨
- د. كامل السوافيري، الأدب العربي المعاصر في فلسطين، دار المعارف، ١٩٧٩
- د. شحادة محمد العليان، الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٨٧
- د. عبد الرحمن الكيالي، الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٥
- شاكر النابليسي، فدوى تشتبك مع الأيام، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٨٥
- أحمد سعيد حواش، أصداء النضال العربي في شعرنا المعاصر، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٥
- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت،

٢٠٠٢

- مجلة الدوحة، الدوحة، العدد ٩٥، نوفمبر ١٩٧٣
- جريدة الرياض، الملحق الثقافي 'ثقافة اليوم' ١٩٩٠ / ١٩٩٥ فبراير



<sup>١</sup> من ملف جريدة البعث السورية، المصدر السابق

<sup>٢</sup> المصدر السابق

<sup>٣</sup> المصدر السابق

<sup>٤</sup> شاكر النابليسي، فدوى تشتبك مع الشعر، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٨٥، ص ٩

## أثر الانتفاضة الأولى في أدب المقاومة الفلسطينية: رواية 'الجانب الآخر للأرض المعاد' للدكتور أحمد حرب نموذجاً

السيد د. نسام. سي<sup>١</sup>

### الملخص

أدب المقاومة، كما هو واضح من تلك الكلمتين، موضوعه المقاومة، ويأتي في إطاره جميع الجوانب المتعلقة بالمقاومة. وإن الحروب والمعارك من أجل الاستقلال والتحرير في كل بلد قد أدت إلى نمو هذا النوع الأدبي. وإذا أخذنا قضية فلسطين بعينها، نجد أن كل تطورات هذه القضية كانت تمثل منعطفاً هاماً في مسيرة أدب المقاومة الفلسطيني. وفي هذه الدراسة، قمت بمحاولة متواضعة للبحث عن مدى أثر الانتفاضة الأولى في أدب المقاومة الفلسطيني، وذلك من خلال دراسة رواية الدكتور أحمد حرب 'الجانب الآخر للأرض المعاد'.

### بيان موجز عن الانتفاضة الأولى

الانتفاضة الأولى هي الثورة الشعبية التي شهدت فلسطين منذ نهاية عام ١٩٨٧. كانت مجهودات تحرير فلسطين، بعد حرب ١٩٤٨، محدودة في بعض الحروب التي قامت بها الدول العربية ضد الكيان الصهيوني، وفي العمليات الفدائية التي نفذتها الحركات الفلسطينية عبر حدود دول الطوق<sup>٢</sup>. وفي الانتفاضة الأولى، شهدت فلسطين مقاومة شعبية واسعة النطاق، حيث شارك فيها جميع الفلسطينيين، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، على اختلاف طبقاتهم ونظرياتهم في الحياة.

وقد غالب طابع المقاومة المدنية على الانتفاضة في سنواتها الأولى إذ تميزت هذه الفترة بمشاركة جماهيرية واسعة في المظاهرات والإضرابات العامة والخاصة، وبمحاولات الاستقلال الاقتصادي من الكيان الصهيوني عن طريق مقاطعة إنتاجاته وترك العمل في مؤسساته ورفض الضرائب لإدارته وتشجيع الإنتاجات المحلية التي تساعده على تلبية متطلبات العيش وفك الارتباط بالكيان الصهيوني<sup>٣</sup>. مع أن الحجارة كانت السلاح الرئيسي للانتفاضة في مراحلها الأولى إلا أن الشعب الفلسطيني استخدم الزجاجات الفارغة وقنابل البنزين والبلطات والسكاكين - ولو بمعدل صغير- لمواجهة العدو وأسلحته المتقدمة. وكانوا يعرقلون تحرك العدو وألياته بإشعال الإطارات وصب الزيت والمسامير في الطرق أيضاً. وأما في الفترة المتوسطة للانتفاضة، فزاد استخدام العبوات الناسفة والقنابل الحارقة والآلات الحادة كالسكاكين، خاصة بعد أن كثرت الأعمال

<sup>١</sup> محاضر بديل، كلية مهاراجاس، إنداكولاام

<sup>٢</sup> دول الطوق هي الدول المجاورة لفلسطين، وهي الأردن، وسوريا، ولبنان، ومصر.

<sup>٣</sup> أذرغر، محمد خالد. المقاومة الفلسطينية بين غزو لبنان والانتفاضة. ط - ١. بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية. ١٩٩١. ص - ١٠٨، ١١٠ .

<sup>٤</sup> حمدان، غسان. حمدان، غسان. الانتفاضة المبارك: وقائع وأبعاد ٨ ديسمبر ١٩٨٧ - ٨ أبريل ١٩٨٨. ط - ١: مكتبة الفلاح. الكويت. ١٩٨٩. ص - ٣٨١، ٣٨٦ .

الاستفزازية من قبل المهد المستوطنين<sup>١</sup>. وفي السنوات الأخيرة لانتفاضة كثُرت العمليات المسلحة وتراجعت النشاطات الجماهيرية الواسعة النطاق<sup>٢</sup>.

### رواية 'الجانب الآخر لأرض المعاد'

كتب الدكتور أحمد حرب رواية 'الجانب الآخر لأرض المعاد' بعد رواية 'إسماعيل'، ويقول بأنها تشكل الجزء الثاني لرواية إسماعيل، وهي بشكل جزئي استجابة فلسطينية لرواية 'لماذا نحن مباركون' للكاتب الإفريقي آي كوي آرمة. صدرت الطبعة الأولى للرواية عام ١٩٩٠، والثانية عام ١٩٩٤، وتولت إصدارها منشورات جامعة بيرزيت<sup>٣</sup>.

قد أخذ المؤلف موضوع روايته من أحداث الانتفاضة، حيث رسم فيها قرية خيالية باسم قرية العين وتحدث عن نضال سكانها أثناء الانتفاضة مع السلطة العسكرية والمهد المستوطنين. تألفت هذه الرواية من برولوغ وخمسة فصول، وكل فصل عنوان، وهو على الترتيب أبو قيس، وحيد، الجانب الآخر لأرض المعاد، روازن، ووحيد.

### تجليات المقاومة في 'الجانب الآخر لأرض المعاد' وأثر الانتفاضة فيها.

مثلاً ذكرنا سابقاً، بأن الدكتور أحمد حرب قد أخذ موضوع روايته من أحداث الانتفاضة الأولى، وتحدث فيها عن مشاركة قرية العين في فعاليات المقاومة. لم يكن المؤلف يؤرخ لأحداث الانتفاضة، بل استمد منها روحها ونفحتها في قصة رائعة، وحاول فيها أن يبث شعور الوطنية، ويعثُّ روح المقاومة في قرائه. وأكد بأن السبيل الوحيد لتحرير فلسطين هو المقاومة الشعبية، ودحض فكرة المفاوضات للتوصُّل إلى تسوية سياسية بإقامة دولة فلسطينية إلى جانب دولة يهودية. كانت الانتفاضة ثورة شعبية ضد الاحتلال الصهيوني، واصطف في صفوفها جميع الناس رغم اختلاف أعمارهم وأديانهم وثقافتهم ونظرياتهم، وقد رسم الكاتب في هذه الرواية ثورة شعبية من نفس طراز الانتفاضة. وسوف نحاول هنا لالتقاط النقاط التي تتحدث عنها هذه الرواية، والتي تجعلها نموذجاً رائعاً لأدب المقاومة الفلسطيني

### تركيز أهمية الوطن

وَقَعَتْ فَلَسْطِينْ فِي سِيَطَرَةِ الْاحْتَلَالِ الصَّهِيُونِيِّ إِثْرَ صِدْرِ قَرَارِ التَّقْسِيمِ عَامِ ١٩٤٧، وَحَرَبَ ١٩٤٨ وَ ١٩٦٧. وَأَصْبَحَ سَبْعَ مِائَةَ وَخَمْسَوْنَ آلْفَ فَلَسْطِينِيَّ لِاجِئِينَ فِي مُخِيمَاتِ الضَّفَةِ الغَرْبِيَّةِ وَقَطَاعِ غَزَّةِ وَلِبَنَانِ وَسُورِيَا وَالْأَرْدَنِ نَتْيَجَةَ حَرَبِ ١٩٤٨، حَسْبَ تَقْدِيرَاتِ الْأُمُمِ الْمُتَحَدَّةِ. وَلَا انْهَزَّتِ الدُّولُ الْعَرَبِيَّةُ فِي حَرَبِ

<sup>١</sup> نفس المصدر. ص - ١٠٩ - .

<sup>٢</sup> د. محمد صالح، محسن. القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة: مركز الزيتوна للدراسات والاستشارات بيروت. ٢٠١٢. ص - ١٠٤ - .

<sup>٣</sup> د. حرب، أحمد. الجانب الآخر لأرض المعاد. ط - ٢ - . بيروت: منشورات جامعة بيرزيت. ص - .

١٩٦٧ وضاعت فلسطين كلها، تم تشريد أكثر من خمس مائة ألف فلسطيني، بما فيهم عدد ضخم من لاجئي حرب ١٩٤٨ ، وصاروا لاجئين في مخيمات جديدة.<sup>١</sup>

صار الوطن بالنسبة إليهم حلماً وشعوراً دون أن يكون له بقاء حسي على أرض الواقع. يقول المناضل الفلسطيني من قرية العين، الذي حمل البنديقة من أجل تحرير الوطن، ونادي شعبه للوقوف معه ضد الاحتلال، وغادر أخيراً إلى عمان، حتى يستطيع العيش دون خوف الملاحقة: "الوطن أحمله معى، في قلبي وعلى كفى، أحمله في حقيبتي. أحمله وأنا مسافر وأنا نائم وأنا منصوب القامة وأنا أمشي...". وأمام هذه الفكرة اليائسة التي رضيت بوطن حلبي، قام الدكتور أحمد حرب وصرخ في الفصل الأول من روايته على لسان أبي قيس: "لو سافرت في الدنيا بطولها وعرضها فلن تجد ما يعادل الوطن". وكذلك، ينصح المحامي أبو تايه، إسماعيل الذي كان يريد الإقامة في عمان أن يرجع إلى الضفة الغربية إذا أمكن ذلك، وقال له: "لو طرت غريباً أو حومت في سماء الشرق، لو ملكت وتملكت، فلا شيء يعدل الوطن".<sup>٢</sup> عندما يسأله إسماعيل عن فائدة العيش في وطن محظى، يرد عليه أبو تايه: "أن تعمل فيه وتعمل على تحريره".<sup>٣</sup>

من خلال هذا الفصل يبعث الكاتب في ذهن قرائه شعور الوطنية ويدركهم بدورهم في تحريره إن كان الوطن محظياً. وكان لأقوال المحامي أبي تايه أثر فعال في أبي قيس، الذي كان يرافق إسماعيل للقاء المحامي، حيث عاد إلى قريته، وتسلم قيادة أعمال المقاومة فيها.

#### إنكار نظرية الضحية ورفض الاعتدار بالقدر

هناك من يجد تسليمة وعزاءً في الاعتقاد بأنه ضحية مؤامرة عالمية، ويستسلم أمام الأمر الواقع، وهو مقنع بأن كل ما يحدث له من حظه وقدر، ولا يفكر أبداً بأنه من وسعه تغيير حاله وتحرير وطنه. يدحض الكاتب هذه الفكرة من أساسها، بتصوير بعض المشاهد من الحرب العالمية الثانية.

كان أبو قيس قد جُند أثناء الحرب العالمية الثانية للخدمة في الجيش الإنجليزي عنوة، ووقع في الأسر الألماني، واصطُرَّ أن يحارب في صفوف الألمان حين لم يجد خياراً آخر إلا الموت. بينما كان يخدم في معسكر قريب من بلدة تشنوبول الروسية، والطقس بارد قارس، خرج يوماً من معسكره بحثاً عن بعض الدفء والطعام حتى وصل إلى منزل امرأة روسية تناهز الثلاثين من عمرها. أغلقت المرأة أبواب منزلها أمامه حين عرفت أنه جندي نازي، رغم قوله لها بأنه جندي إنجليزي وقع في الأسر الألماني، وأنه مثلها ضحية لحرب لم

<sup>١</sup> قضية فلسطين والأمم المتحدة. ط -٢. نيويورك: قسم المعلومات العامة التابعة للأمم المتحدة. ٢٠٠٩. ص -٩٧.

<sup>٢</sup> د. حرب، أحمد. الجانب الآخر للأرض المحتلة. ط -٢. بيروت: منشورات جامعة بيروت. ص -٣٢.

<sup>٣</sup> نفس المصدر. ص -١٧.

<sup>٤</sup> نفس المصدر. ص -٣١.

<sup>٥</sup> نفس المصدر. ص -٣٢.

يختبرها. وعلى سماع هذه الأقوال غضبت المرأة عليه وقالت: "أنا لست ضحية ولن أقبل الاستسلام. دمّرتم مدینتنا وقتلتكم رجالنا وأنت تطلب مني الآن أن أفتح لك بيتي وقلبي. انصرف من هنا. إنني أكرهكم، أكرهكم، أكرهكم"<sup>١</sup>. هكذا علمت المرأة الروسية أبا قيس درساً بأنه لا يرحم أحد الضحية إذا لم ترحم هي نفسها.

أعجب أبو قيس بتلك المرأة وذهب مرة أخرى إلى بيتها، وهو يريد أن يعتذر إليها ويقول لها إنه بريء، وإن قدره ليس في يده. وفي هذه المرة فتحت له باب البيت وأقعدته على الكرسي وقدمت له الشاي وهي مبتسمة. ولما طلب منها أبو قيس أن تجلس، ذهبت إلى داخل البيت قائلة بأنها سترجع خلال دقائق قليلة. وبعد لحظات التفت أبو قيس إلى الوراء حين شعر بوجودها خلفه، حيث وجدها مشرعة سكيناً ناوية قتلته. صوب أبو قيس بندقيته نحوها وقال لولا كانت امرأة لقتلها. وكانت من عزيمة تلك المرأة وجراحتها أنها تحدثت أبا قيس وطلبت منه أن يقتلها وقالت: "لقد أقسمت بأن لا يدخل بيتي نازي إلا على جسدي، أعمل لي معروفاً، واقتلي، تحقق أمنيتي. إنني أكرهكم أكرهكم"<sup>٢</sup>. كانت إجابة أبي قيس لها بأنه ليس نازياً وأنه عربي، وضحية لحرب لم يرد خوضها، وأن كرهها للنازيين قد أعمى قلمها. استهزأت تلك المرأة من قوله وردت: "لا تقل إنك ضحية، وأنت جعلت من نفسك ضحية، لا تقل قدرى، فأنت صنعت قدرك بيدك. اخرج اخرج، لا أحتمل وجودك في بيتي"<sup>٣</sup>. وضاعت أقوال المرأة الروسية أبا قيس في مفترق طريق، إما الاستسلام والسير في نفس الطريق الذي سار فيه حتى الآن، وأما نهج منهج المرأة الروسية التي امتازت بالعزيمة والإرادة. اختار أبو قيس منهجهما وقرر أن لا يرضي بالواقع، ووجد بأن "أسوء شيء يجنيه المرء على نفسه هو أن يقبل بكونه ضحية، والماء أحياناً يصنع قدره بنفسه"<sup>٤</sup>.

### تصوير لهمجية الكيان الصهيوني

صور الكاتب في هذه الرواية كثيرة من الجرائم التي ارتكبها الكيان الصهيوني في حق الشعب الفلسطيني، وأراد أن يتأثر القراء بتلك المشاهد، فيرفعوا أصواتهم متضامنين مع الشعب الفلسطيني. ونورد هنا، على سبيل المثال ولا الحصر، بعض الواقعات التي ذكرها الكاتب في الرواية.

وفي 'برولوج' الرواية نفسه يأتي الكاتب بواقعة تهز حتى ضمائر ذوي القلوب القاسية، يشهد لها وحيد، سارد القصة أثناء سفره إلى قرية العين، فلتنـرك السارد يتحدث بنفسه: "اثنا عشر جندياً يضربون صبياً في الخامسة عشرة، قبل مدخل العين قرب مغطس الأغنام. كلهم يشاركون في الضرب بالعصي، بالبنادق، بالأرجل، بالأيدي، والصبي يصرخ. يحملونه ويدلونه في المغطس ثم يلقونه أرضاً ويركلونه". يقترب السارد من

<sup>١</sup> نفس المصدر. ص - ٦٢.

<sup>٢</sup> نفس المصدر. ص - ٦٥.

<sup>٣</sup> نفس المصدر. ص - ٦٥.

<sup>٤</sup> نفس المصدر. ص - ٧٠.

الجنود ويطلب منهم أن يتركوه ويكتب عليهم أنه ابنه، وأنه يبحث عنه منذ وقت طويق. وفي هذه الأثناء هرع الصبي إلى وحيد يطلب منه حمايته. يواصل وحيد حديثه: "انهالوا عليه بالضرب من جديد وذراعاه تطوقان خصري. ضربوه على رأسه وكتفيه وعلى يديه محاولين حلما". طلب منهم وحيد باسم الإنسانية أن لا يضربوه ويعاملوه كبشر، فرد عليه الجندي بسخرية: "أنتم بشر! ستدبحكم هكذا"، وأشار بحافة يده إلى عنقه ليりه كيف يكون الذبح. وأخذ جندياً يسحبان الصبي من رجليه بعنف فضعف ذراعاه، ووقع بوجهه على الأرض، وجروه على بطنه. ربطوا يديه وحملوه معهم إلى السيارات العسكرية<sup>١</sup>.

في إحدى المرات اعتقل الجنود ثلاثين شاباً من بين رجال القرية الذين جمعوا إلى ساحة المدرسة، وأخبروا بأنهم سيطلقونهم بعد تحقيق بسيط معهم. مضى ثلاثة أيام دون أن يعرف سكان القرية شيئاً عنهم وانتشر خوف شديد عن مصيرهم حين انكر الحكم العسكري أي معرفة عن اعتقالهم. وفي مساء اليوم الثالث، سمعوا واحداً من الشباب المعتقلين، ينادي من مئذنة المسجد لإنقاذهم، وقادهم إلى وادٍ تقع جنوب القرية حيث رأوا شباباً مقيدي الأيدي والأرجل، يتوجعون ويتألمون، وقد كسر الجنود اليدين والرجل اليسرى لكل واحد منهم<sup>٢</sup>.

#### المقاومة عملية شعبية

يقدم الدكتور أحمد حرب نموذجاً رائعاً لمقاومة الاحتلال، يشارك فيها كل فرد من أفراد المجتمع بأدوار خاصة له، سواء كان طفلاً أم شيخاً، ذكراً أم أنثى، شاباً أم فتاة، ويحاول أن يقنعنا بأن المقاومة ليست عملية تقوم بها مجموعة مخصصة لها، بل هي عملية شعبية وطريقة حياة يسلكها الشعب مضطهد. وقد ضمن الكاتب في روايته ممثلاً لكل فرد من المجتمع، من نفس عمره وجنسه، يذكره بدوره في المقاومة.

كان الأطفال يشاركون في تنفيذ مهام اللجنة التي أسسها وحيد والشيخ محمد لتمضي أحوال السكان ومساعدتهم في سد الحاجات الأساسية في حالة استمرار منع التجول<sup>٣</sup>. كانوا ينشرون الأخبار<sup>٤</sup>، ويوزعون المناشير ويشرون الأمتدة من الدكاكين. يقول وحيد عن طفل وجده في طريقه إلى البيت بعد أن رفع منع التجول: "أوقفني طفل لا يزيد على السابعة. أخرج منشوراً من تحت قميصه وأعطاني إياه دون أن يتكلم معه، ثم قطع الشارع إلى البيوت المقابلة وهو يلتفت خلفه"<sup>٥</sup>. وأما الشباب فلا حاجة إلى وصف مهمتهم في المقاومة، حيث يمثلهم في هذه الرواية ماجد والشيخ محمد والآخرون الذين يشاركون في تحطيط العمليات المسلحة وتنفيذها. ماجد يحمل روحه على كفه، ويلقي الرعب في نفوس الجنود والمستوطنين، وهو أغنية قرية العين

<sup>١</sup>نفس المصدر. ص ١٢، ١٣ -

<sup>٢</sup>نفس المصدر. ص ٢٤٢ -

<sup>٣</sup>نفس المصدر. ص ١٦١، ١٦٢ -

<sup>٤</sup>نفس المصدر. ص ١٨٤ -

<sup>٥</sup>نفس المصدر. ص ٢٣٦ -

وأهزو جتها<sup>١</sup>. كان الشيخ محمد عبارة عن حماس، وتصحية، وكان يقف عند محطة الباصات في الصباح ويخاطب العمال والفالحين ويحثهم على الثورة<sup>٢</sup>. وكان يخاطب المسلمين بعد صلاة الجمعة، ويشجعهم على الجهاد ويقول لهم: "إذا ديس شبر من أرض المسلمين، فعلى المرأة أن تخرج بغير إذن زوجها وعلى الرجل أن يخرج بغير إذن أبيه..."<sup>٣</sup>.

يمثل أبو قيس طبقة الرجال الكبار، وقد شارك في الحرب العالمية الثانية، وخاض معركة القسطنطينية مع عبد القادر الحسيني. كان أبو قيس رمز العزيمة والإرادة القوية، ومصمماً على تحرير وطنه. ومما يشير إلى عزيمته قوله لوحيد: "كل شيء ممكن، المهم أن لا تكتف عن المحاولة"<sup>٤</sup>. وكذلك، يصور الكاتب قوة إرادته من خلال سيارة جيب قديمة تركها الجيش الأردني بعد هزيمة ١٩٦٧. اشتري أبو قيس هذه السيارة من صاحب الكراج، وظن الجميع بأنه سفيه حتى يشتري سيارة متروكة منذ عام ١٩٦٧. ولكن أصبحت تلك السيارة، التي كانت رمزاً للهزيمة، أقوى سيارة تجري في السهول والجبال على السواء، بعد أن أصلحه بمساعدة صاحب الكراج<sup>٥</sup>. وإذا انتقلنا إلى وادي المنان، الذي يسكن فيه أبو قيس، نجد هناك أشياء كثيرة تتحدث بإسهاب عن عزيمته. كوكبة عالم مستقل بذاته، وصورة من صور الاستقلال الفلسطيني. قد صنع سريره بيديه من أحشاش أشجار الوادي، وحفر بئراً أمام الكوخ، وصنع مضخة لتوصيل الماء في ماسورة إلى داخل الكوخ، وصنع مولداً كهربائياً، بمساعدة صاحب الكراج، لتشغيل التلفزيون عند الحاجة ويري فيه معظم قنوات الشرق الأوسط<sup>٦</sup>.

ليست المقاومة الشعبية حالية من دور النساء، فبأيادي الدكتور أحمد حرب بشخصيات نسائية أيضاً في روایته، ويتحدث عن مختلف الأدوار التي يمكن لهن أن يقمن بها في المقاومة. ومن هذه الشخصيات النسائية وديعة، وزوجة وحيد وأم إسماعيل. يقول عن وديعة، أخت وحيد، بأنها قد شاركت في عملية ضد المستوطنين، وقتلت أربعة منهم مع فريقها للعملية<sup>٧</sup>. وتستشهد أخيراً، أثناء استعدادها لعملية أخرى ضد المستوطنين، بانفجار قبلة بين يديها<sup>٨</sup>. وأما زوجة وحيد، فهي كانت مشغولة معظم أوقاتها مع نساء الحي، حيث شكلت معهن 'لجنة السجين'، وقضت وقتها معهن في زيارة أهالي المعتقلين ومواساتهم ونسجت الملابس

<sup>١</sup> نفس المصدر. ص ٢٤٥ - ٢.

<sup>٢</sup> نفس المصدر. ص ١٨٢ - ١.

<sup>٣</sup> نفس المصدر. ص ١٨٣ - ١.

<sup>٤</sup> نفس المصدر. ص ٣٥ - ٣.

<sup>٥</sup> نفس المصدر. ص ٨ - ٨.

<sup>٦</sup> نفس المصدر. ص ٣٤ - ٣.

<sup>٧</sup> نفس المصدر. ص ١٦١ - ١.

<sup>٨</sup> نفس المصدر. ص ١٤٨ - ١.

للسجناء<sup>١</sup>. كانت تجيد حياكة الملابس وتفخر بعملها أمام وحيد: "الفن ليست الكتابة فقط والهروب مع الواقع، الفن هو كل ما يعطي مردوداً عملياً، ما يعطي الدفء لصدر أسير في مخيم الاعتقال"<sup>٢</sup>. ونسجت أكثر من عشر جراري للمعتقلين أثناء غياب وحيد في الاعتقال، والقرية تحت منع التجول<sup>٣</sup>. كانت أم إسماعيل امرأة عجوزاً، ساهمت في فعاليات الانتفاضة، ووقفت مع أبي قيس والشباب في طليعة المظاهرات والمواجهات<sup>٤</sup>. وما يدل على دورها في الانتفاضة قول ماجد وهو غضباناً على اعتراض الشيخ عبد الله على حضور أم إسماعيل مع الرجال في الاجتماع: "لو رأى الشيخ أم الشباب وهي تقذف الحجارة على الجنود، لو رآها وهي تضمد الجراح وتحمل الشهداء، تحمي الشباب بذراعيها وصدرها وتخلصهم من الجنود، لخر ساجداً لها"<sup>٥</sup>. كانت أم الشباب تقود الثورة وتعلم الأطفال الأغنية والقصة والتاريخ<sup>٦</sup>.

### تحذير من مصيدة حركات السلام

يحذر الدكتور أحمد حرب من حركات السلام ونشطائها الذين يترصدون لقطف ثمار المقاومة الشعبية، ويقول بأن كل ما يجري باسم السلام مصيدة نصبتها رجال المخابرات الإسرائيلية. وقد رسم الكاتب في هذه الرواية شخصية هادي، الشاب الفلسطيني، الذي يحاول لبناء الجسر بين الشعبين العربي واليهودي. يرى هادي بأن الانتفاضة قد وصلت إلى مرحلة الاستثمار السياسي لتحقيق مطالب الشعب الفلسطيني<sup>٧</sup>، ويوسس مكتباً في القدس باسم مكتب الجسر للصحافة والإعلام، ويصدر مجلة أسبوعية باسم مجلة الجسر<sup>٨</sup>. يعقد هادي اجتماعاً في مكتبه، ويشارك فيه قوى السلام في إسرائيل وفلسطين. كان رئيس مجموعة السلام الإسرائيلية يوسي الذي عرف نفسه بأنه ضابط من قوات الاحتياط، وأنه من سكان تل أبيب. وكان معه شخص آخر عرف نفسه بأنه "أهaron زيف" وأنه أيضاً من ضباط الاحتياط<sup>٩</sup>. ومع تقدم القصة يتضح بأن يوسي ضابط مخابرات، ويعيش في المستوطنة القائمة على أرض قرية العين، وأن صاحبه أهaron زيف هو أبو النمر، ضابط المخابرات، الذي استدعا وحيد إلى مكتبه، ووعده أن يجعله رجلاً سياسياً أعظم من

<sup>١</sup> نفس المصدر. ص ١٦٥.

<sup>٢</sup> نفس المصدر. ص ١٦٥.

<sup>٣</sup> نفس المصدر. ص ٢٣٦.

<sup>٤</sup> نفس المصدر. ص ١٦٥.

<sup>٥</sup> نفس المصدر. ص ٧٣.

<sup>٦</sup> نفس المصدر. ص ٧٦.

<sup>٧</sup> نفس المصدر. ص ٩٥.

<sup>٨</sup> نفس المصدر. ص ٧٩.

<sup>٩</sup> نفس المصدر. ص ١٤١.

هادي إذا كان مستعداً للتفاهم مع المخابرات<sup>١</sup>. عندما انكشفت حقيقة هذه المسرحيات، وعلم وحيد بأن هادي يتعاون معهم مع علمه أنهم رجال المخابرات، اتهمه بخيانة شعبه بمسرحيات السلام<sup>٢</sup>.

### استحالة التعايش السلمي مع اليهود

ينكر الكاتب فكرة تأسيس الدولة الفلسطينية بجانب الدولة اليهودية وإمكانية التعايش السلمي بين الشعبين العربي واليهودي، من خلال شخصية إيمان. كانت إيمان، يهودية هاجرت من اليمن إلى إسرائيل مع عائلتها، ودرست عن الإسلام وأمنت به بعد أن اقتنعت بأنه هو الدين الصحيح. ثم تزوجت إيمان من هادي، وبدأ وابل من العقبات يمطر علיהם، من جانب العائلة والأقرباء وسلطة الاحتلال، وتحولت حياتهما في قرية العين إلى جهنم، واضطرا لالانتقال إلى القدس. مع أن إيمان كانت صادقة في إسلامها، لم تستطع أم هادي أن تقبلها زوجة لابنها، فنادتها بكل ما تعرف من الألقاب السيئة في اللغة العربية<sup>٣</sup>. وفي نهاية الرواية، نجد وحيد وهو يطلب منها أن ترجع إلى أرض ميعادها، ويقول لها بأنه لا يبقى لها شيء في أرض معادهم<sup>٤</sup>. وإذا كانت هذه حالة من دخل في الإسلام من اليهود، فكيف يمكن للفلسطينيين أن يتعايشوا مع سائر الصهاينة المحتلين لبلادهم؟

### أساليب جديدة للمقاومة

وقد أشار الكاتب إلى بعض الأساليب الجديدة لمواجهة الاحتلال، فتحدث عن بعضها بصراحة، فيما ضمن بعضها بين السطور. ومما كتب عنه بصراحة، مقاطعة جنود الاحتلال وإضعافهم نفسياً وجسدياً. وبإمكان هذا الأسلوب أن يجعل الجندي، الذي يكون بعيداً عن أهله، ويعيش بقوة السلاح بين شعب يكرهه، ويتحين الفرصة للقضاء عليه، محاصراً نفسياً. وسرعان ما يشعر الجندي بوحدة قاسية في بحر من الكراهية، يُعدّ له شعب محظى، ويصبح دائمًا في دائرة الخطر، الذي لا يمكن له أن يحدد مصدره<sup>٥</sup>.

وأما الأسلوب الذي اكتفى الكاتب بالإشارة إليه، فهو ما ذكر من رواية جونشتاينبك 'القمر كليب'، التي وجدها وحيد في غرفة أخيه وديعة بعد استشهادها. وكانت خلاصة المشهد الذي لفت انتباذه في الرواية، "أن النقيب تندر، أحد العسكريين النازيين الذين يحتلون القرية، يحاول أن يبني علاقة غرامية مع 'مولى موردن' الأرملة الجميلة التي أعدم النازيون زوجها رمياً بالرصاص. تظاهر مولي بالحب لتندر حتى يؤمن لها وقتلته في النهاية بمقص الخياطة وتنضم للثوار في الجبال"<sup>٦</sup>. لا يأتي الدكتور أحمد حرب في روايته بأي شخص يجرّب

<sup>١</sup> نفس المصدر. ص ٢٥٧-٢٥٨، ٢٠١.

<sup>٢</sup> نفس المصدر. ص ٢٠١.

<sup>٣</sup> نفس المصدر. ص ٢١٢-٢٣١.

<sup>٤</sup> نفس المصدر. ص ٢٧٠.

<sup>٥</sup> نفس المصدر. ص ٢٣٩.

<sup>٦</sup> نفس المصدر. ص ٢٤٧.

هذا الأسلوب، ولكن يرسم لنا قصة حب بين وديعة، المناضلة الوعائية، وي وسي ضابط المخابرات. ونجد وديعة أنها تنكر علاقتها مع يوسف حين يسألها وحيد في المرة الأولى، ثم تخبره حين يسألها مرة ثانية بعد أيام، بأنها تحب يوسف، وأن علاقتهما علاقة شريفة، وأنه رجل يحب السلام ومتعاطف مع حقوق الفلسطينيين<sup>١</sup>. ورغم اعتراف وديعة عن جهها، لم يستطع أحد يعرفها أن يصدق هذه العلاقة، وبقي سر علاقتهم مسحوراً مع استشهاد وديعة. ونرجح بأن وديعة كانت متأثرة بقصة 'مولى مورده'، وأرادت أن تقضي على يوسف مثلها.

#### الخاتمة

كانت هذه الدراسة محاولة بسيطة لمعرفة أثر الانتفاضة الأولى في أدب المقاومة الفلسطيني بدراسة رواية الجانب الآخر للأرض المعاد للدكتور أحمد حرب. ورأينا أن الرواية لا تختلف في صلبها عما ذكرناه من تاريخ الانتفاضة من حيث طابعها وأساليب نصاليها. وإن جميع النقاط التي ذكرناها في هذا البحث، تدل على أن الانتفاضة الأولى قد لعبت دوراً فعالاً في تنشيط أدب المقاومة الفلسطيني، وكلها تصب في مساندة المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الصهيوني.

#### المصادر والمراجع

١. الأزرغر، محمد خالد. المقاومة الفلسطينية بين غزو لبنان والانتفاضة. ط - ١. بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية. ١٩٩١.
٢. حمدان، غسان. حمدان، غسان. الانتفاضة المباركة: وقائع وأبعاد ٨ ديسمبر ١٩٨٧ - ٨ أبريل ١٩٨٨.
٣. د. محمد صالح، محسن. القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات بيروت. ٢٠١٢.
٤. د. حرب، أحمد. الجانب الآخر للأرض المعاد. ط - ٢. بيرزيت: منشورات جامعة بيرزيت.



<sup>١</sup> نفس المصدر. ص - ١١٣.

## صورة المرأة الفلسطينية في رواية 'ربيع حار' لسحر خليفة

السيد عمير خان م<sup>١</sup>

د/ محمد بشير ك<sup>٢</sup>

### الملخص

الرواية العربية الحديثة لعبت دورا هاماً في تصوير المرأة الفلسطينية في ملامحها المختلفة، وصورت مشاكلها داخل الأرض المحتلة وخارجها. والرواية الفلسطينية سحر خليفة إحدى الروائيات العربيات السابقات لعرض قضية المرأة الفلسطينية، و الحديث عن مشاكلها وهمومها. وهذه المقالة تهدف إلى دراسة لفهم صورة المرأة الفلسطينية في روايتها الثامنة 'ربيع حار'. وقبل الحديث والخوض في الموضوع ، لابد من الوقوف على حياة الروائية سحر خليفة والتعرف على مسيرتها الأدبية. ولدت سحر عدنان خليفة عام ١٩٤١ م بمدينة نابلس. وأتمت دراستها الإبتدائية والإعدادية والثانوية في مدارس مدينتها. وحصلت على بكالوريوس في اللغة الإنجليزية من جامعة بير زيت<sup>٣</sup> في رام الله عام ١٩٧٧ م. كما حصلت على درجة الماجستير في الأدب الانجليزي من جامعة شبل هل- نورت كارولينا<sup>٤</sup> بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٣ م، والدكتوراه من جامعة أيوا<sup>٥</sup> في دراسات المرأة والأدب الأمريكي عام ١٩٨٨ م. وأصدرت حتى الآن إحدى عشرة رواية<sup>٦</sup>. وهي نالت العديد من الجوائز العربية والعالمية ومن أهمها: جائزة محمد زفاف للرواية العربية<sup>٧</sup> وجائزة البرتو مورافيا<sup>٨</sup> للرواية الأجنبية عام ١٩٩٦ م ، وجائزة سيرفانتس<sup>٩</sup> للرواية الأجنبية عام ٢٠٠٣ م ، وجائزة نجيب محفوظ التي تحملها الجامعة الأمريكية في القاهرة عن روايتها 'صورة وأيقونة وعهد قديم'. وترجمت رواياتها إلى أكثر من ١٥ لغة عالمية أمثل اللغات الفرنسية والألمانية والإنجليزية والروسية.

### خلاصة الرواية

وقد صدرت رواية 'ربيع حار' أولاً عن مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة في رام الله عام ٢٠٠٤ م . وفي نفس السنة صدرت أيضاً عن دار الهلال ، ضمن سلسلة روايات الهلال ، بالقاهرة وعن دار الآداب للنشر

<sup>١</sup>باحث الدكتوراه في قسم العربية، جامعة كاليكوت ومحاضر في كلية روضة العلوم العربية بفاروق، كيرلا، الهند

<sup>٢</sup>مشرف البحث ورئيس الجامعة، جامعة كاليكوت

<sup>3</sup> BirZeit University

<sup>4</sup> North Carolina Chapel Hill

<sup>5</sup> University of Iowa - USA

<sup>6</sup> لم نجد جوابي لكم (١٩٧٤) ، الصبار (١٩٧٦) ، عياد الشمس (١٩٨٠) ، مذكرات امرأة غير واقعية (١٩٨٦) ، باب المساحة (١٩٩٠) ، الميراث (٢٠٠٢) ، صورة وأيقونة وعهد قديم (٢٠٠٤) ، ربيع حار (٢٠٠٩) ، أصلٌ وفصل (٢٠١٠) ، حي الأول (٢٠١١) ، أرض وسماء (٢٠١٣)

<sup>7</sup> تمنع هذه الجائزة مؤسسة منتدى أصيلة المغربية كل ثلاثة سنوات وتحمل الجائزة اسم الروائي المغربي الراحل الشهير محمد زفاف. وقد فاز بهذه الجائزة سابقاً روائيون كبار هم السوداني الرحالة الطيب صالح (٢٠٠٢) والليبي إبراهيم الكوني (٢٠٠٥) والمغربي مبارك ربيع (٢٠٠٨) والسوسي حنا مينة (٢٠١٠). سحر خليفة هي أول كاتبة عربية تحصل بهذه الجائزة.

<sup>8</sup> Alberto Moravia Award- Italy

<sup>9</sup> Cervantes Award - Spain

والتوزيع في بيروت. والرواية تتضمن قسمين وقسمها الأول بعنوان 'ربيع حار' وعنوانه الثاني 'رحلة الصبر والصبار'. وكذلك تشمل الرواية على سبعة وستين مقطعاً قصيراً دون آية عنوان فرعية للمقاطع.

إن مرحلة هذه الرواية هي مرحلة انتفاضة الأقصى حيث اجتاحت القوات الإسرائيلية مدن الضفة الغربية في ربيع العام ٢٠٠٢ وما تبع ذلك من حصار على مقر الرئيس ياسر عرفات في المقاطعة برام الله. والأحداث كلها تتحرك عبر مختلف مدن وقرى ومخيימות الضفة الغربية ولكن نقطة ارتكازها تبقى في مكان واحد، هو 'حوش العطوط' في حارة 'الياسمينة' بالبلدة القديمة من نابلس. ولذا أن الكاتبة سحر خليفة تهدي هذه الرواية إلى نساء حوش العطوط بهذه الكلمات: "نساء حوش العطوط في نابلس القديمة.. لنحفر التجربة في الذاكرة ووعي الأجيال".

وليست 'ربيع حار' رواية تاريخية ، ولكنها تسعى إلى 'حفر' التاريخ، على طريقتها الخاصة، وباختياراتها الملائمة لها، في الذاكرة والوعي. ويمكن القول أن 'ربيع حار' رواية تسجيلية التي تصور لنا فظائع أعمال جند الاحتلال ضد أبناء الشعب الفلسطيني زمن الانتفاضة الثانية 'انتفاضة الأقصى' بنقل المشاهد المتفرقة من أعمال الجندي على الحواجز والطرق والمواقع المختلفة، وخاصة ما فعلوه في نابلس ورام الله في ربيع العام ٢٠٠٢.

وتتبع الرواية واقع ثلاث عائلات فلسطينية كعيّنات فاعلة في سيرورة الأحداث، وهي حسب الأهمية:

- عائلة القسام: تضم الوالد 'فضل القسام' ، وابنيه 'أحمد' و'مجيد'.
- عائلة أم سعاد: تضم الأم المكافحة المستقلة بذاتها وابنتهما 'سعاد'.
- عائلة الوشمي: تضم ابنه 'بدر الوشمي' وابنته 'لورا' وتظهر شخصية وشي في شكل عميل متزلف للعدو.

إضافة إلى هذه الشخصيات الفاعلة في الرواية نتعرف على 'ميرا' الفتاة اليهودية ابنة المستوطنة التي علقها أحمد ابن فضل القسام .

والقسم الأول من الرواية يتميز بتقديم الشخصيات الأساسية والحالات النفسية والاجتماعية والانفعالية. وكذلك تصور الكاتبة الجيل الجديد الفلسطيني وأحلامه ونظراته الخاصة بفلسطين والحياة التي طرأت عليهم من آمالهم على أثر اتفاقية أوسلو. وصوّرت لنا الكاتبة هذه التحوّلات من خلال شخصيات أسرة فضل القسام بدءاً من التضاد بين الأب وابنيه أحمد ومجيد. وفضل القسام مثل جيل الآباء، الجيل الذي وعي النكبة وعاني الغربة وقاد التشريد والظلم والجوع فهو يرفض آية علاقة وتعامل مع المستوطن الذي يحتل أرضه ولده. وابناته مجيد وأحمد يمثلان الجيل الجديد. إبنه الأول مجيد فهو مشغول بالموسيقى والغناء واللهو والاحفلات والحب حتى أنه عمل في المستوطنة القريبة دون علم أبيه. وإذا لامه والده على مصروفه

الكبير كان مجيد يغضب ويعلن حريته في ما يفعل وأنه يصرف كما يريد ويتحدى والده في أكثر من موقف. وأبوه يتآلم وهو يرى تضائق ابنه من سماع قصصه عن الماضي وحياة المخيم. ومجيد تعرف على ابنة الوشعي 'لورا'. وهي معجبة بمجيد القسام وبعدها عملت في الصحافة مع محطات تلفزيونية أوروبية ساعدت مجيد على التقدم ليصبح نجماً تلفزيونياً من خلال المقابلات العديدة التي تجريها معه. أما ابنه الثاني أحمد فهو يحب القراءة ولا يحب اللهو واللعب مع الأولاد، ولا يتظاهر ولا يرشق الحجارة ولا ينط ولا يركض بل يهرب دائمًا من المظاهرات. تتميز شخصية أحمد بالضعف والخوف، والحب الصامت للهوية 'ميرا' التي يعتقد أنها أسمى مخلوق. والقسم الأول ينتهي سريعاً باعتقال أحمد بهمة القيام بعملية تخريبية ومطاردة مجيد خوفاً من اتهامه بقتل بدر الوشعي وتفجر العنف في كل الأرض لتكون بداية الرحلة الصعبة، 'رحلة الصبر والصبار'.

أما القسم الثاني 'رحلة الصبر والصبار' فيتميز بتسجيل مشاهد العنف والقتال والمواجهات والموت ويستحضر مشاهد من موقع عدّة خاصة من نابلس ورام الله ومقر الرئيس الشهيد ياسر عرفات. وهذا القسم هو إعادة صياغة لمذكرات الصحفي رشيد هلال أحد المرافقين للرئيس عرفات ، فتذكر الكاتبة في الصفحة الأخيرة من الرواية أنها قد استعانت بكتابات وشروحات رشيد هلال المرافق الصحفي للرئيس. وفي هذا القسم الكاتبة تفقد زمام شخصياتها بتأثير من التحولات السريعة التي طرأت على الحياة الفلسطينية. أو كأن هناك رغبة من الكاتبة بالإحاطة بكل ما يحدث بدءاً من حصار نابلس وتدمرها وصولاً إلى حصار مقر ياسر عرفات في رام الله وبيناء الجدار الفاصل العنصري. وفي ظل هذا الوضع المأسوي والمفعج تتعرض شخصيات الرواية لتحولات مفاجئة وغير منطقية أحياناً. ونرى هذه التحولات في شخصيات مجيد وأحمد بصورة واضحة.

فمجيد ذلك الطالب الجامعي الذي يهوى الموسيقى والغناء ، يبرز في القسم الثاني كمناضل ضد المحتل ، فترك جامعته وحلمه في الحصول على منحة جامعية في إيطاليا. وهذا التحول الجذري تتغير مشاعره وتتبدل نظرته للحياة والناس. فيرى علاقته السابقة بلوراً مجرد 'طيش شباب' أي أنه صار يغلب هموم شعبه على همومه العاطفية وموضوعاته الشخصية. يقول "هؤلاء الناس هم المساكين ، وليس لورا".<sup>١</sup>

وأحمد ذلك الطالب الذي لا يتقن الكلام ويهرب من المظاهرات والمواجهات ، ذلك الفتى الناعم الهادئ العاشق الذي انجذب نحو ميرا الفتاة اليهودية ابنة المستوطنة ويحلم بمستقبل يكفل له حياة سعيدة هانئة معها. ولكن سرعان ما وجد نفسه يقع في السجن بهمة القيام بعملية تخريبية فচقلته أيام السجن القاسية وخرج منه شاباً قوياً شجاعاً. وعندما خرج من السجن ترك الدراسة واختار العمل مع رجال الإسعاف. وهذا هو اليوم يقوم بفعل مناقض تماماً، ويعمل رفقة والده على منع تقدماً للمجرفات والمجنزرات، ويقدم المساعدة للجرحى والمعطوبين. أخيراً يرفض أحمد لرغبة ميرا بالسير معها.

<sup>١</sup> سحر خليفة ، ربيع حار ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م ، ص ١٦١

وتنتهي الرواية بسرعة. وتكون الهاية بمقتل الفتاة البريطانية راشيل وبإشهاد أحد. شاركت راشيل مع صديقتها ميرا في مجموعة من المتطوعين الأجانب. قامت هذه المجموعة تظاهرة سليمة ضد تدمير المنازل في قرية 'عين المرجان' قرب نابلس تمهدًا لبناء جدار الفصل العنصري . وصارت الأوامر مشددة فالتمهت إحدى الجرافات العملاقة راشيل دون رحمة. ظهر أحد بعمليات انتشارية حيث يقود سيارة الإسعاف نحو عدد من الجنود الذين جاءوا لحراسة تلك الآليات الضخمة. وفي اليوم التالي خرجت الصحف ووكالات الأنباء لتعلن عن عملية استشهاد أو عملية إرهابية جاءت مع ختام الرواية."فصاح الوالد: أبني استشهد! في اليوم التالي سمعنا الخبر. قالوا: إرهاب."<sup>١</sup>

### الشخصيات النسائية في الرواية

وقدّمت سحر خليفة مجموعة من الشخصيات النسائية في رواياتها المختلفة ، وكان لكل شخصية من الشخصيات صورتها الخاصة وقضيتها الخاصة. ومن أهم هذه القضايا التي عرضت في رواياتها المختلفة : تحقيق الذات ، القضية الاجتماعية ، القضية الوطنية. وفي رواية ربّع حار تقدم الكاتبة شخصيات نسائية مهمة. فهناك شخصية ميرا الفتاة اليهودية – وهي أول شخصية يهودية تظهر في روايات سحر خليفة – وشخصية سعاد الفتاة المثقفة ، وشخصية أم سعاد ، وجدة مجید 'أم شهيرة'، ولورا الوشي التي أحبت مجيد.

ومن أهم القضايا التي طرحتها الكاتبة في 'ربّع حار' قضية عمل المرأة. وناقشتها من خلال شخصية 'أم سعاد' إن عمل المرأة يوفر لها نوعاً من الحرية الشخصية لأن اعتمادها على الرجل يجعل موقفها ضعيفاً فتكون تابعاً له ، فلا يستطيع مخالفته أو الخروج على سلطانه. ومن خلال شخصية أم سعاد تطرح الكاتبة قضية عمل المرأة بشكل جديد. كانت 'أم سعاد' امرأة عادلة، بسيطة وساذجة، مثل غيرها من نساء الحوش، لا تعرف من الحياة سوى زوجها وأولادها ورعايتهم. ولم يبق لها في البيت سوى ابنته سعاد لأن أولادها قد ذهبوا إلى حال سبيلهم واعتقلت القوات الاسرائيلية زوجها. وبعد سجن زوجها اضطرب حالها.

فشخصية أم سعاد حرة ومستقلة لأنها متحركة اقتصادياً ، لا تنتظر من الرجل أن ينفق عليها وعلى أبنائها ، بل على العكس تماما هي التي تنفق على الأسرة وتعلم الأولاد ، وتتكلف بمصاريف المحامي الذي يدافع عن زوجها في السجن ، وهي المسؤولة الأولى عن العائلة . "أبو الأولاد لم يورثها إلا القلق والهمّ والغمّ ومصروف الدار ومصاريفه. فهذا للمحامي ، وهذه مصاريف الزيارة ، وهذا مصروف لدخانه وأكله وشربه حين تزوره".<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> سحر خليفة ، ربّع حار ، ط ١ دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٤ م ، ص: ٣٧٣-٣٧٤

<sup>٢</sup> سحر خليفة ، ربّع حار ، ط ١ ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٤ م ، ص: ٢٤٢

وفي النهاية شخصية أم سعاد ليست هي ذاتها تلك المرأة القديمة الضعيفة بل صارت قوية وقدرة على إعالة نفسها وابنتها وعائلات أخرى كثيرة أيضاً. وكان غياب زوجها سبب قوتها وشجاعتها." فهي المسؤولة عن فتح البيت، وهي المسؤولة عن المشغل وأجر البنات. مذ فارقها وقع في السجن، صارت إمرأة قوية. في البداية، ككل النساء، قبعت في البيت تطبخ وتنفس وتحبل وتلد مثل القطط والأرانب. في كل سنة ولد في البطن وولد في الحضن وولد يلتصق بركبها، حتى طفت أرakan الدار، وما عادت تتسع لفقم جديد. فجاء اليهود ورحموها. أخذوا المحروس فقاموا البيض، وتركوا الدجاجة والصيصان. صاحت ناحت وشدّت الشعر ثم انتفضت وبدأت تعمل. باعت أسرورة مبرومة واشتريت ماكينة لحبك الصوف. ثم أخرى، ثم أخرى. فامتلأت الدار بالماكينات. وكبر الأولاد. وذهب سعيد ليدرس في الشام. وعزيز ذهب إلى المغرب. وموان هاجر لأميركا. ومحمود استشهد بعملية بغور الأردن. وجميل راح، وعماد راح. وما بقي منهم إلا سعاد. فكيف إذن يقولون البنات لا نفع لهن؟ وكيف إذن لا تحب سعاد؟ وكيف إذن لا ينادونها يا أم سعاد؟".<sup>١</sup> ويمكن لنا القول إن رواية 'ربيع حار' بكل أشخاصها وتفاصيل أحداثها المهمة، وهي سيرة ذاتية لهذه المرأة فحسب، في تحولاتها وعلاقتها ورؤيتها للأحداث.

وأما شخصية 'سعاد' فهي خير نموذج للفتاة المناضلة. ومن خلال شخصيتها قدمت الكاتبة قضية النضال الوطني. سعاد فتاة متعلمة ، تعيش مع أمها ، وتدرس مع مجید في الجامعة، تحب أحد القادة النضاليين ، وتقع في حيرة بين الموافقة عليه أو رفضه ، اعتقل والدها وأدخل السجن وأصبحت الأم هي المسؤولة عن العائلة ولم يبق لها في البيت إلا سعاد ولذلك يناديها الناس بأم سعاد. فهي تؤمن بتناسخ الأرواح ، لأنها إنسانة عاطفية وشفافة ترى في المخلوقات كائنات مستقلة ، يجب أن تحترم وأن يكون لها الحق في الحياة. وعند الاجتياح يبرز دورها النضالي فتعمل في الإسعاف وتداوي الجرحى وتطعم المقاتلين وتحف جراحهم. وهي شاركت في التنظيمات وفي توزيع المنشورات والمظاهرات. وقد وقعت سعاد في حب 'النصراوي' ذلك الشاب الذي شدها بنضاله، وكثيراً ما كانت أمها تدفعها للزواج منه. ولكنها ترفض خطيبها لأنها ترفض أن تكون زوجة تقليدية تابعة للرجل الذي يحد من حريتها واستقلالها وكيانيتها.

وإن سحر خليفة تقدمها كعنصر مرجعي في محاولة لتغيير صورة المرأة لدى المجتمع الذكوري الذي ينظر إلى المرأة كمخلوق دوني. ومن خلال شخصية 'سعاد' يمكن أن تكون فكرة أخرى عن المرأة الفلسطينية الفاعلة، بل نحس أن سحر خليفة تبشر بميلاد جيل جديد من النساء اللاتي لا يكتفين بالبكاء ووضع اليد على الخد، وأنها لا تنهزم إذا أحببت، ببساطة لأن قضيتها أكبر، وسعاد واحدة منها. وهي تأخذ موقفاً معارضًا من الحركة الإسلامية والفكر السلفي ، الذي يريد العودة بالمرأة إلى الوراء.<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> سحر خليفة، ربيع حار، ط ١ ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٤ م . ص ٢٤١-٢٤٢

<sup>٢</sup> وائل علي فالح الصمادي ، صورة المرأة في روايات سحر خليفة ، دروب للنشر والتوزيع - عمان .. ٢٠٠٠ ، ص: ١٥٧

فكانت ميرا رمزاً مستحياً للتعايش بين العرب والمُهود بسلام. وعندما يخرج أحمد من السجن تكون البنت ميرا قد كبرت ، وتذهب مع دعاء السلام للمظاهره ضد بناء الجدار العازل. وفي نهاية الرواية نرى أنها حاولت أن تمنع أحمد من تفجير نفسه ولكنها فشلت. وبذلك تكون ميرا رمزاً لتعايش صعب بين العرب والمُهود ، لأن قتل الآخر وظلمه لا يدفع إلا لمزيد من إراقة الدماء.

#### الخاتمة

إن الكاتبة سحر خليفة قدّمت جميع الشخصيات النسائية التي شغلت دوراً في 'ربيع حار' بصورة إيجابيّة. وهذا يبرز في شخصيات أم سعاد وسعاد وزوجة فضل القسام ولوّرا ابنة بدر الوشّام وفي نصيحة السلام الفتاة الإنكليزية التي استشهدت دفاعاً عن حياة فضل القسام وبيتها. وحتى ميرا الفتاة اليهودية المستوطنة كانت نموذجاً للفتاة المناضلة التي تحب السلام والتعايش وترفض كل مظاهر العنف والقتل والاحتلال. ولم نجد شخصيّة أنثوية واحدة اتصفّت بالسلبية، على عكس الشخصيات الذكورية. فبدر الوشّام ووالده كانوا عميلين لل الاحتلال ، ونرى عيسى وعشرات من الشباب الذين تورّطوا في العمالة وخانوا أهلهم وشعّبهم ووطّبّهم. وبالجملة تتحقق الشخصيات النسائية في روایات سحر خليفة ذواتهن بتحقق السلم الاجتماعي والسياسي والفكري. وكذلك إنّ سحر خليفة عملت على تغيير أحد أهم المفاهيم الخاطئة المتوارثة عن المرأة، وهي ضعفها، وعدم قدرتها على الإنتاج والحياة وإعالة الأولاد بعد اختفاء الرجل من حياتها. فقد أدركت المرأة طاقاتها وقدراتها، وعرفت ذاتها وموقعها، بعد أن امتدت إليها روح التغيير.

#### المصادر والمراجع

١. الدكتور كامل السوافيري، الأدب العربي المعاصر في فلسطين، دار المعارف - القاهرة - ٢٠٠٤.
٢. د. عادل الأسطة، قضايا وظواهر نقدية في الرواية الفلسطينية، - ط١ ، مؤسسة الاسوار\_ عكا ٢٠٠٢ م
٣. د.شاكر فريد حسن، قراءة في بوأكير الرواية الفلسطينية تحت الاحتلال -- [united.com/article.php?I=391&A=15644](http://www.copts.com/article.php?I=391&A=15644)
٤. د.أحمد منصور، صورة المرأة المقاومة في الرواية الفلسطينية [http://jamahir.alwehda.gov.sy/\\_print\\_veiw.asp?FileName=464011072010111523021](http://jamahir.alwehda.gov.sy/_print_veiw.asp?FileName=464011072010111523021)
٥. شوقي بدر يوسف، المقاومة وال الحرب في الروايات العربية - جريدة الزمان الدولية العدد ٤٢١٤ التاريخ ٣١-٥-٢٠١٢
٦. ربيع حار، سحر خليفة، ط١ ، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤ م
٧. وائل علي فالح الصمادي، صورة المرأة في روایات سحر خليفة، دروب للنشر والتوزيع - عمان - ٢٠١٠-



## القضية الفلسطينية في الشعر العربي الحديث والمعاصر

د/ ن عبد الجبار<sup>١</sup>

### الملخص

منذ بداية التأmer على فلسطين وأهلها بالظهور، أصبحت القضية الفلسطينية موضوعاً هاماً عند الشعراء العرب بأجملها. ولا نكاد نعرف شاعراً عربياً إلا وله شعر في الموضوع، مع أنهم اختلفوا في أراءهم في القضية. ومنهم الشعراء الذين خصصوا فلسطين بديوان كامل كعمريهاء الدين الأميري في ديوانه "من وحي فلسطين" ، ووديع البستاني في ديوانه "الفلسطينيات" ، ومعي الدين الحاج عيسى في ديوانه "من فلسطين واليهما". إن القضية الفلسطينية قضية دائمة ومولدة ساكنة في قلب عربيٍ وخاصة الذين خدموا قضية أمّتهم العربية بشعرهم الملزّم والكلمة الأمينة الصادقة. وحملوا في نفوسهم شحنات الرفض والتمرّد على العدو وظلمه. إن الشعر شكل من أشكال الثقافة وسلاح من أسلحة المناضلين. إن جو شعرائنا هو عالم المأسات الفلسطينية المتمثل في الاقطاع والنفي من فلسطين والمعانات اليومية خارجها.

### القضية الفلسطينية

ومن أقوال هؤلاء الشعراء المذكورين في هذا البحث أنه واضح كلّ الوضوح أنَّ مزاعم الصهيونية بحقّها التاريخي في فلسطين باطلة من أساسها، وتفتقر إلى الأدلة التاريخية والأسانيد القانونية. وأنَّ الوجود العربي في فلسطين، القائم منذ خمسين قرناً من الزمان، لا يمكن أن يمحوا ادعاء شعب حاقد بحقّه في فلسطين مجرد أنه احتلّها لبعض عشرات من السنين.

إن كارثة فلسطين أكبر حدث في تاريخ العربي الحديث وهي لم تكن كارثة أبناء فلسطين فحسب، بل كارثةعروبة والإسلام. وهي كارثة الإنسانية في القرن العشرين. وهذه جريمة كبيرة التي ارتكبها الصهيونيون والاستعمار. والصهيونية حرّكة يهودية قام بها أصحابها في مواجهة التحدّيات والأخطار التي واجهت اليهود في أوروبا والاضطهاد الذي واجهوه في أجزاء كثيرة منها. وكانت تطلع هذه الحركة إلى إيجاد وطن قومي في أي بقعة من بقاع العالم للاقامة فيها والهجرة إليها. وقد وجدت هذه الحركة تقبلاً من النفوذ الاستعمار البريطاني.

وأرض فلسطين احتلّتها اليهود أولاً فأقاموا الكيان الإسرائيلي عام ١٩٤٨م، وفي عام ١٩٦٧ ضمت إسرائيل بقية أرض فلسطين إلى دولتها العدوانية. وكانت تلك الفترة حافلة بالاحباط النفسي لما شهدت من هزائم ومذابح وتشريد. وقد التمّعت في خلالها بوارق من أمل بسبب التغيير الذي حصل في بعض البلدان

<sup>١</sup> الأستاذ المشارك ورئيس قسم الماجستير في البحوث في اللغة العربية وأدابها سابقًا، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا وعميد كلية جامعة إسلامية للعلوم والآداب، مانجيري، ملابرم ومشرف البحوث (حالياً).

العربية، وظهور الثورات العربية التي جعلت شعارها تحرير فلسطين الا أن هزيمة ١٩٦٧ م أجهزت على ما تبقى من آمال.<sup>١</sup>

ان قضية فلسطينية قضية دامية ومؤلمة ساكنة في قلب عربي وخاصة الذين خدموا قضية أمّهم العربية بشعراهم الملزّم والكلمة الأمينة الصادقة. وحملوا في نفوسهم شحنات الرفض والتمرد على العدوّ وظلمه. ان الشعر شكل من أشكال الثقافة وسلاح من أسلحة المناضلين. ان جو شعرائنا هو عالم المأسات الفلسطينية المتمثل في الاقتلاع والتّفّي من فلسطين والمعانات اليومية خارجها.

منذ بداية التّامر على فلسطين وأهلها بالظّهور، أصبحت القضية الفلسطينية موضوعاً هاماً عند الشعراء العرب بأجملها. ولا نكاد نعرف شاعراً عربياً الا وله شعر في الموضوع، مع أنّهم اختلفوا في أراءهم في القضية. ومنهم الشعراء الذين خصّصوا فلسطين بديوان كامل كعمر بهاء الدين الأميري في ديوانه "من وحي فلسطين" ، ووديع البستاني في ديوانه "الفلسطينيات" ، ومحى الدين الحاج عيسى في ديوانه "من فلسطين واليها".

والشاعر العراقي خالد الشواف يشير العرب الى القتال في دفاع فلسطين:

فلسطين بانتت بأيدي اليهود      فما نتظركم للقتال  
أما هزّكم سوء المصير      فقد هزّ والله حتى الجبال

ومن اليمن يصرخ الشاعر يحيى بن علي الذّاري :

هل ملّ بصارخ اذ ينادي      من فلسطين بالأخذ الثّار؟!

قال أحمد محرم من مصر:

في حمى الحقّ ومن حول الحرّم  
أمّة تؤذى وشعب يهتضّم  
فزع القدس وضجّت مكة  
وبكت يثرب من فرط الألم

ومن سوريا يبلغ الانفعال غايتها لدى عمر أبو ريشة حتى يقول مخاطباً أمّته ، مصوّراً احساسه بالمهانة:

أتلقّاك وطرفّي مطرق  
خجلاً من أمسك المنصرم  
ربّ (وا معتصماه) انطلقت  
ملاً أفواه الصّبّايا باليتّم

<sup>١</sup> الدكتور عبد الله، س.ك، أضواء على العالم العربي الحديث، (تحرير) مكتبة تورونغادي، كالكوت ٢٠٠٥ ، ص: ١٧٩

لامست أسماعهم لكثرا  
لم تلامس نخوة المعتصم<sup>١</sup>

والشاعر السوري نزار قبّاني أحد فحل من فحول الشعراء العرب المعاصر وصاحب مدرسة شعرية لها سماتها الفنية يقول في شعره الرائع "يا تلاميذ فلسطين" ، ويحتوي هذا الشعر على اثنان وعشرين بيتا، ومنه:

يا تلاميذ فلسطين علّمونا  
بعض ما عندكم فنحن نسينا  
علّمونا بأن نكون رجالا  
فلدينا الرجال صاروا عجينا  
علّمونا كيف الحجارة تغدو  
بين أيدي الأطفال ماسا ثمينا  
كيف تغدو دراجة الطفل لغما  
وشريط الحرير يغدو كمينا  
كيف مصاصة الحليب اذا ما  
قد لزمنا جحورنا وطلبنا منكم  
أن تقاتلوا التّنينا<sup>٢</sup>

ومن لبنان يلبي الشاعر محمد الحريري نداء فلسطين معلنا استعداده للتضحية حتى الموت:

يا فلسطين تميّي تجدي  
ما تميّيت بنا حتى الرقابا

وعلي أحمد با كثير، الشاعر والقاص والمسرحي من حضرموت ينادي أبناء فلسطين:

بني يعرب ماذا دهاكم أجيبوني  
ألم تشهدوا أشلاءكم بفلسطين ؟

ويؤكّد الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة حق أبناء فلسطين في أرضهم:

القدس لابن القدس لا متشرد

متصهين ومهاجر غدار

ومن ليبيا نسمع شاعرها أحمد الفقيه حسن :

<sup>١</sup> الدكتور غصوب خميس غصوب أدب القضية الفلسطينية ، اللغة العربية - مطابع قطر الوطنية ، الدوحة، قطر ١٩٩٤ ص: ٥٣

<sup>٢</sup> نزار قبّاني، اطالة على حياته وشعره- دراسة- نقد- أدب اعداد: الشاعر والناقد علاء البربرى

ليست فلسطين دارا للهود ولم  
تخصّص لحكم الطغاة المستبدّينا

والشاعر السوري عمر براء الدين الأميري الذي شارك المجاهدين الفلسطينيين حرب ١٩٤٨ كان من أعظم الشعراء في العصرالحديث. وله عشرون ديواناً ما بين مطبوع ومخطوط ومن أشهرها "من وحي فلسطين".

وله ولع خاص في أمّة الاسلام وبخاصة بفلسطين وقضيتها والنكبة ومكائد الأعداء. وقد رأها بأمّ عينيه فنظم قصائد التي صدرت باسم "من وحي فلسطين"، ويقول فيها:

فلسطين يا آية الله في  
الوجود، ويا روضة من سناء  
مقام "الخليل" وعزّ المقام  
وجلّ "الخليل" أبو الأنبياء  
وحضن "البتول" ومحرابها  
ومهدّ "المسيح" صفي السما  
ومسري رسول هدى العالمين  
ومعراجها الفدّ يعلو العلاء<sup>١</sup>

ومن الشعراء الخليج ابراهيم العريض نظم قصيدة شعرية طويلة عام ١٩٤٩. صور فيها الشاعر نكبة أهل فلسطين ومعاناتهم والمذابح التي تعرضوا لها، وله ملحمة شعرية عنوانها "أرض الشهداء". ومن الشعراء الذين صوروا حال أهل فلسطين في وقت مبكر الشاعر العماني عبد الله الطائي وهو يقول:

هل فيهم غير منكوب له خبر  
لو بثّه جبلا لا ندّك من ساع  
ماضيه يحفل بالذكرى وحاضرها  
هم الذليل واحساسات ملتاع<sup>٢</sup>

وارتقت نظرة الشعراء الخليجيّين الى قضية فلسطين حتى صار أبطالها مبعث اعزازهم، فمجّدوا صور الفدائين وأعمالهم البطولية وبيّنوا أنهم سيفرضون حقّهم ببطولتهم وليس باستجادة المعذين. وفي القصيدة "الجرح الكبير" يوضح الشاعر الخليجي علي عبدالله الخليفة:

<sup>١</sup> البرفسور الدكتور محمد اجتباء الندوى، من وحي فلسطين" نقلًا عن "الأستاذ عمر براء الأميري ، مجلة المجمع العلمي الهندي ، يونيو ١٩٩٤ ص : ٣٣

<sup>٢</sup> الدكتور محمد ابراهيم حور، فلسطين في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج - حاشية ص: ١٤ نقلًا عن "اللغة العربية" ألقته لجنة من وزارة التربية والتعليم، الموجة، قطر ١٩٩٤ ص: ٥٦

أنا يا دانة الخلجان

يا أمي

أخيط الجرح في (بيسان)

بالايامان بالقوّة

أرى الانسان في (الأغوار) لا يرجو

عطاء العرف والقانون والنخوة

فيلاقي الحتف مختارا

أمام الشمس بين الأرض والموت<sup>١</sup>

وكان عبد الكريم الكرمي المولود عام ١٩١٧ والمتوفى عام ١٩٨٠ والملقب بأبي سلمى أشهر شعراء فلسطين . حين وقعت النكبة هاجر الى دمشق وأصبح معلم اللغة العربية باحدى المدارس الثانوية. وله ديوانان مطبوعان وهما "المشرد" و "أغنيات بلادي". وفي شعره يصوّر قسوة الصهيونيين والاستعمار الى أهل فلسطين ويحثّم لأخذ بالثار والانتقام:

يا فتية الوطن المسلوب هل أمل

على جباهكم السمراء يكتمل

أنتم بنو الشعب لا الطغيان يرهبكم

ولا زعيم على الشيطان يتكل

تبنون أمجادها ، والخلد رقرها

كأنّما هي بالأباء تتصل

ان الطريق الى العلياء مظلمة

ولن تضلّ وفي أيديكم الشعل<sup>٢</sup>

والمرحلة الثانية أو المعاصرة لقضية فلسطين تمتد من نكسة ١٩٦٧ الى أيامنا هذا. أكبر شعراء هذه المرحلة داخل الأرض المحتلة هم محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وخارج الأرض المحتلة عزالدين المناصرة ومعين بسيسو. و منهم محمود درويش أهم الشعراء الفلسطينيين المعاصرین الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة وحبّ الوطن. لجأت عائلة درويش اثر نكبة العام ١٩٩٨ الى جنوب لبنان ولم يتجاوز سبعة أعوام من العمر ، فظلّ هناك عاماً كاملا. ثمّ عاد مختفيا مع عائلته الى فلسطين حيث بقي لفترة قصيرة في قريته "ديرالأسد" في الجليل. استقرّ بعدها في القرية الجديدة المجاورة بالقرية البروة. وتنقل بين قرى الجليل

<sup>١</sup> نفس المرجع: ٥٦.

<sup>٢</sup> الدكتور عبد المجيد، بعد النكبة لأبي سلمى مقتبس من "جولة في الشعر العربي الحديث" ، مكتبة البدي ، كاللوت ٦ ٢٠٠٦ ص: ٤١ ، ٤٢

حيث تلقى دروسه الابتدائية و الثانوية واستقر في شبابه في مدينة حيفا. تعرض درويش منذ العام ١٩٦١ للاحتجاجات ألمانية اسرائيلية و اعتقل مارا وفرضت عليه الاقامة الجبرية بسبب أقواله ونشاطاته السياسية حتى غادر فلسطين المحتلة عام ١٩٧٢ ولجا إلى مصر. والتحق بصفوف منظمة الفلسطينيين وكان عضواً في لجنتها التنفيذية. ثم استقال من هذه اللجنة احتجاجاً على اتفاق أوسلو بين منظمة التحرير واسرائيل الذي وقع عام ١٩٩٣. ومن أشهر دواوينه: عصافير بلا أجنة و أوراق الزيتون وأصدقاء لا تموتو و عاشق في فلسطين و العصافير تموت في الجليل و مدح الظل العالي و حالة حصار وغيرها. وله قصيدة تسلي "أيها المارون بين الكلمات العابرة" ، وفيها:

أيها المارون بين الكلمات العابرة  
احملوا أسمائكم ، وانصرفوا  
واسرقوا ما شئتم من زرقة البحر ورمل الذاكرة  
وخذلوا ما شئتم من صور، كي تعرفوا  
انكم لم تعرفوا  
كيف يبني حجر من أرضنا سقف السماء  
أيها المارون بين الكلمات العابرة  
منكم السيف ومننا دمنا  
منكم الفولاذ والنار ومنا لحمنا  
منكم دبابة أخرى ومنا حجر  
منكم قنبلة الغاز ومنا المطر  
وعلينا ما عليكم من سماء وهوا  
فحذروا حصنكم من دمنا وانصرفوا  
وادخلوا حفل عشاء راقص ....وانصرفوا  
وعلينا نحن، أن نحرس ورد الشهداء  
<sup>١</sup> وعلىينا، نحن، أن نحيا كما نحن نشاء  
ومن شعر سميحة القاسم :  
مثلاً يرجع عصافور إلى العرش الحبيب  
مثلاً يحمل تلميذ حقيبه  
مثلاً تعرف صحراء خصوبه

<sup>١</sup> توفي عياد الأحمدى ميلود بن عمار عيسى، الراحل الكبير محمود درويش " جزيرتين - ٢٠٠٨

### هكذا تنبض في قلبي العربية

والشاعر الأردني جميل علوش الذي نلمّس في شعره التفائل بعودة فلسطين لأهلها رغم هول المصاب فيقول:

يا أمي ذوقت روحي نائحا  
أواه لو تدرّين بعد مزافري  
زحفت عليه الحادثات فرابطي  
وعدت عليك العاديات فصابرني  
وترقبي الغد ان فيه بشائرنا  
للزاحفين مع الصباح الباكر

ان النساء الفلسطينيات المناضلات هنّ أيضاً لم ينجون من حملة المضايقات وحالات الحصار والاعتقال من قبل العدوّ. وقد اعتقل العدوّ عدداً كبيراً من النساء اللواتي يشاركن في الثورة. وراح العدوّ يسلط عليهنّ أبشع العذاب. والشاعرة فودي طوقان تصوّر حالة البنات والأطفال الذين التهمهم السجون الإسرائيليّة ، فتقول:

وشرعـت جهـنـم أـبـواـهـاـ  
وابـتـلـعـت بـرـاعـم الصـبـيـ الطـرـيـ فـي أـقـبـائـهـاـ  
ولـم تـزـلـ هـنـاكـ الغـنـوةـ  
عـلـى شـفـاهـ الفـرـسانـ  
حـمـراءـ مـزـهـوةـ  
تـخـرـقـ الـظـلـامـ وـالـجـدـرانـ

أيضاً تسرد لنا الشاعرة موجات حزينة لما يجري في السجون كما في قولها:

يـحـومـ لـنـاـ طـيفـ أـمـيـ يـحـومـ  
تـشـعـ بـعـيـنـيـ جـهـةـ أـمـيـ كـضـوءـ النـجـومـ  
عـسـاـهـاـ تـفـكـرـيـ إـلـآنـ .... تـحـلـمـ  
قـبـيلـ اـعـتـقـالـ

والشاعرة فودي طوقان تتذمّر منها في السجن وهي تعاني من ويلات السجون والوحدة القاتلة فيها فلا ترى سوى وجه السجان الذي سلب من الأحرار حرّيتهم وسلب القمر والشمس وهي تقول:

ويـقـفـ السـجـانـ وـجـهـهـ حـجـرـ  
وعـيـنـهـ حـجـرـ

يسلب متألّف الشمس يسلب القمر  
خلف حدود الليل  
الشمس في انتظارنا تظلّ والقمر

فالشاعرة استطاعت أن ترسم لنا مشهداً حزيناً للفلسطينيات في المخيّمات، فقد أتيحت لها الفرصة للتعبير عن المشردين والمشردات تعبيراً موضوعياً لأمّها واحدة من الذين طردوا من ديارهم وسلبت حرّيتهم واختلست حقوقهم. فكلّما جاء العيد تعود اليه ذكريات الأيام السعيدة في يافا ونابلس وبقيّة المدن التي اغتصبها الأعداء وراحوا يتمتعون بخيراتها مع أمّها تصوّر ذكريات مؤلمة تعيشها هي وأخواتها اللاجئات في المخيّمات فتقول بهذه المناسبة:

وفي الليالي الموحشات الطوال  
نلمحها نجمة  
تشع في الأفق الخفي البعيد  
تؤمن في صمت إلى عالم  
ضاح جديد  
تحلو المني فيه....وتتسخو الوعود  
ويزهر الحلم ويذهو الوجود<sup>١</sup>

وعلى هذا يعبر الشاعر الفلسطيني يوسف الخطيب عن حنينه إلى وطنه ورغبته في العودة إلى مدينة يافا. والمدينة تذكره بأيامه السعيدة وألامه اللذيدة، واليوم لم يبق له سوى الذكريات ألّيمّة، فهو بلا وطن، يعيش مشرداً ينتقل من جحيم إلى جحيم. وهو ينشد بنغمة ألّيمّة:

يا يافا...وفي أيّة دنيا ؟  
ان نغرب عنك ، في نلقاك- حتى  
في ربّي الجنّة.....ايذانا ورؤيا

والشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي يعبر عن احساسه العميق نحو مدينة يافا التي اغتصبها العدو وطرد أهلها وحل محلّها ليتمتع بخيراتها وثروتها. فيقول البياتي في قصيدة تحت عنوان "أغنية":

يافا.....يولك في القيود  
عار تمزّقه الخناجر، عبر صلبان الحدود  
وعلى قبابك خيمة تبكي

<sup>١</sup> المشري مصطفى، أدباء وشعراء ومطبوعات : القضية الفلسطينية في الشعر المعاصر، ستار تايمز ٢٠٠٩ .٣ .١٥

وخفاش يطير

يا وردة حمراء..... يا مطر الربيع<sup>١</sup>

أرض فلسطين أصبحت مسرح بطولة هذا الجيل، وهي تقدم إلى الأمام على درب النضال أن توقفه رياح الأعداء، وأن كلّ بقعة من أرض فلسطين عطرت بدماء الشهداء وجعلتها أرضاً أديماً. وكل قطرة دم سالت ستنبت منها ألف مجاهد.

والشاعر اليمني أحمد محمد الشام يدعو أمته إلى التضامن للندو عن كرامة الوطن العربي وسيادتها والحفاظ على قوميتها وعروبتها. وهو يذوب في أمته العربية ناسيَا نفسه مسخراً شعره لخدمة قضية فلسطين التي هي أغلى قضية في الوقت الراهن فيقول:

صنعاء نجأ بالشكوى وبغدان  
وجلق المجد في هم وتطوان  
وفي الخليج وفي نجد ثور رؤي  
للقدس تبكي لها مصر ولبنان  
من أجل وحدتنا فلننس أنفسنا  
ولننس ما كان في يوم وما من كانوا  
قضية العرب أغلى وهي قد ظهرت  
لها جنود وأنصار لها شنان<sup>٢</sup>

والشعراء العربي الحديث والمعاصر قد واكبوا أحداث فلسطين ونقل لنا صوراً صادقة لما يجري في الأرض المحتلة التي تشهد تضحيات جسمية قدّمتها الثوار من أجل الوطن والسيادة العربية. واستطاع الشعر أن يلعب دوراً كبيراً في ايقاظ الوعي الوطني والقومي لدى شعب العربي داخل فلسطين وخارجها. والشعراء كثيرون في هذا القبيل مثل سليمان العيسى، وعلي محمود طه، والشاعر العراقي عبد الوهاب الغريبي، والشاعر الفلسطيني خليل حسونة الذين اعتقدوا أن النضال ضروري لردّ الأعداء والجهاد واجب مقدس عندما يتجاوز الأعداء كل الحدود. واللغة الوحيدة التي يعرفها المستعمر المستبد هي لغة الرصاص. والمأساة الفلسطينية التي تركت الجروح تنزف ألمًا أيقظت الوعي القومي لدى الشعراء العرب. فسخروا شعرهم لخدمة قضية فلسطين التي هي جزء من قضية أمتهم العربية.

وأخيراً هذا حقّ علىّ أن أقول شيئاً عن الشاعر الموهوب المولوي كوتى الكوتوري من أهل بلدنا و هو يعيش في مقاطعة ملابرم بولاية كيرالا الذي قرض أشعاراً رائعة بدبيعة إلى الغاية في شأن فلسطين. يصرخ

<sup>١</sup> نفس المرجع

<sup>٢</sup> نفس المرجع

الشاعر معارضًا لارهاب اسرائيل ومؤيدًا لأبناء فلسطين في شعر رائع تحت عنوان " قساوة اسرائيل ضد المسلمين ". يصف فيه الشاعر أحوال فلسطين بعد التكبة الكبرى وعداوة اسرائيل وأمريكا وكيدهم ضد المسلمين . يتضمن هذا الشعر خمسة عشر بيتاً، ونقتبسه هنا لاعجاب القراء :

من دماء الشيخ يس المعين	أوقد التيران شارون اللعين
قتل رنتيسى الشيف الأمين	دجّت الدنبا اقشعرا الجلد من
ألف غاز يخلق القول المبين	انما دم الشهيد الواحد
عالم الاسلام عشرات السنين	أرض مأساة فلسطين على
غيم مدمي الحرب جواً مفتنين	آخر استهزا سلام ينطوي
قبل قرن صار أرض المبتلين	من خداع أهل صهيونية
يقتل الأطفال ليسوا مجرمين	دبر المساد حيلة بها
غير ثلاثة من المستضعفين	ليس لقوم ضداً نحوها
قائد الحماس للحق المبين	امتياز الشيخ يس هنا
واحشرنا زمرة المستشهدين <sup>١</sup>	بارك الله في استشهادهم

للشاعر شعر آخر في قضية فلسطين بعنوان " غَزَّة! بحر الدماء يموج ". وفي هذا الشعر المدهش الرنان يسأل الشاعر هيئة الأمم المتحدة " هل عندكم من مشعل كي تنشدوا الارهابيين " ويحثّم علىأخذ بالثار من اسرائيل . وهذا الشعر يحتوي على خمسة عشر بيتاً ويقول الشاعر :

هتكوا بأشنع صولة أتعدد	كم من صباكم نسوة من أبريا
هل يحرس الزرع اللعين فينجد	أفلام تروا يا هيئة الأمم لنا
ان دماغكم لمفسد	ان لم يكن ذا نفس ارهابية عجباه
كاميركا هلا جعلتم يقصد	أو ليس حق النقض أيضا عندكم
فلكل أصحاب القلوب يكبد	بحر الدماء يموج في أرجائها
حق وذاك الجرم منهم أحد	حرية الترب الذي ولدوا به
للاسرائيل الهند قولا شددوا	فليوقفن أمريكا في موقف
اسة للعدل نحن نشيد	وآها لهند اذ تقول شجاعة
كم مسرحيات رأينا عَقدوا <sup>٢</sup>	ايقاف رمي بنادق هل ينفع

<sup>١</sup> المولوي علوي كي الكوتوري ، قساوة اسرائيل ضد المسلمين ، الموزع ٢٠٠٤ .٤ .١٩

<sup>٢</sup> غَزَّة! بحر الدماء يموج ، كتبها المولوي علوي كي الكوتوري ، الموزع ٢٠٠٩ .١ .١١

## الخاتمة

ومن أقوال هؤلاء الشعراء المذكورين أعلاه هذا واضح كل الوضوح أن مزاعم الصهيونية بحقها التاريخي في فلسطين باطلة من أساسها، وتفتقر إلى الأدلة التاريخية والأسانيد القانونية. وأنّ الوجود العربي في فلسطين، القائم منذ خمسين قرناً من الزمان، لا يمكن أن يمحى ادعاء شعب حاقد بحقه في فلسطين مجرد أنه احتلّها لبعض عشرات من السنين.

## المصادر والمراجع

١. الدكتور غصوب خميس غصوب ، اللغة العربية (مراجعة) تأليف: لجنة من وزارة التربية والتعليم ، الدوحة، قطر ١٩٩٤
٢. الدكتور عبد الله، س. لـ أضواء على العالم العربي الحديث، مكتبة ترورنгадي، كالكوت ٢٠٠٥
٣. علاء البريري ، رقّباني : اطالة على حياته وشعره- دراسة- نقد- أدب Forum stop55.com/209 ٤٥٤
٤. الدكتور محمد اجتباء الندوبي "من وحي فلسطين" لعمّ بهاء الدين الأميري نقلًا عن "الأستاذ عمر بهاء الأميري" ، مجلة المجمع العلمي الهندي ، يونيو ١٩٩٤
٥. للدكتور غصوب خميس غصوب ، نقلًا عن "اللغة العربية" ، لجنة من وزارة التربية والتعليم، الدوحة، قطر ١٩٩٤
٦. الدكتور عبد المجيد جولة في الشعر العربي الحديث" ، مكتبة الهدى ، بكالوريوس ٢٠٠٦
٧. لنومي عياد الأحمدى ميلود بن عمار عيسى ، الراحل الكبير محمود درويش " جزايروں " ١٠٨.٢٠٠٨
٨. المولوي علوى كي الكوتوري، قساوة اسرائيل ضد المسلمين، المؤرخ ١٩.٤.٢٠٠٤
٩. المولوي علوى كي الكوتوري، غرّة! بحر الدماء يموج ، كتبه ، المؤرخ ١١.١.٢٠٠٩
١٠. أدباء وشعراء ومطبوعات : القضية الفلسطينية في الشعر المعاصر بقلم لمشري مصطفى ستار تايمز ١٥.٣.٢٠٠٩



## المقاومة من أجل البيت المقدس من شعر المقاومة الفلسطينية

د/ إيه. ك. ساجد<sup>١</sup>

### الملخص

وقد شهدت القدس على مدى التاريخ حروباً صعبة، لكن أبناءها استطاعوا أن يخلصوها من دنس الغزاة والطامعين، وما زالت القدس تتعرض منذ احتلالها من الخامس من يونيو ١٩٦٧ م إلى أبشع الجرائم التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، حيث يحاصر أهلها وتصادر منازلهم وأراضيهم، ولا يسمح لهم بالبناء حتى يتكيفوا مع ظروف الحياة، وينزل المحتل كل ما يستطيع لهم من محاولات لمنع تمدد سكان العرب في المدينة المقدسة، فلا يصدر لهم رخص البناء الالزمة كما لا يسمح بجمع شمل العائلات الفلسطينية، والممارسات والأعمال التي يقوم بها المحتل الغاصب أكثر من أن تحصى. إلا أن أكثر الممارسات الإنسانية تقع بحق المسجد الأقصى، إذ لم يتوقف المحتل الصهيوني يوماً عن الحفر تحته وحول جدرانه وساحاته، فإنه يتمنى أن ينهار بيت المقدس ثم لا يسمح بإعادة بنائه بعد هبوطه، كما يسعى المحتل الغاصب جاهداً إثبات الميكل المزعوم بالبحث تحت المسجد الأقصى.

أما الفلسطينيون فقد هبوا مراراً للدفاع عنه أمام هجوم الصهاينة عليه، ولم يدخلوا جهداً في ذلك، فقد سقط الكثيرون شهداء على ترابه الطاهر. ولا يزالوا إلى وقتنا هذا يكشفون مخططات العدو وممارساته اليومية، وأنشأوا لذلك جمعيات ومؤسسات ترعى القدس وأقصاها، ويحاولون الاتصال بمنظمات إنسانية لهم يجدون يد العون والمساعدة. والشعراء الفلسطينيون لم يجدوا إلا أقلامهم للدفاع عن التراب المقدس، ونراهم يكترون الحديث عنه، إنهم يسعون بكل ما أوتوا من قوة أن يغرسوا حب الوطن بأسره في قلوبهم، ويحاولون إيقاظ العرب والمسلمين من سباتهم العميق. يربط الشاعر 'رزق البياري' بين حبه وأحلامه للقدس، ويعبر عن اختلاط آلامه بجراهه، ونراه يجسد ذلك الحب والحلم بقوله:

لأنك ... أجمل ....  
ما خلق الله من البلاد ...  
ولأن ... في عينيك انغرست  
كل أحلامي الوردية ...  
ولأن ثراك المفدى ...  
جبناه بالأكباد ...  
ستبقين برغم المنافي والإغتراب ...

<sup>١</sup> أستاذ مساعد، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق (حكم ذاتي)، كالكوت.

قبلة كل أمانِ الأبدية ...

ولأنك تعيشين بين الجوارح

وفي آلامي وأناتِ الحراج ..."١

يعبر الشاعر 'جَهَادُ إِبْرَاهِيمُ دروِشُ' عن عاطفة جياشة نحو القدس، ويتمى العودة إليها لتحريرها من الأسر، ويعود النور إليها بعدها سيطر على ظلام المحتل الغاصب، يقول:

"أَيَا قدسُ إِلَيْكَ الحُبُّ أَغْنِيَتِي تَبَثُ الشَّجَوُ الْجَانِيَ تَبَكَّيْنَا

أَبْعَدَ النَّأْيَ هَلْ نَلْقَاكِ ثَانِيَةً حَدِيثُ الْأَنْسِ كَالشَّرِيَانِ يَحِينَا لِدُرُبِ النُّورِ عَزَّ النُّورُ فِي  
وَطَنِي وَحَلَالَقَهْرِ بِالْأَرْزَاءِ يَكُونُنَا

وَمَا جَرْمُ سَوَى عَجَزٍ يَكْبِلُنَا كَأَنَا مُنْحَشَّا شَارِصَ الْأَرْضِ وَالْطَّبِينَا

لَكُمْ صَمَّ وَكُمْ مَشْلُولٌ يَرْدِفُهُمْ فَمَنْ لَكَفِيفُ كُمْ فِي الْقَلْبِ سَكِينَا"٢

ويعبر الشاعر 'رَزْقُ الْبِيَارِيُّ' عن قداسة القدس ومكانتها الدينية التي دفعته إلى عشقها، حيث لا توجد أرض بها حرية كحريتها:

"ولأنك أنت القبلة الأولى ...

وأرض الأنبياء

ولأجلك ...

يتفجر عشق الفداء

ولأنني أنا نسر ...

يبحث عن سماء ..."٣

والقدس لا تقبل أن يمر عليها العدى، فهي تتنفس وتثور، فعندما زارها شارون ثارت وهبت، وكانت هيّها جحيمًا على الصهاينة، وأثبتت أبناء القدس في كل مكان أنهم لا يسكنون على تدنيسها، هذا ما كان ينطوي عليه قول الشاعر "شهاب محمد":

"هَبَّتِ الْقَدْسُ وَالْبَلَادُ وَشَعْبُ

عَرَبِيٍّ مِنْ (الصَّفَا) لِلْجَزَائِرِ

وَالْحُكُومَاتِ تَكْتُبُ الشِّعْرَ سَرًا

<sup>١</sup> رزق البيراري، ديوان مساءات، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس ، غزة، ط١، ١٩٩٩ م، ص ٣.

<sup>٢</sup> جهاد إبراهيم دروش، ديوان وجه آخر للفرح، دارالمقداد للطباعة، غزة . معسكر الشاطئ (بدون التاريخ) ص ١٣.

<sup>٣</sup> رزق البيراري، ديوان مساءات، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس ، غزة ، ط١، ١٩٩٩ م، ص ٣٦.

ثم تتلو البيان، والليل ساتر  
سقط الضيَّعون في ظلام ويأس  
ثم لاذوا، مكابراً ومتاجر  
أيها الخائبون، في سدة الحكم  
كافاكم تنافخاً، وتفاخر  
أيها الزائفون أدركنا الذبح  
وناحت على البكاء المنابر<sup>١</sup>

أما الشاعرُ محمد محمود عبد الرحيم مهدي<sup>٢</sup>، فيبيين أن القدس تنام وهي جريحة، وأنه يتمنى لقاءً في  
أقصاها الأسير، ويتمني خلاصه من الأسر، والشوق في شراینه نار تقادم تنفجر. يقول الشاعر:  
”تأنَ القدس في أذني“

وتزحف في خلايا الجسم مذعورة  
وتصحو في ثياب القهر تدعوني  
فينمو الجرح في عيني  
لهيباً داماً يُعي  
وأقصاناً ببيت الغدر مأسورٌ  
متى اللقاء وكسر سلاسل الدَّلَل  
متى الآذان بالتكبير نرفعه؟  
فناري في شراینه  
كجمر الشوق لا تخبو<sup>٢</sup>

وستظل القدس في القلب، ولن يخبو ضياؤها، وستظل قبلة أهلها، وأما المستوطن الغاصب الذي  
يسلب الأرض وينهب المقدسات فلن تطول إقامته، لأن القدس ترفضه، وترفض أن تكون لغير أهلها، يصور  
الشاعر إبراهيم قراعين<sup>٣</sup> صمود القدس في وجه الاحتلال، يقول الشاعر:

”لنا القدس تبقى لن تكون لغيرنا على الرغم أناحالفي القدس مائلٌ  
فمستوطن فيها على الأرض يعتدي وما شاء منسلب ونهب فاعلٌ  
ويطرد أهل القدس منها ويُدعى له الحق أما ما عاده فباطلٌ“

<sup>١</sup> شهاب محمد: ديوان رجع الجوى، إتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، رام الله، ٢٠٠٥ م، ص ٢٧، ٢٨.  
<sup>٢</sup> محمد محمود عبد الرحيم مهدي: ديوان طرقات على جدار الصمت، بالتعاون مع إتحاد الكتاب الفلسطينيين، غزة، ط١، ٢٠٠٥ م، ص ٥٩، ٦٠.

لنا القدس تبقى لن تبدل جلدتها  
بجلد احتلال دون جدو يحاولُ  
لنا القدس إني في العروبة آمل  
إلى القدس في يوم تُشدَّ الرحائلُ  
لنا القدس تبقى يا عروبة إننا  
إذا ما قصتنا لن تعزَّ الوسائلُ<sup>١</sup>

وإلى الذين صموا آذانهم عن صخرة القدس، ينادي الشاعر عبد الكريم العسولي<sup>٢</sup> بأعلى صوته لإنقاذ القدس، وبين الشاعر أن الشعوب قد نامت عن القدس، وغرقت في الحب والخمر، وتركت اليهود يدنسون المقدسات وينتهكون الحرمات، فيقول:

”يا قدس  
كم نادى المنادي في العاصم  
صخرتي في النار تهوي  
والماذن تحضر  
لم يسمعوا  
كانوا على أشلاء راقصةٍ  
يصبون المدامنة والدرر“<sup>٣</sup>

وتوجه الشاعرة رحاب كنعان<sup>٤</sup> نداءً إلى كل المسلمين، وإلى كل أصحاب الأديان الأخرى بأن يهبوا لنجدة القدس وتخليصها من التزوير ومحو الهوية. فتقول:

”فيما آل محمد .. يا كل الأديان  
أيحق أن تداس قدسنا أو تهان؟  
لن ندعك بين جمر الكانون والكانون  
وبين تزوير الحقوق والقانون  
ستنهض من بين الطلل  
من قسوة ..  
الخيام ..  
والتشرد ..“<sup>٥</sup>

ويرى الشاعر أحمد دحبور<sup>٦</sup> أن زيتون القدس كزيتون غيرها، وترابها تراب، لكمها أسطورة خالدة، وإن كانت كغيرها لكنها في القلوب مغروس حبها. يقول الشاعر:

<sup>١</sup> إبراهيم قراغين، ديوان وتود أمواج البحار إلى البحار، مطبوعات دار العودة المقدسية، ط١، ١٩٩٨ م، ص ٢٧.  
<sup>٢</sup> عبد الكريم العسولي، ديوان النار والحجر، مكتبة النور، خان يونس، ٢٠٠١ م، ص ١٤، ١٥.

<sup>٣</sup> رحاب كنعان، ديوان شلالات الفصول الثمانية، مطبعة الرسالة، غزة، فلسطين، ط١، ٢٠٠٧ م، ص ١٩، ٢٠.

”وفي أرضك، مما يطا الناس، تراب كالتراب.  
فلمَّا وحدَكِ القدسُ،  
وما دونكِ أسماءً .. قُرى، أو مُدن؟  
ولما طارت الصخرةُ،  
وانكَبَ عليكِ الدهرُ؟  
<sup>١</sup>فيكِ السطُّرُ يجري نحو أسطورته،“

كما يصور الشاعر ‘أحمد دحبور’ أن القدس حياته ومماته وبعثه، وأن العودة إليها حلم حياته، فهي مشاعره وأفكاره، يقول:

”والوعد أن ينقله الرعدُ ويرعايه السحابُ  
هو لا يسأل بل يدخل في سحر الجوابُ:  
ما الذي يجعل منك القدس غيري؟  
أنت مهدي، صخرتي،  
ميلاد إسرائي،  
وإسفلتُ سماويٌ لطيري  
ولهذا أنت حكمُ بالعذابُ  
وأنا المحكوم بالعودة ..“<sup>٢</sup>

لا تطيب الحياة، ولا يطيب الحديث والقدس تشكو أسرها، لكنها بعد شمس الحرية ستصبح وردة وأغنية لكل حر شريف. وبين الشاعر ‘سليم النفار’ أن أهل القدس صامدون بالرغم من حرقهم وملحقتهم. ويقول في هذا المشهد:

”أَيَّ الْكَلَامُ يَلِيقُ ...  
وَالْقَدِيسُ فِي رِيحِ تَئَنِ ...  
يَا وَرَدَةَ الْفَجْرِ الَّذِي،  
يَحْمُوا ... عَلَى وَجْعِ يَفِيقٍ  
كُلَّ الصَّبَاحَاتِ الَّتِي،  
فِي عَتَمَنَى حُبْلَى،  
بِرَايَاتِ، وَمِيعَادِ عَتِيقٍ

<sup>١</sup> أحمد دحبور: ديوان هنا هناك، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ط١، ١٩٩٧ م، ص ١٤، ١٤١.

<sup>٢</sup> المرجع السابق، ص ١٤٥.

هذا حرائقهم ... تطاردنا  
ونسكنها ...  
ففيها روحنا وهو عقيق<sup>١</sup>

إن الإنسان الفلسطيني قد نذر روحه لأجل قدمه، لا يتوازن عن حمايتها بحرسها بقلبه ووجوده، وهذا الاندماج مع القدس عبر عن الشاعر عبد الحكيم أبو جاموس، قائلاً:

”هي قدسنا نفدي بهاء أرجحها  
ونظل حراساً لمسجدها  
ولأجل عينها نسير  
إلى المصير  
ونعتلي  
في لجة التحرير  
٢“ ريح العاصفة

وفي موضع آخر يتحدث الشاعر عبد الحكيم أبو جاموس عن ثبات الشعب الفلسطيني وهو يدافع عن مقدساته ويتحدى المعتدي الغاصب الذي يوشك على الاندحار والهزيمة:

”لحظة الحزن تبدّت في انهمار الأدمع	و الجماهير تحدّت حقد نار المدفع	فاصبر يا أمّنا	نحن أشبال التحدّي	يا فلسطين استعدّي لا ندّهار الغاصبين	فاصبر يا أمّنا
”	فاصبر يا أمّنا	نحن جيل لا يلين	يا فلسطين استعدّي	فاصبر يا أمّنا	”

ولا يملك الشعب الفلسطيني إلا إيمانه وأمله ليقاوم مؤامرات اليهود في هدم مقدساته. ومهما بالغوا في هدمها وسعوا إلى إقامة هيكلهم المزعوم، ستظل الحجارة المقدسة رافضة أعمالهم الخبيثة. سليمان دغش يقول:

”لم يبق عندي  
غير خارطي

<sup>١</sup> سليم نفار، ديوان بياض الأسئلة، منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة، رام الله ، فلسطين، ٢٠٠١، م، ص ٦١، ٦٢.

<sup>٢</sup> عبد الحكيم أبو جاموس، ديوان فراشة في سماء راغفة، منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة، رام الله ، فلسطين، ط١، ٢٠٠١، م، ص ٢٤.

<sup>٣</sup> عبد الحكيم أبو جاموس، ديوان فراشة في سماء راغفة، منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة، رام الله ، فلسطين، ط١، ٢٠٠١، م، ص ٢٤.

وللتوراة أن تمحو  
كما شاء الإلهُ  
فوق مئذنة الرسول  
وتقيم هيكلها القديم  
على رفاة عنادلي  
وعلى  
حجارة  
<sup>١</sup>مستحيلي”

ويبشر الشاعر صلاح الدين الريماوي<sup>١</sup> بعودة القدس وحرمتها إلى أهلها، وعودة البهاء والأمجاد، كما يبين الشاعر امتراج جسمه وقلبه بترابها، وأنه يتنفس بأنفاس القدس التي لم تفارق روحه لحظة، يقول الشاعر:

”فإنها مطبوعة  
في خاطري وعيونيه  
تلك التي نعشقها  
منذ السنين الخالية  
ما زال في أنفي شذى  
من عطرها وجبينه  
تسرح في أنحائها  
عواطفي وشجونيه”<sup>٢</sup>

أما الأقصى الأسير فله مكانة لا تساومها مكانة، فيزداد الشوق والحنين إليه، وتختلط فيه الأشواق بالآحزان التي لا تزول إلا بصلاحه فيه. يقول الشاعر صلاح الدين الريماوي:

”تحن للأقصى الأسير  
تشتاقه صلاتيه !  
وللكنائس حرمة  
أبدي لها أشواقيه  
فإن من يرتادها  
هم إخوتي في داريه

<sup>١</sup> سليمان دغش، ديوان عاصفة على رماد الذكرة، منشورات دار القدس، ط١، ١٩٩٥ م ، ص .٤١.

<sup>٢</sup> صلاح الدين الريماوي: ديوان من محاسن الطبيعة. المركز الفلسطي니 الثقافي اليوناني، رام الله، ط٤، ٢٠٠١ م، ص .٣٠، ٣١.

أهدي لـكل منهم  
أزهار ورود ناديه”<sup>١</sup>

أما الشاعر 'جمال سلس'، فيبين أن الشوق إلى القدس وأقصاها قد اتخذ ينابيع لها مجار، وأن هذه الينابيع ومغاربها نقشت وصبت في قلب القدس:

واليقظة في الروح بحار

تختطفى خدعة ليل

وتصب حنن الشوق،

قلب القدس !!

## ولماذا تبحث والمجرى منقوش

في محراب الأقصى .!؟!

مر عليه ملاك الرب

وطبره من وحل الرجس

٢- هل تسأل عن حـ ..؟؟

الخاتمة

إن القدس قلب فلسطين، وقد رأينا كثيراً من الشعراء يكتبونها، ويصورون تخلٍّ العرب والمسلمين عنها، ولم يزل هؤلاء الشعراء يعبرون عن أملهم في تحريرها وتخليصها من دنس الصهابية، وستظل القدس مغروسة في قلوبهم، لأنها رمز وجود الإنسان الفلسطيني وبقاوته، وسيبقى الفلسطيني رافضاً لأحاديث السلام مع العدو الصهيوني الغاشم ما دام يسلب القدس حرمتها، ويعيث ب المقدساتها.

للقدس مكانة عظيمة من الناحية الدينية والناحية التراثية، والقلوب بوعي إسلامي تشتق إليه، والمؤمن يحرسه بروحه ووجданه، إن هذا هو السبب لوفرة شعر المقاومة في الأراضي الفلسطينية دون غيرها.

المراجع السابقة، ص ٣٠، ٣١.

<sup>٨</sup> جمال سلسع، ديوان عش الروح، منشورات إتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ط١، ١٩٩٨ م، ص ٧، ٨.

## المصادر والمراجع

١. إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، الطبعة الثالثة، دار الشروق للنشر والطبع، ٢٠١١ م
٢. سلمى الخضراء، موسوعية الأدب الفلسطيني المعاصر، مؤسسة الدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٨ م.
٣. محمد عبد الله، اتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من ١٩٦٨ إلى ١٩١٨، دار الآفاق الجديدة، بيروت .
٤. غزان كنفان، الأدب المقاومة في الأرض المحتلة الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٧ م.
٥. رجاء النشاشي، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، دار الجلال، بيروت .
٦. رزق البياري، ديوان مساءات، الطبعة الأولى، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس - غزة، ١٩٩٩ .
٧. جهاد إبراهيم دروش، ديوان وجه آخر لفرح، دار المقادد للطباعة، غزة - معسكر الشاطئ (بدون التاريخ) .
٨. رفيق أحمد علي: ديوان خيوط الفجر، الطبعة الأولى، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس - غزة ، ٢٠٠٥ م.
٩. شهاب محمد، ديوان رجع الجوى، إتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس - رام الله، ٢٠٠٥ م.
١٠. محمد محمود عبد الرحيم مهدي، ديوان طرقات على جدار الصمت، بالتعاون مع إتحاد الكتاب الفلسطينيين، غزة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.
١١. رحاب كنعان، ديوان شلالات الفصول الثمانية، الطبعة الأولى، مطبعة الرسالة، غزة - فلسطين، ٢٠٠٧ م.
١٢. أحمد دحبور، ديوان هنا هناك، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ١٩٩٧ م.
١٣. عبد الحكيم أبو جاموس، ديوان فراشة في سماء راعفة، الطبعة الأولى، منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة، رام الله - فلسطين، ٢٠٠١ م.
١٤. سليمان دغش، ديوان عاصفة على رماد الذاكرة، الطبعة الأولى، منشورات دار القسطل، القدس، ١٩٩٥ م.



## الهند كما تتعكس في الشعر العربي المعاصر

د/ جمال الدين الفاروقى<sup>١</sup>

### الملخص

منذ القدم يقال عن الهند إنها أرض الحكمة والعلوم ، وهي بذلك صارت محطة أنظار العالم، ينظرون إليها بشيء من الدهشة والإعجاب. وقد أثرت علومها وتراثها وفلسفتها وحكمها في خريطة الإبداع البشري ، وفاقت قرائج العديد من العلماء والحكماء ممن أثروا بها ما لديهم من المعارف والحكم، ولهم في وصفها مقالات مستفيضة ، إن البوذية والجينية والتقاليد الهندوسية تركت المجال واسعا أمام الباحثين العرب لانطلاقه جديدة نحو السمو الإنساني والبحث عن الحقائق اللا نهائية ، كما أن الزعماء الهنود من أمثال رابيندرنات طاغور والسيد محمد إقبال والسيد جوهر لال هنرو ومهاتما غاندي كانوا يحتلون مكانة مرموقة في الأوساط الثقافية العربية، ازدانت بهم صفحات الأدب العربي المعاصر، وقد بلغ من حب أهل مصر نحو السيد غاندي وجوهرلال هنرو أن سموا أطفالهم بهذه الأسماء رمزاً لمكون الحب والاحترام لهؤلاء السادات. ولا تزال الهند المعاصرة بسكانها البالغ عددهم ١٢٠ مليون ، تخطو في مسیرتها إلى الأمام بمعطياتها السخية لكل الشعوب فوق المعمورة . وفي جعبتها الكثير والمثير من المعارف والفنون والعلوم مما يتحف به عشاق العلوم ورواد الخيال.. ويظل يبقى الأدب العربي في قديمه وحديثه على مسحة من الجمال الذي أضفى عليه الهند ، وإن بعراة في عرصات امرئ القيس رغم تتبّعه ونجاسته يقوم رمزاً صادقاً في هذا الجمال. والمقالة تسلط الضوء على بعض البارزين من الشعراء العرب المعاصرین الذين تأثروا بالهند . جمالها وجميلها.

**الشاعر الدكتور محمد رجب البيومي (1923-2011)**

وكان من مواليد عام ١٩٢٣ ، ممن خدم اللغة العربية وأدابها، وكان عميداً لكلية اللغة العربية بالملحورة ورئيس تحرير مجلة الأزهر، والأستاذ المتفرغ بقسم الآداب والنقد بجامعة الأزهر ، نال شهادة العالمية من الأزهر وأخذ الماجستير والدكتوراه في الأدب والنقد. وكان من أصدقاء السيد لأحمد حسن الزيات والإمام عبد الحليم محمود والشيخ محمد سعيد طنطاوي، ومن تلاميذه محمد فريد وجدي ومحب الدين الخطيب، وقد عمل مدرساً بالإسكندرية وفي الأزهر، وأقام مدة في السعودية حيث توثقت علاقته بمجلة المنهل وصاحبها، ومارس الكتابة منذ الخمسينيات بمجلة الأزهر والهلال والرسالة والثقافة والأديب، وترك ذخيرة ثرية من المؤلفات ، ومنها: البيان القرآني ، وخطوات التفسير البياني ، وصدر كلاهما عن مجمع البحث الإسلامي بالأزهر. والبيان النبوي الذي أصدرته دار الوفاء للنشر، وأدب السيرة النبوية عند

(١) عميد كلية دار الأيتام المسلمين سابقاً، ويناد

الرواد المعاصرین، وأصدرته اللجنة العليا للدفاع عن الإسلام بالأزهر، والأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير ، والنقد الأدبي للشعر الجاهلي ، وتم نشرهما من المجلس العلمي لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. وكتاب أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد، أصدرته دار الأصالة بالرياض، ودراسات أدبية ، الصادر عن دار السعادة بمصر.

ومن أعماله الإبداعية في الأدب العربي: من نبع القرآن ، وحصاد الدمع، وصدى الأيام ، وحنين الليلي . ومسرحياته: ملك غسان، ومن قصص الأطفال: المغامر الشجاع، والمهمة العالية، ومؤامرة فاشلة ، والفارس الوفي، ويوم المجد ، والفتاة المثلثة ، وإلى الأندلس.

أما بالنسبة إلى الهند وأثارها فإن الشاعر كان شديد التأثر بتاج محل ، ذلك الصرح العظيم الذي ترك في قلب العالم ملمسات الحب وبصمات الحنان ، وإبداعه الشعري يسبغ عليه ثوباً من الجمال والبهجة والرخاء والمجد. ويقول في قصidته المعروفة "تاج محل":

أذلّك قصر الحب ما أبدع القصرا	أذلّك قصر الحب ما سفهت من خاله قبرا
أكبر وفينان الحدائق يرتمي	عليه فيكسو وجهه السنديس النضرا
أكبر وأنفاس الأزاهير حوله	تفوح فأني سرت تستروح العطرا
قباب تحلمها الجواهر زينة	تحال بها الأباء قد سقطت درا
أهانت كنوز المال في الهند فاغتدت	بعض صخور القبراذ رصفت صخرا
لعمرك ما هانت وقد راح بذلها	يصور وجد القلب في لوحة كبرى
ضريح يهز النفس فيض جلاله	فيهدر جياش الشعور بها هدرا
إذا لألات شمس النهار حياضها	شهدت لجيننا ناصعاً قد جرى نهراً
أضعاع عليه شاه جهان كنوزه	وخلال الذي أهداه محقرنا نزراً
إذا قاس ما أهدى ببالغ حزنه	رأى كنزة المبنول لا يبلغ الصفرا
إذ ازداد حزناً زاد بدلًا كأنما	يبرد بدل المال في صدره جمراً
يروق له أن يهض الصرح شامخاً	فيدرك كل الناس ماساته الحرى
إذا قُرنت أهرام خوفو وخرف	به ضؤلت وزنا وإن خلدت ذكري
لئن كانت الأهرام ذات جلاله	فليس بها من رائع الحسن ما أغري
أنيط به عشرون ألفاً من الوري	يوالونه جهداً ، وما ادخلوها صبراً
قصمّم أن يبني ضريحاً مخلداً	فلا يستطيع الموت أن يمحو الذكرى

مضى ذكرها يتلى فتحيا به قسرا  
فيخشع حزنا بعد ما تاه مغترا<sup>١</sup>

إذا ما رأى الراءون شاهق صرحتها  
لقد كان حتما أن يفارق حسنها

**الأستاذ إبراهيم العريض (1908-2002)**

كان أصله في البحرين، ينحدر من أسرة شيعية، أشرب في قلبه الحب نحو الهند بصورة طبيعية إذ كان والده رجلا هنديا. وكان أحد قادة الحركة الأدبية في البحرين ، وأقام في بومباي كثيراً حيث درس هناك وأتقن الإنجليزية والفارسية، ومن جامعة عليكره الإسلامية درس اللغة الأردية ، واستطاع أن يصوغ قالبه الشعري من ثقافته في اللغتين العربية والفارسية. وتقلب في عدة مناصب تدريسية وإدارية: مدرساً للإنجليزية بمدرسة البحرين ، ونائباً لمدير مدرسة الجعفرية ، كما أنه عمل رئيساً لقسم الترجمة مذيعاً في هيئة الإذاعة العامة، إلى جانب وظيفته بمنصب أمين الصندوق بقسم الجمارك. وكان كثير التأثر بالشعراء المعاصرين ورجال الاستشراق، قرأ كثيراً للأديب الإنجليزي شيك سبير كما أنه أغرم برباعيات عمر الخيام وتأثر به حتى كتب فيه كتاباً خاصاً. وقد ترك ثروة غنية في الأدب العربي نثراً وشعراً، ومن أبرز أعماله :

الذكرى ، وامتصحه ، أرض الشهداء ، رباعيات الخيام ، قبلتان ، المختار من الشعر العربي الحديث ، ديوان العريض ، مذكرات الشاعر.

ومن أجود قوله عن الهند وصفه لبلاد الإمبراطور الهندي أكبر، وهو يقول:

فعلى الفجر من سناء ، لوشك احرماره	لا يزال الظلام كوكبه في ازدهاره
هي تهوى الأسير، وهو لسامي اعتباره	أثر باهت على أفق في اخضراره
لم يعد . في الرياض تجهر للسرموضع	يالقلب المشوق، أوشكت الشمس تطلع
أفهذاك شخصه لاح كالظل يسرع	كل صمت هز عطفيه آه موقع
أو كان الطيور لحن هواها ترجع	فأحسست كأن في صدرها الشمس تسقط
أو كان الرياض.. أذن وعين وإصبع	أو كأن الظهور لولم يجيء ما تضوع
يا حبيبي ! وكم شكتك لعيوني أدمع	كيف تربو أسي وتؤمن خلفاً وتسمع
لو تأخرت ساعة لم تجد من تودع <sup>٢</sup>	كنت في مخبئي كأنني طير مروع
كم تمنت إذا رأت طفلة لو تكوها	وفي عنوان " دجا الليل " يقول:
	ما هناء القلوب إن لم تجد من يعينها

<sup>١</sup> د/شير أحمد الصديقي، قسم اللغة العربية، الهند بعد الاستقلال في الشعر العربي الحديث، جامعة عليكره الإسلامية، ص: ٦٥

<sup>٢</sup> نفس المصدر ص: ٤٥

وترى الحب قبلة لم يشمها مجومها  
ويرى إن قست بها ليلة كيف ليها  
يبنما اهتز خلفها عن خؤون كمينها  
لا تسلني ختام قصتها فهي دامية  
أنا عاينتها على سقمهما غير شاكية  
وترى الموت حين مد لها كف طاغية  
حجل الرجل أولاً فغدت غر حافيه  
يحضن الخود حيث شاه بأيد مواتيه  
ماضيا لا يرق للحسن حتى يواريه

فترى الدهر ساعة هي فيه جنونها  
وترى كل هبة حيث يحلو سكونها  
وتواتر بها قليلاً قليلاً غصونها  
قال من ظل بعدها مغضي الطرف ساهيه  
ما أند الحياة في الحب لو لا مأسيه  
تبصر الظلم كيف باسم التقى هز ناديه  
وهي من لمسه على وعيمها غير واعيه  
ثمت احتاز بالدرج ساقا .. فثانية  
كلما رص لحمها ألهب البرد دافيه

عبد المحسن الكاظمي(1871-1935)

كان من شعراء العراق ومن مواليد عام ١٩٣٥ ، عرف بارتجاله في الشعر، وتحلى بالحافظة العجيبة واعتداده النفسي مما جعله محل اهتمام لدى الأدباء الكبار آنذاك ، الذين أشادوا بقربيته وقدروا له شخصيته ، ومنهم عباس محمود العقاد، وعبد القادر المغربي ومحمد مهدي البصیر. واتصل في عنيوان عمره بالسيد جمال الدين الأفغاني مفكر الشرق، وكان ذلك في عهد السلطان عبد الحميد العثماني حيث كان النفوذ للأحزاب المتشيعة لأوروبا، مما سبب الفوضى السياسي ، مما أدى إلى نفيه من البلد ، ولاذ بالوكالة الإيرانية ببغداد. وفي هذا كله كان يحافظ على قرينته الشاعرية وأجاد في صناعة الشعر. وأول ما قرره كان في مجال الغزل والرثاء والفخر. وديوان الكاظمي الصادر في أربع مجموعات ، لينطق بصراحة عن مقدراته الشعرية وما بذل من الجهد الحثيث للاحتفاظ بأصالته. وتحت عنوان "في الطريق من حيدرآباد" يصف الهند وجمال طبيعتها وقرضاها وهو في رحلته من حيدرآباد إلى بشاور ، ومطلعها:

نضوى هوى متربعة أحشاؤه <sup>١</sup>	رمى أخو البرق به في أبرق
ترفض عن جسر الغضى حصباوته	ثم حدا المبرق في إرعاده
فصك كل مسمع حداوه	واستأنف السير فجاء مألفا
تنفر من مر الصبا إدماؤه	وما أقام برهة حتى نحا
حيا كما المونى به أحياوه	

<sup>١</sup> أخو البرق كنা�ية عن القطار، والإبراق أرض غليظة ذات حجارة، والغضاء شجر عوده صلب ، المؤلف: المكان المأثور، العثير: الغيار، والبوغاء: التربة الرخوة ، شقواء : العقاب

فتعتلى كل ذرى بوغاؤه	يرتفع العثير من أطرافه
يصبح مشبوبا به شغاؤه	إن مرّ شغواه فمن حروره
وتنبني ساجعة ورقاؤه	يغرد الطير على آراكه
إلى محل عذبت هباؤه	ولم يزل حتى انتهى بسيره
أزهاره باسقة شجراوه	طافة أنهاره يانعة
لا صحبه منه ولا أحباوه	هذا وذو الوجد يبح وجده
تسد آفاق الحشى غاؤه	قد جعجح الهم به في مبرك
واقتربيت من البلى حوباؤه	فابتعدت من يحب داره
والطرف لا يغبه أقذاوه	غدا يجييك وفي الحلق شحي
عنك ولكن خانه عزاؤه'	وفت له دموعه يوم سرى
وفي القصيدة المعونة "أيها الساري إلى دكن" يقول الشاعر:	
وسهام البين فلتصب	دع دموع العين فلتصب
وبه برح الغرام وبي	فلقد بان الخليط ضحي
والهوى جاث على الركب	آه لو شاهدت وقفتنا
بين بسام ومنتحب	وترانا يوم فرقتنا
أخذات النار بالحطب	أخذت بالقلب لوعته
مشية الأنهر في الترب	ومشت في الخلد عبرته
بسواه النفس لم تطب	جو خير الطيبين ومن
ثم بين العين والهدب	بين أصلامي محلته
وشهدت الدار من صقب	إذا أدركت ساحتة
عندها بالأنجام الشهب	ورأيت الأرض قد فرشت
لم يكن بالمربع لخصب	إن ربعا لست تقظنه
عمر الأزمان والحقب	دم دوام الدهر وابق لنا
في جلابيب الهنا القشب	رافلا والأنس مقبل

نفس المصدر ص: ٧٨

## كامل الكيلاني (١٩٥٩-١٨٩٧)

هو أديب مصرى اشتهر بأعماله الإبداعية التي ينطلق منها أدب الأطفال المعاصر في العربية. ومنذ عام ١٩٢٧ وجه اهتمامه إلى هذا الفن، وجاء منه باكورة عمله "السندباد البحري"، وقد تؤخى اللغة الفصحى وسيلة للحوار بين أبطال القصة، كما اهتم أن يزود أعماله بالقيم والأخلاقيات لكي يتوضّح للناشئين دروب حياتهم ويسلّكواها بال بصيرة والاسترشاد، واستلهم الموضوع لقصصه من الأساطير والأدب العالمي والشعبي، ومن ترجماته القصصية: مصباح علاء الدين، وروبرنسون كروزو ، وهي بن يقطان، ونواذر جحا ، وشهرزاد. كما تم ترجمة معظم أعماله إلى اللغات الصينية والروسية والإسبانية وإنجليزية والفرنسية وعدد من اللغات المحلية. وقصيدته "نشيد النصر" تناط بعلاقتها الحميمية بالأدب الهندي ، وهذه القصيدة استلهما الشاعر من ملحمة مهابهارتا المشهورة ، ويقول فيها:

يا قاهر الأبطال	وفاتح البنغال	لك المزايا الباهرة
وصولة الأسود	والعزمات القاهرة	وشرف الجدود
القائد البسام	أميرنا المقدام	سهامه مشتبكة
كالنخلة الكبيرة	تضيء وسط المعركة	وهو مديد القامة
فهـا جـني الرطب	شرق الابتسامة	في وهـج الظـهـيرـه
تعلـو عـلـى الأـشـجـار	مـثل عـقود الـذهب	ـفـي غـير ما اـسـتكـبار

أحمد مخيم (1978- 1914)

هو شاعر مصرى ، يتميز بين أقرانه باهتماماته الأدبية الموسعة التي تصله بالثقافات الأخرى، وكان عضواً بارزاً في جماعة أبواب الشعرية والتي تعد أكبر حركات التجديد في الشعر العربي الحديث، وله عمله "لزوميات مخيم" وهو على منوال لزوميات أبي العلاء المعري المعري، كما صاغ ملحمة شعرية موسومة بـ"الروح القدس" ذات ٥١٥ بيتاً، وهي تتميز بجمعها بين النزعات الروحية والقومية والوطنية. أما بتأثره بالهند فينعكس ذلك واضحاً في القصيدة الآتية والموسومة بـ"الوحدة" المقتبسة من ملحمة أشواق بوذا، وهو يرسم فيها ملامح الألوهية التي إنما يتوصّل إليها بالنور المكنون في قلب الإنسان. يقول:

عائقيني يا وحدتي عائقيني      واتركيني على ذراك قليلا

أنت طود، أطل منه على الد  
فتري العين كل شيء صغيرا  
ارفعي يا وحدي ، لأرى العا  
وأرى غربتي نات بفؤادي  
وأرى ما عرفت أمسى من حب  
إن بي للخلود شوقا دفينا<sup>١</sup>

نيا وحينما استشرف المحبوا  
وتري النفس كل شيء جليلا  
لَمْ من شرفتيك رحبا مهولا  
وطوطت بي ، بعد الغليل غليلا  
صحابي مهجورة .. وطلولا

أحمد سليمان الأحمد (1993-1926)

وكان من مواليد اللاذقية بسوريا ، ممن تصلع في الأدب العربي الحديث. وقد تخرج بالدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة سربون ، وأخرى في اللعلوم اللغوية والأدبية من موسكو. ومارس مهنته في التدريس ، وإلى جانب ذلك بدأ يتناول الشعر والكتابة، وتحرر مجلة الآداب الأجنبية بدمشق منذ عام ١٩٧٤ ، كما أنه مثل سوريا في المهرجانات الأدبية والمؤتمرات الثقافية ، وقد تأثر بالشعر المجري كثيراً. ومن أبرز أعماله : مموزين ، والمأمونية ، وأغنية تقاوم اثنى عشر غرابة . وكلها مسرحيات. وترجم بعض الروايات والقصص ، ومن هذا القبيل: الحصاد . وهي رواية مترجمة عن الروسية ، والديوان الفيتلاني . وهو شعر مترجم لمجموعة من الشعراء. ونراه في إبداعاته الأصلية والترجمة يمثل شخصية الأديب الذي يتفاعل بما حوله من المستجدات الاجتماعية والثقافية، ومن نفس ذلك القالب يصوغ اتجاهاته ورؤاه. ومن دواوينه الأخرى :

١. جبل الإلهام

٢. الكلمة للشمس والشهد

٣. أغان صيفية

٤. نوافذ البروج المضاءة

٥. بستان السحب

أما بالنسبة إلى تأثيره بالهند فنراه في القصيدة الموسومة بـ "الليل على دلمي" التي توحى للقارئ ملامح مدينة دلمي وما تكِن تلك المدينة من التراث الفكري والتقاليد الدينية والعادات المتقدمة ، وهو يقول فيها:

كان الليل على " دلمي درويشا

في يده اليسرى مسبحة من حجر الياقوت

وفي يده اليمنى مروحة من ديش الطاووس

<sup>١</sup> أحمد مخيم، أشواق بوذا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ص: ٢٥

كانت أنجمة الشقر

قطيعا من بقر الهندوس

شاردة ليس بيش عليها راع بعصاه

وأمد يدي بيأس... نحو الأمواج

أتمنى لو يبحر بي يخت من عاج

لو تفتح لي " شيئاً" أذرعها الأربع..

لو تنشر للريح قلوع الأدلاج

لكن كان البحر عدو .. وأننا كنـت أسيـرا وـسط جـزـيرـة،،

أرنـو لـلـقـمـرـ الأـحـمـرـ مـصـلـوبـا... فـوقـ مـدـيـنـةـ حـبـ مـهـجـورـةـ

تـنـكـدـسـ فـيـهـ أـشـلـاءـ مـعـابـدـ،،،

أـلـعـابـ قـذـفـتـهـ فـيـ زـاوـيـةـ ،، طـفـلـةـ هـذـاـ اللـيلـ الشـرـيرـةـ

كان اللـيلـ عـلـىـ " دـلـهـيـ " .. يـجـريـ خـلـفـيـ ،، شـحـادـاـ .. مـهـتـرـئـ الـأـسـمـالـ.

فـإـذـاـ أـنـهـكـهـ التـجـوالـ ،،، يـفـرـشـ الـطـرـقـاتـ

كان اللـيلـ عـلـىـ " دـلـهـيـ " دـجـالـاـ ،، يـخـطـبـ فـيـ النـاسـ ،، يـشـعـوذـ

لـاـ يـخـتـارـ الـكـلـمـاتـ ،، يـنـثـرـهـ أـفـعـىـ ،، جـرـذاـ ،، فـيـلـاـ ،، سـعـلـاـ .

## المصادر والمراجع

١. د/ شير أحمد الصديقي، قسم اللغة العربية جامعة عليكره الإسلامية، الهند بعد الاستقلال في الشعر العربي الحديث،
٢. أحمد مخيم، أشواق بوزا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.



## المشروع الفلسفي لابن رشد

د/ن. شمناد<sup>١</sup>

### الملخص

بدأت الفلسفة في الحضارة الإسلامية كتيار كتابي في البدايات للدولة الإسلامية، ووصل النزوة في القرن التاسع للميلاد عندما أصبح المسلمون على إطلاع بالفلسفة اليونانية القديمة، والذي أدى إلى نشوء رعيل من الفلاسفة. في العصر الذهبي للدولة العباسية، بدأ نقل العلوم الإغريقية إلى العربية مما مهد لانتشار الفكر الفلسفي اليوناني بشكل كبير. بلغ التيار الفلسفي عند المسلمين منعطفاً بالغ الأهمية على يد فيلسوف قرطبة ابن رشد الذي عرف باللاتينية باسم Averroes من خلال تمسكه بمبدأ الفكر الحر وتحكيم العقل على أساس المشاهدة والتجربة. لأبي الوليد ابن رشد مكانة بارزة في تطور الفكر الفلسفي العام، يكاد لا يضاف إليه فيها أحد من الفلاسفة العرب. وتعود شهرته في تطور هذا الفكر إلى دوره في شرح فلسفة أرسطو وتلخيصها. وقد وصلتنا هذه الشروح والتلخيصات في ترجمات عبرية ولاتينية، وترقى إلى أوائل القرن الثالث عشر، وإن كان جزء ضئيل منها قد وصلنا بالعربية أيضاً. ولدى صدورها في تلك الحقبة أصبحت هذه الشروح أساساً للدراسات الفلسفية في أوروبا الغربية حتى مطلع العصور الحديثة. واستمر العلماء يتداولون شروحه على أرسطو حتى أواخر القرن السادس عشر<sup>(١)</sup>. إن لهذا الفيلسوف دوراً فذاً في تطور الفكر العربي الإسلامي، يستند آخر الأمر إلى تصديه للتأويل الأفلاطوني المحدث من جهة وانتصاره للأرسطية في وجه حملات علماء الكلام، لاسيما الأشاعرة، من جهة ثانية. أما هذا البحث<sup>(٢)</sup> فهو محاولة متواضعة هدفه تكوين فكرة شاملة عن المشروع الفلسفي لهذا الفيلسوف الكبير الذي دعا دائماً إلى الفلسفة التوفيقية بين الفلسفة والشريعة.

ابن رشد (١١٢٦-١١٩٨)

يعد ابن رشد من أهم فلاسفة المسلمين، وأثرت أفكاره بشكل واضح على فلاسفة الغرب، منهم توماس أكونيناس<sup>(٣)</sup> وأبرنست رينان<sup>(٤)</sup>. ولد محمد وليد أحمد بن رشد الأندلسي البريري عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م في قرطبة بالأندلس. يعدّ ابن رشد في حقيقة الأمر ظاهرة علمية مسلمة متعددة التخصصات، فهو فقيه مالكي، وقاضي القضاة في زمانه، وطبيب نطاقي تفوق على أساتذته حتى أن أستاذه ابن زهر Avenzoar (١٠٩٤-١١٦٢ م)

<sup>١</sup> أستاذ مساعد ورئيس قسم اللغة العربية، كلية الجامعة، ترونيتريام، كيولا، الهند  
<sup>٢</sup> فخرى، ماجد (١٩٩٢)، ابن رشد فيلسوف قرطبة، ط٢، بيروت: دار المشرق، ص: ٤-٣.

<sup>٣</sup> هذا بحث تم تقديمها في الندوة الوطنية حول إسهامات العرب للبشرية، التي انعقدت في كلية أم. اي. آس. بوناني، في شهر فبراير ٢٠١٦.

<sup>٤</sup> القديس توماس أكونيناس (١٢٤٠-١٢٧٤) راهب فيلسوف ولاهوتي إيطالي. وضع أكونيناس مذهبها فلسفياً يعرف بـ "التومانية".

<sup>٥</sup> إرنست رينان (١٨٢٣-١٨٩٢) مؤرخ وكاتب فرنسي اشتهر بترجمته ليسوع التي دعا فيها إلى نقد المصادر الدينية نقداً تاريخياً علمياً وإلى التمييز بين العناصر التاريخية والعناصر الأسطورية الموجودة في الكتاب المقدس.

قال عنه: "ابن رشد أعظم طبيب بعد جالينوس"، وهو عينه فيلسوف عقلاني، ومترجم لأعمال أرسطو، وفلكي ذو أعمال جليلة في المضمار، والمتكلم الذي تصدى لنقد المتكلمين باسم توافق المعقول والمنقول وعلى رأسهم الإمام الغزالي. تولى ابن رشد منصب القضاء في أشبيلية، وأقبل على تفسير آثار أرسطو، تلبية لرغبة الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف، وكان قد دخل في خدمته بواسطة الفيلسوف الأندلسي ابن طفيل<sup>(١)</sup>، ثم عاد إلى قرطبة حيث تولى منصب قاضي القضاة، وبعد ذلك بنحو عشر سنوات التحق بالباطل المراكشي كطبيب الخليفة الخاص. وفي أيام الخليفة الجديد أبي يوسف يعقوب المنصور، وقد حدثت لابن رشد نكبة<sup>(٢)</sup> في أواخر حياته التي تمثلت في إجراء محاكمة له ونفيه إلى بلدة "أليسانه" Lucena على مقربة من قرطبة، وإحراق مؤلفاته الفلسفية<sup>(٣)</sup>، وحضر الاستغلال بالفلسفة. يقال إن الخليفة المنصور نقم عليه بسبب بعض الناقمين الذين أوغروا صدره على الفيلسوف من جهة، وبسبب تبدل نظرية الخليفة إلى الفلسفة من جهة أخرى، ونقمته عليهم ونفيهم جميعاً، وحرقه لكتب المنطق والحكمة في بلاد الأندلس. بعد أعوام قليلة عفي عن ابن رشد وعاد إلى مراكش، وتوفي هناك عام ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م.

لابن رشد كنز ضخم من المؤلفات في الفلسفة والفلك والطبيعة والطب والنفس والأخلاق والفقه والأصول والكلام واللغة والأدب، وأصبح له الفضل في انتشار فلسفة أرسطو بشروه بين دول أوروبا في العصور الوسطى، وأطلق عليه الشاعر الإيطالي دانتي Dante<sup>(٤)</sup> في كتابه "كوميديا الإلهية" لقب "الشارح الأكبر"<sup>(٥)</sup>. تقع مؤلفات ابن رشد في أربعة أقسام: شروح ومصنفات فلسفية وعملية، وشرح ومصنفات طبية، وكتب فقهية وكلامية، وكتب أدبية ولغوية. أحصى باحث ١٠٨ مؤلف لابن رشد<sup>(٦)</sup>، وصلنا منها ٥٨ مؤلفاً بنصه العربي. وابن رشد قد ألف الكتب، وشرح النصوص الكثيرة ولكنه اختص بشرح التراث "الأرسطي". وشرحه على أرسطو تنقسم إلى ثلاثة أقسام: مختصرات وجوامع، وتلخيصات، وشرح كبرى<sup>(٧)</sup>. من أهم مؤلفاته الفلسفية: "تهاافت التهاافت"<sup>(٨)</sup>، و"فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال"<sup>(٩)</sup>، "الاتصال"<sup>(١٠)</sup>، و"الكشف عن مناهج الأدلة".

<sup>١</sup> أبو بكر بن طفيل (١١٨٥-١١٠٥ م) هو فيلسوف وفيزيائي ومفكر وقاضي وطبيب وفلكي أندلسي. يمثل ابن طفيل الأب الروحي للنزعه الطبيعية في التربية عبر كتابه "جي بن يقطان"، والذي حاول فيها التوفيق الفلسفي بين المعرفة العقلية والمعرفة الدينية. تعتبر جي بن يقطان أول رواية فلسفية في الأدب العالمي.

<sup>٢</sup> مروءة، حسن، (٢٠٠٢)، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، ط. ٢، الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، ص ٤٦٢

<sup>٣</sup> زيدان، جرجي، (١٩٠٤)، تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٣، مصر: مطبعة الهلال، ص ١٧٩.

<sup>٤</sup> دانتي Alighieri (١٣٢١-١٢٦٥) هو كاتب شعراء إيطالي. وأهم آثاره كوميديا الإلهية La divina commedia.

<sup>٥</sup> صليبيا، جميل، (١٩٧٠)، تاريخ الفلسفة العربية، ط. ٢، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ص ٤٥٣

<sup>٦</sup> ابن رشد، موقع يابيروت، الاسترجاع في أكتوبر ١٤، ٢٠١٤، الرابط: <http://www.yabeyrouth.com/pages/index786.htm>

<sup>٧</sup> عمارة، محمد، (١٩٨٣)، المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد، ط. ٢، القاهرة: دار المعارف، ص ٩٧

<sup>٨</sup> تحدث ابن رشد في "تهاافت التهاافت" عن التوفيق بين الدين والفلسفة وعن الفلسفة الطبيعية والفلسفة الإلهية، ليثبت بذلك ما ورد في كتاب الإمام الإمام الغزالي "تهاافت الفلسفه" من تناقض وتعارض، فابن رشد إذن هاجم ما في الكتاب من آراء - ووافق الغزالي في بعض الآراء - ولم يهاجم فكر المؤلف

## أهمية ابن رشد وفكرة

أثر ابن رشد في فكر العالم الغربي والإسلامي كثيراً<sup>(١)</sup>. كان ابن رشد من أكثر فلاسفة العرب غوصاً على المعاني العميقية، ومن أشدتهم انتصاراً للعقل، حتى سعي بحق فيلسوف العقل عند العرب. كان مفتوناً بأرسطو، ومعظماً له، حتى لقد زعم الفيلسوف الأندلسي ابن سبعين (١٢١٧-١٢٦٩م) أن ابن رشد كان يقلده في كل شيء. إنه اتبع أرسطو في مجله فلسفته، وحاول الكشف عن فكرته الحقيقية من خلال النصوص التي عني بشرحها وتلخيصها<sup>(٢)</sup>. فلما نقلت آراء ابن رشد إلى اللغة اللاتينية في القرن الثالث عشر للميلاد وقف الفلاسفة المسيحيون إزاءها موقفين مختلفين، فبعضهم أخذ بأقواله دون تحفظ كسيجر دو برابانت Siger de Brabant حامل لواء الفلسفة الرشدية في مدرسة باريس، وبعضهم حمل على الفلسفة الرشدية حملة عنيفة كالقديس توماس أكويناس وغيره. بلغ النزاع بين الفريقين درجة ليس فوقها زيادة لمستزيد، حتى اضطررت السلطات الدينية إلى تهدئة العاصفة باتخاذ قرار يدين كل من يسلم بالمبادئ الرشدية المخالفلة للعقيدة المسيحية<sup>(٣)</sup>. إن ابن رشد قد أثر في الفكر الأوروبي تأثيراً عميقاً حتى أصبح اسم الشارح الأكبر والمفكر الحر عالماً له. لا يطلق على سواه عند الكثيرين منهم. فدانتي Dante جعل له في "كوميديا الإلهية" صورتين إحداهما صورة الشارح العظيم. والثانية صورة الفيلسوف الملحد الذي يتبوأ مجلسه بهدوء ووقار في الجحيم، مع غيره من العظاماء جزاء كفرهم وإلحادهم. ومدرسة (بادو) ظلت حتى أواسط القرن السابع عشر تنشر تعاليم ابن رشد وتستنير بآرائه.

أما في العالم الإسلامي فلم يكن لفلسفة ابن رشد ولا لشروحه على مذهب أرسطو تأثير عميق يوازي تأثير ابن سينا والغزالى، ولم يكن له كذلك تلاميذ، ولا أتباع يواصلون فلسفته. وقد ضاعت أصول الكثير من مؤلفاته، وبعض ما حفظ منها جاء مترجماً إلى اللغة العربية أو اللاتينية، ونستطيع القول إن الفلسفة العربية لم تعرف بعد ابن رشد فيلسوفاً أرسطياً خالصاً، بل عرفت رجالاً يفكرون في الدين تفكيراً فلسفياً، "ولولا مجيء ابن خلدون الذي وجه الفكر العربي توجهاً جديداً، لقلنا: إن ابن رشد كان آخر كوكب تلاؤ في سماء

على عمومه. ولقد تصدى ابن رشد في "تهاافت التهاافت" لراء الغزالى موضحاً أن الفلسفة لم يقولوا بهذه الآراء على الصورة التي فيهما الغزالى. على نحو ما فعل الغزالى في "تهاافت الفلسفة" يقسم ابن رشد "تهاافت التهاافت" إلى قسمين (الإلبيات والطبيعيات) يتناول فيما المسائل العشرين التي تناولها الغزالى. في المقابل لأهميات الغزالى، يرى ابن رشد إن دين الفلسفة إنما يقوم أصلاً على الإيمان بوجود الله وإن مذهب السببية الذي ينقضه الغزالى وينفيه، إنما هو المذهب الذي يوصل إلى معرفة الله معرفة واقعية.

<sup>١</sup> فصل المقال فيما بين الحكمية والشريعة من الانصال هو كتاب طبع في مصر مع القسم الرابع من "علم ما وراء الطبيعة" بعنوان "فلسفة ابن رشد".

<sup>٢</sup> طوقان، قدرى طوقان، (٢٠٠٢). مكان العقل عند العرب، بيروت: دار القدس، ص ١٨١

<sup>٣</sup> د/ جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٨٩، ص: ٥١٥-٥١٦

<sup>٤</sup> فخرى: ١٣٨-١٤٤

الفلسفة العربية<sup>(١)</sup>). إن فلسفة ابن رشد بالرغم من روادها خلال عصور الانحطاط لا تزال تؤثر في العقل العربي الحديث، على ما بينها وبينه من الاختلاف في المنحى والمقصد<sup>(٢)</sup>.

### المشروع الفلسفـي لابن رشد

يظهر من خلال مؤلفات ابن رشد، أن معظم ما خلفه من آثار فلسفية وغيرها من الكتب، كانت تلخيصات وشروحات لمؤلفات أرسطو، غير أن الباحثين رأوا فيه فيلسوفاً أعلى شأن الفلسفة العربية، والحقيقة هي أن ابن رشد، لم يبتكر أموراً جديدة في الفلسفة، بل انطلق من فكر أرسطو وأراء أسلافه ومعاصريه كالفيلسوف العربي الكندي، والفارابي، وابن سينا، وابن باجة، والغزالى، وبنى علمها نظريات استخلصها من الأفلاطونية المستحدثة، مضيفاً إليها بعض آرائه الخاصة. وهو مع ذلك، لم يدع يوماً بأنه ابتكر مذهباً فلسفياً جديداً. كان ابن رشد يعتقد أن مذهب أرسطو إن فهم على حقيقته لا يتعارض مع أرقى معرفة يمكن أن يبلغها إنسان. فأرسطو بالنسبة إلى ابن رشد هو أسمى صورة تمثل فيها العقل الإنساني حتى أنه ليفضل تسميته بالفيلسوف الإلهي. ولم يكتف ابن رشد بذلك، بل راح يصحح بعض أخطاء الفارابي وابن سينا، ويردّ على علماء الكلام، وينتقد فلسفة الغزالى. كان هم ابن رشد بإيجاز، أن يوفّق بين الفلسفة والدين، فشرح مسألة قدم العالم على طريقته، واعتقد بروحانية النفس، والسببية. لم يكن ابن رشد في الواقع، الفيلسوف الأول الذي حاول التوفيق بين الدين والفلسفة، بل سبقه إلى ذلك، الكندي والفارابي وابن سينا وابن طفيل، لكن ابن رشد قد أفرد لدراسة هذه المسألة كتاباً خاصاً سماه "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال". هناك ثلات مسائل مهمة في فلسفة ابن رشد<sup>(٣)</sup>، وهي:

١. أن ابن رشد يمثل ردة الفعل الفلسفية على الهجمة القوية على الفلسفة التي أقدم عليها الإمام الغزالى. فابن رشد يمثل محاولة رد اعتبار الفلسفة بعد أن أصابها الغزالى في كتابه "تهاافت الفلسفة" ووضع هذا الجهد في كتابه "تهاافت التهاافت". دافع ابن رشد عن الفلسفة وأساطينها ضد "تهاافت الفلسفة" للغزالى الذي قام بنقد الفلسفة وإظهار تناقضهم وتهافتهم، لأنهم رفضوا، حسب اعتقاده، أصناف العبادات، واحتقرروا شعائر الدين، واستهانوا بالشرع، مما دفع ابن رشد إلى اتهامه بالقصور في فهم الفلسفة على حقيقته، لأنه لم ينظر إلا في كتب ابن سينا.
٢. قدّم ابن رشد نظرية أو موقفاً متميزاً في مسألة العلاقة بين الشريعة والحكمة أي بين الدين والفلسفة وذلك في كتاب "فصل المقال"، المسألة التي شغلت جميع الفلاسفة من الكندي، والفارابي، والغزالى، وابن

<sup>١</sup> Leon Gauthier (1948), Ibn Rochd, Paris: Presses Universitaires de France, P. 439

<sup>٢</sup> صليبا، ص: ٥١٩

<sup>٣</sup> محطات من تاريخ تطور الفلسفة، موقع ستارتميس، الاسترجاع في فبراير ٢٠١٦، الرابط: <http://www.startimes.com/?t=19311720>

سينا. والغزالى وحده اعتقد أن الفلسفه يخرجون عن الدين عندما كفّرهم في قضايا ثلاث وبذعهم في سبع عشرة أخرى. إذ يستأنف ابن رشد موقف الكندي مع شيء من التعديل، ويقول أن لا تعارض بين الدين والفلسفه، وإذا كان هناك من تعارض فالتعارض ظاهري بين ظاهر نص ديني وقضية عقلية، ويرى بأن حله متاح بالتأويل وفقا لقواعد اللغة العربية.

٣. كان ابن رشد محبا لفلسفه أرسطو وناصر لها ومعتقدا بما فيها<sup>(١)</sup>، ويجسد خير من شرح مؤلفات أرسطو، وشرح ابن رشد على أرسطو هي أفضل شروح نعرفها في تاريخ الفلسفه وهو شارح لأرسطو أكثر من كونه فيلسوفا مبدعا ذا فلسفه خاصة.

### منهج ابن رشد الفلسفى

أما من حيث المنهج، فيمتاز موقف ابن رشد عن موقف أسلافه العرب، لاسيما الفارابي وابن سينا، بتبنّكه عن الانتقائية أو الاقتطاف. فقد منز هؤلاء الأسلاف عناصر أفلاطونية وفيتاغوريه وأرسططية متضاربة، كما هو معروف، في محاولتهم حسم الخلاف بين الإسلام والفلسفه. والطريقة البرهانية التي اختارها هو تقضي باعتبار المعارف الشرعية مكملة للمعارف العقلية<sup>(٢)</sup>. انتهج ابن رشد أسلوبا فلسفيا خاصا به، تميز بثلاث عناصر: (١) الترتيب، أي تتابع الأفكار للوصول إلى الهدف المنشود؛ (٢) تجنب جميع أنواع التعظيم والتهويل والبالغة؛ (٣) موضوعية البحث والكتابة. أما من حيث المبنى والشكل، فقد أخذ البعض على ابن رشد، جفاف إنشائه، واضطرابه أحيانا، وافتقاره إلى م Tannerة نصوص ابن سينا، وعدوبيه إنشاء ابن طفيل، فهو لم يبال بتجميل عباراته وزخرفة جمله، وتزيين إنشائه بالصور البينية والمحسنات البدعية.

### موقف ابن رشد من الفلسفه

عندما ننظر إلى كتاب "فصل المقال" لابن رشد نجد أن ابن رشد قد آخى بين الفلسفه والمنطق فجعلهما مرتبتين<sup>(٣)</sup>. أقر ابن رشد بشرعية المنطق، وأكّد القياس بأية "واعتبروا يا أولي الأبصار" (القرآن الكريم- ٢٥٩). ويقول ابن رشد مثل قول الكندي في "أَنْتَا يَجِبُ أَنْ تَأْخُذُ الْحَقَائِقَ حَتَّى لَوْ كَانَ قَائِلًا مِنْ مَلَةٍ غَيْرِ مَلَتْنَا"<sup>(٤)</sup>، وأن النظر في كتب القدماء واجب بالشرع وأن الفرد لا يستطيع أن يحصل العلم وحده، ويجب أن نستفيد من بعضنا البعض ومن السابقين. شرعا، أوجب ابن رشد النظر العقلي في القضايا التي توصل إلى الله. يقول لويج رينالدي في بحث عنوانه "المدينة الإسلامية في الغرب": "ولا ننسى أن ابن رشد هذا مبتدع

<sup>١</sup> سعيد عبد اللطيف فودة، بيان حقيقة فلسفة ابن رشد ومخالفته لأهل السنة والجماعة، موقع الشريعة، الاسترجاع في فبراير ٢٠١٦، الرابط:

<http://www.shariaa.net/play-12993.html>

<sup>٢</sup> فخرى، ص: ٥

<sup>٣</sup> عمارة، ص: ١٧

<sup>٤</sup> فخرى، ص ٢٩

مذهب "الفكر الحر". وهو الذي كان يتعشق الفلسفة، ولهيم بالعلم، وكان يعلمهمما لتلاميذه بشغف وولع شديدين، وهو الذي قال عند موته كلمته المأثورة: "موت روحي بموت الفلسفة". تلخص أطروحة ابن رشد في هذه المسألة كما يلي:

١. الشّرع أوجب النظر بالعقل في الوجود ودراسة المنطق من ناحية الآية "واعتبروا يا أولى الأباء". معنى الأباء القياس، وأوجب النظر في الوجود من علل الموجودات<sup>(١)</sup>.
٢. هذا النظر ليس بدعة وينبغي أن نأخذ به ولا يمكن أن يتحقق لفرد واحد فهو إسهام لأفراد كثيرين فيجب أن نلجم للأمم الأخرى<sup>(٢)</sup>.
٣. العلاقة بين ما يقرره العقل البرهاني وما تتفق به الشريعة، كل مهما يعبر عن الحق، والقضايا العقلية هي حق، وما نطق به الشّرع حق، والحق لا يضاد الحق، أي ليس هناك تناقض بين الفلسفة والشريعة.
٤. قضية التوفيق بين الشريعة والفلسفة

إن الفلسفة في رأي ابن رشد، هي صاحبة الشريعة وأختها الرضيعة، فإن وقع بينهما عداوة، يكون الجهل هو السبب، أو اختلاف القوى العقلية لا اختلاف الحق، لأن الحق واحد وإن كانت صوره مختلفة. وإن بدا هناك خلاف ظاهر بين الشريعة والفلسفة، يمكن توضيحه بالرّكون إلى لغة العقل، لأن هدف الشريعة والفلسفة واحد وهو الوصول إلى الحق. إن الحق واحد، والفلسفة هي أسمى صور الحق، لأنها معرفة كل موجود بما هو موجود. وهذه المسألة احتلت حيزاً كبيراً في اهتمامات ابن رشد ودفعته للتوفيق بين الشريعة والفلسفة، وذلك لأسباب كثيرة من ضمنها أنه فيلسوف متدين، إضافة إلى مجيء ابن رشد بعد حملة الإمام الغزالى على الفلسفة في كتابه "تهافت الفلسفه"، وذكر الغزالى أن الفلسفة أدت بكثير من الناس إلى الكفر. أما المبادئ<sup>(٣)</sup> التي اعتمد عليها ابن رشد في التوفيق بين الدين والفلسفة فكانت: أولاً أن الدين يجب التفلسف، وثانياً أن الشّرع فيه ظاهر وباطن، وثالثاً أن التأويل ضروري للتوفيق بين الشريعة والفلسفة أو بين الدين والفلسفة.

#### أولاً: الدين يجب التفلسف

توصل ابن رشد إلى "أن الدين أو الشّرع يجب النظر العقلي أو الفلسفي، كما يجب استعمال البرهان المنطقي لمعرفة الله وموجوداته"<sup>(٤)</sup>. ولقد ذكر ابن رشد آيات كثيرة من القرآن الكريم تدعوه إلى التفكير والتدبر،

<sup>١</sup> ابن رشد، (١٩٩٩)، فصل المقال فيما بين الحكمـة والشـريـعـة من الاتصال، طـ ٣، تـحـقـيقـ: مـحمدـ عمـارـةـ، دـارـ المـعـارـفـ، صـ: ٢٢  
<sup>٢</sup> طـوـقـانـ، صـ: ١٨٣

<sup>٣</sup> ابن رشد: العقل المرجع للتوفيق بين الشريعة والفلسفة. موقع موهوبون، الاسترجاع في فبراير ٢٠١٦. الرابط: <http://www.mawhopon.net/?p=4311>

<sup>٤</sup> ابن رشد، (١٩٩٩)، فصل المقال فيما بين الحكمـة والشـريـعـة من الاتصال، صـ: ٢٣

منها على سبيل المثال: "فاعتبروا يا أولي الأ بصار" (القرآن- ٢:٥٩)، و"ويتفكرون في خلق السماوات والأرض" (القرآن ٣:١٩١). يؤكد ابن رشد أن الشرع يحضر على النظر في الموجودات، والله يأمر بالبحث عن الحقيقة في العلم. ولكن الفيلسوف وحده يكتئح حقيقة الدين. وصرح ابن رشد بأن الاعتبار ليس إلا استنباط المجهول من المعلوم، وهو القياس العقلي أو الشرعي والعقلي معاً. وجب علينا أن نجعل نظرنا في الموجودات مبيناً على هذه الطريقة، وهو أكمل أنواع القياس، المسمى برهاناً. لذا يجب على من يطلب الوصول إلى معرفة الله وسائل الموجودات، إتقان أنواع البراهين وشروطها، وأنواع القياس وأجزائه ومقدماته. فبناء على ما تقدم، اعتبر ابن رشد أن كلاً من القياسيين العقلي والفقهي، واجب في الشرع. دعا ابن رشد إلى مبدأ القياس، وصرح بأنه لا استغناء عنه، وعده ضرورياً، إذ قال: "إذا تقرر أن الشرع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات، واعتبرها، وكان الاعتبار ليس شيئاً آخر أكبر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه، وهذا هو القياس، فواجب أن نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي"(<sup>١</sup>). وقال بأنه لا مانع من الاستعانة بما قاله الفلاسفة السابقون(<sup>٢</sup>)، أسواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين؛ إذ ينبغي أولاً التمعن بأقوالهم، فإن كانت صواباً يؤخذ بها، وإن كانت على خطأ، تُترك جانباً، ففيته علية وتحذر منها. ورد على من قالوا بأن الفلسفة تؤدي إلى الكفر بأن السبب ليس هو الفلسفة، ولكن من يتناول الفلسفة، وضرب مثلاً على ذلك بمن يموت بسبب شُرقة الماء، فليس الماء هو الذي سبب الوفاة، ولكن حدوث أمر عارض عند شربه هو الذي أدى إلى الوفاة.

### ثانياً: الدين أو الشرع له ظاهر وباطن

يذهب ابن رشد إلى أن نصوص الشرع لها معنى جليّ قريب وواضح، وأيضاً لها معنى خفي، أو بعبارة أخرى لها معنى ظاهر ومعنى باطن. لذا يجب البحث عن المعنى الذي يؤدي إليه النظر البرهاني، وفي حال ظهور اختلاف بين ظاهر النص وباطنه، يجب رفض التناقض والتباين الظاهرين عن طريق التأويل. وعلى العامة أن يقبلوا ظاهر النصوص دون جدل أو تأويل؛ لأنهم ليسوا أهلاً لذلك، وإنما التأويل هو من شأن البرهانيين وحدهم لأنهم أهل لذلك، ولا ينبغي أن تزدّع التأويلات على العامة، بل يجب أن تكون في وسط الخاصة فقط لمناسبتها عقولهم. أما اشتغال الشرع على ظاهر وباطن فهو لا يعني بالضرورة وجود حقائق متباعدة، بل إن الحقيقة واحدة(<sup>٣</sup>)، وإنما هناك اختلاف بطريقة التعبير عنها. ولا ضير في ذلك، فالتعليم كالغذاء، والطعام الواحد قد يكون سماً في حق نوع من الناس وغذاء في حق نوع آخر؛ فالولي إذا، يخاطب الناس على قدر عقولهم، لأن الناس متفاوتون في التصديق، منهم من يصدق بالبرهان ومنهم بالأقوال الجدلية(<sup>٤</sup>).

١ نفس المصدر، ص: ٢٣

٢ نفس المصدر، ص: ٢٦

٣ صليباً، ص. ٤٧٧-٤٧٨

٤ طوقان، ص: ١٨٣

### ثالثاً: ضرورة التأويل

ذهب ابن رشد إلى أن التأويل ضروري للتوفيق بين ظاهر الشرع وباطنه، كما هو ضروري للتوفيق بين الدين والفلسفة<sup>(١)</sup>. ولقد صرَّح ابن رشد بأنَّ كلَّ ما أدى إليه البرهان وخالقه ظاهر الشرع، فإنَّ هذا الظاهر يقبل التأويل حتى لا يصطدم الشرع والعقل. ولقد قسم ابن رشد المعاني من حيث التأويل وعدمه لأقسام أربعة هي: ما لا يجوز تأويله لموافقة ظاهره باطنه، وما لا يجوز أن يؤوله إلا الراسخون في العلم، وذلك عندما يكون المعنى الظاهر ليس مراداً من النص، وما لا بد من تأويله وإظهار هذا التأويل للجميع، وذلك إذا كان المعنى الظاهر مزماً لمعنى خفي، وما يؤوله العلماء لأنفسهم، وذلك إذا كان ظاهر المعنى مزماً ولا يعرف مدلوله إلا بعلم بعيد<sup>(٢)</sup>. ولكن ما هو تحديد هذا التأويل؟ يحدده ابن رشد باستخراج دلالة الفظ من الدلالة الحقيقة إلى الدلالة المجازية، لأنَّ الكثير من ألفاظ الشرع، إذا لم تؤول تأويلاً صحيحاً، وحملت فقط على ظاهرها، قد تتعارض مع ما أدى إليه البرهان العقلي. أما إنْ كان هناك إجماع بطريقة يقينية حول بعض المسائل في الشرع فلا يصح التأويل، وكلَّ ما يتطرق إليه التأويل لا يدرك إلا بالبرهان.

### ٢. مسألة أزلية / أبدية العالم

إنَّ العالم بنظر ابن رشد أزليٌّ التغيير<sup>(٣)</sup>، والموجودات التي في الكون مركبة من مادة وصورة، لا تنفصل أحدهما عن الآخر؛ والمادة والصورة أزليتان. فلا يصح القول بأنَّ وراء كل مادة مادة إلى ما لا نهاية، كما لا يصح القول بأنَّ وراء كل صورة صورة إلى ما لا نهاية. فالله موجود، وهو لم يكن من شيءٍ ولا عن شيءٍ، ولا تقدمه زمان، فهو قديم. والأجسام التي ندرك تكونها بالحس، كالماء والهواء والأرض والحيوان والنبات هي موجودة عن شيءٍ ومن شيءٍ، والزمان متقدم عليها، وهي محدثة. وأما العالم فهو موجود، لم يكن من شيءٍ، ولا تقدمه زمان، ولكنه موجود عن شيءٍ أي عن فاعل قديم. وعليه، فالعالم ليس محدثاً حقيقة ولا قدماً حقيقة، لأنَّ المحدث الحقيقي فاسدٌ ضرورة، والقديم الحقيقي لا علة له. وبما أنَّ غاية ابن رشد هي التوفيق بين الحكمـة والشريـعة، في مسأـليـةـ الـقـدـمـ وـالـحـدـوـثـ، رأـيـ أنـ لـيـسـ فـيـ الشـرـعـ إـشـارـةـ وـاضـحـةـ إـلـىـ الـحـدـوـثـ وـالـقـدـمـ. لـكـنـ الـأـمـرـ الثـابـتـ بـالـنـسـبـةـ إـلـيـهـ، هـوـ أـنـ الـعـالـمـ مـصـنـوعـ، وـلـهـ صـانـعـ، وـالـعـقـلـ يـسـتـدـلـ عـلـىـ وـجـودـ هـذـاـ الصـانـعـ بـمـاـ يـجـدـهـ فـيـ مـصـنـوعـاتـهـ مـنـ نـظـامـ ضـرـورـيـ، لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـوـجـدـ أـتـقـنـ مـنـهـ وـلـاـ أـتـمـ مـنـهـ. وـخـيـرـ طـرـيـقـ لـلـبـرـهـانـ عـلـىـ وـجـودـ الصـانـعـ طـرـيـقـةـ الشـرـعـ، وـهـيـ تـنـحـصـرـ فـيـ دـلـيـلـيـنـ: دـلـيـلـ الـعـنـيـةـ وـدـلـيـلـ الـاخـتـرـاعـ.

حاول ابن رشد أن يقول إنَّ نظرية أقدمية العالم في أي حال، لا يتعارض مع القرآن والشرع، وما الضَّير إنَّ كانت مادة العالم أزلية، فالخلق يبقى هو تلك الحركة الاضطرارية في هذه المادة التي تنشأ عنها الكائنات وتتولد بعضها من بعض، أما الخالق فهو المُحرِّك. وبما أنَّ المادة أزلية فجميع المخلوقات الناجمة عنها

<sup>١</sup> عبود، عصام غصن، (٤٠٠٢)، الأخلاق الدينية ومسألة التأويل عند ابن رشد، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٠، ص ١٨.

<sup>٢</sup> ابن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمـةـ والـشـرـيـعـةـ منـ الـاتـصـالـ، ص: ٣٢

<sup>٣</sup> علال، خالد كبير، (٢٠٠٨)، مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية، دار المحتسب، ص ٣٠

مشاركة لها في الأزلية، والله الخالق هو الذي ينظمها ولبذا السبب تتطور المادة وتتكيف بطريقة مستمرة، وهكذا فإن العالم المصنوع هو أزيز النشوء، دائم الحدوث، بينما أن الله أزيز بدون سبب. وعليه، فإن أقدمية العالم ليست كأزلية الله، بل ليس العالم محدثاً حقيقة، ولا قدימה حقيقة<sup>(١)</sup>. يقول عباس محمود العقاد: "وواضح من مذهب ابن رشد في جميع كتبه أنه لا خلاف في خلق الله للعالم، ولكن الخلاف في سبق الزمان للعالم أو أن الزمان والعالم وجداً معاً، وعند ابن رشد أن العالم قديم لأنَّه موجود بمشيئة الله، وليس لها ابتداء<sup>(٢)</sup>".

### ٣. مسألة السببية

يؤكد ابن رشد دائماً على السببية<sup>(٣)</sup>. إن إيمانه بالعلاقة بين الأسباب والأسباب إيمان كبير جداً، ولو لا هذا الإيمان ما كان ابن رشد قد كلف نفسه العنا في نقد الغزالى فإنه قد ذهب إلى القول بأنه لا توجد علاقة ضرورية بين الأسباب والأسباب. قد اهتم ابن رشد بإثبات وجود الله تعالى من خلال أدلة عقلية وعلى أساس نظرية تقوم على العلاقة بين الأسباب والأسباب. إن العالم في نظر ابن رشد خاضع بجميع ما فيه لنظام لا يمكن أن يوجد أتقن منه. وبما أن علاقة الله بالعالم، علاقة العلة بالعلو، وجب أن يكون كل شيء فيه مقيداً بنظام وترتيب<sup>(٤)</sup>. فالله هو الصانع الحكيم ويعتني بمخلوقاته، ومن شأن الصانع أن يرتيب الجوهر والأعراض ترتيباً محكماً. ويعتقد ابن رشد أن الموجودات قسمان: جواهر وأعراض. فالجواهر لا يصنعها إلا الله، وأما الأعراض فتتولد من الأسباب الطبيعية المقترنة بالجواهر<sup>(٥)</sup>. إن الله مثلاً يخلق السنبلة، والزارع يفلح الأرض، ويعدها لتلقي البذار. ولهذه السببية الطبيعية أساسان: طبيعة العقل، وحكمة الله وعنايته.

### ٤. إشكالية القضاء والقدر

اختلاف المسلمين حول معنى لفظي القضاء والقدر. أما ابن رشد فقال إذا فرضنا أن الإنسان خالق لأفعاله كما قالت المعتزلة، وجب أن يكون ثمة أفعال لا تجري حسب مشيئة الله، فيكون هناك خالق غير الله، وإذا فرضنا أن الإنسان مكتسب لأفعاله فإنه يجب أن يكون مجبراً عليها، وقد يصبح الإنسان بذلك مثل الجمام الذي لا قدره له. لذا، جاء ابن رشد بحل وسطي: "إن الله خلق لنا قوى نقدر بها أن نكتسب أشياء، لكن لما كان الاكتساب لتلك الأشياء لا يتم لنا إلا بمؤواته الأسباب التي سخرها الله لنا من خارج، كانت الأفعال المنسوبة إلينا تابعة لأمررين: أحدهما إرادتنا، والآخر موافقة الأسباب التي من خارج هذه الإرادة. ولما كانت

<sup>١</sup> عمارة، ص: ٦٢-٦٥.

<sup>٢</sup> العقاد، عباس محمود، (١٩٨٢)، ابن رشد، القاهرة: دار المعارف، ص ٣٩.

<sup>٣</sup> صليبيا، ص: ٤٥٣-٤٥٥.

<sup>٤</sup> عمارة، ص: ٨٦.

<sup>٥</sup> الجابري، محمد عابد، (١٩٩٨)، ابن رشد: سيرة وفکر، بيروت: مركز دراسة الوحدة العربية، ص ١٣١.

الأسباب التي في الخارج تجري على نظام محدود، وجب أن تكون أفعالنا أيضاً جارية على نظام محدود". فموقف ابن رشد يجعل الاتساع (أي قدرة الإنسان على أفعاله الخاصة داخل الأسباب والمسببات التي سخرها الله له من خارج) متعلقاً بإرادة الإنسان من جهة، وبالارتباط بين الأسباب والمسببات التي في الخارج، من جهة أخرى.

## ٥. مسألة علم الله بالكليات وليس الجزئيات

إن الله بالنسبة إلى ابن رشد، هو الخالق والصانع، وصفاته الحكم والقدرة والمعرفة، غير أن هذا الخالق لا يحيط علماً بجزئيات الأمور في الكون بل تقتصر معرفته على الكليات. فحكم الكون يشبه حكم المدينة، حيث حاكم المدينة هو المصدر الأعلى لكل ما ينفذ، ولكن تفاصيل حوادثها لا تصدر عنه مباشرة وعلمه بها غير محتم. وهذا ما ينطبق على الخالق بنظر ابن رشد، إنه محور الكون ومصدر القوة التي تديره وإن لم تكن له علاقة مباشرة في جزء من الحوادث والأمور. ورأى بعض الباحثين، أن مذهب ابن رشد في عدم معرفة الله للجزئيات ليس واضحاً كل الواضوح، فهو تارة يحاول أن يثبت هذه النظريّة بكل ما أوتي من براهين عقلية، وطوراً يقول بأن الله يعرف جزئيات الأمور ولكن بطريقة سامية لا يمكنها فهمها أو تصورها. ربما لم يكن ابن رشد واضحاً تماماً بالنسبة إلى هذه الإشكالية، غير أن ما جعله يتعدد في ذلك هو عزمه على التوفيق بين فلسفته والشرع.

## الخاتمة

إن ابن رشد هو فيلسوف عقلي وجودي، وفي الواقع، عرف ابن رشد عند العرب بفيلسوف العقل، لكنه بالرغم من شغفه بأرسطو واعتقاده بالحتمية، وبأن العلم مقيد بنظام ثابت ولا يمكن أن يوجد أتم منه، آمن في الوقت نفسه بالشريعة التي تحوي أموراً كثيرة يعجز العقل عن معرفتها بنفسه، وهي أمور ضرورية لحياة الإنسان. وهكذا، طأطأت حكمة فيلسوف الأنجلوس رأسها أمام قدسيّة الشريعة، واختار لنفسه خطأ فلسفياً توفيقياً، حاول بواسطته الجمع بين العقل والإيمان، والفلسفة والدين، والظاهر والباطن... فنجح أحياناً، وباء بالفشل أحياناً أخرى، إذ فهمت بعض أفكاره وتؤويلاته بطريقة تتناقض مع بعض العقائد الدينية، كمسألة أزلية العالم، وعدم معرفة الله بالجزئيات مباشرة، وتؤويل مسألة قيمة الأجسام، مما أثار غضب بعض رجال الدين، فحملوا عليه حملة شديدة، وأصرّوا صدر الشعب ضده، فنفاه الخليفة وحرق مؤلفاته.

اعتبر ابن رشد الفلسفة أعلى مراتب التدين، ودافع عن الفلسفة وصحح العلماء السابقين له كابن سينا والفارابي في فهم بعض نظريات أفلاطون وأرسسطو. يرى ابن رشد أنه لا تعارض بين الدين والفلسفة، وإن كلاهما يبحثان عن نفس الحقيقة، ولكن بأسلوبين مختلفين. آمن ابن رشد أن القرآن قد فتح الباب على مصارعيه للفيلسوف بـان يستعمل العقل المنطق للتعمرق في أمور الدين، وبهذا اعتبر التحليل الفلسفـي لأمور

الدين قمة التدين وليس منافياً لمفهوم الدين، واختار لنفسه خطاً فلسفياً توفيقياً، حاول بواسطته الجمع بين العقل والإيمان، والفلسفة والدين.

ولكن من يقرأ ابن رشد، قراءة فلسفية عميقة وموضوعية، لا يمكنه إلا الإقرار بصدقية الفيلسوف في محاولته التوفيقية بين الحكمة والشريعة، لأنَّه آمن بالله الخالق بصدق عميق، ولم يشك يوماً بوجوده، بل كان اسمه تحت قلمه في جل عباره. غير أنَّ ابن رشد آمن أيضاً بالعقل، وأراد الوصول إلى معرفة الله على ضوء العقل، أما الفلسفه فدين العقل دينهم. لذا، كان إيمان فيلسوف قرطبة إيماناً ذكياً، تحرر من عاطفية النظرة التقليدية السطحية مع الخالق، ونحو إلى العمق والمعنى والجوهر، حاملاً سراج العقل. وأقرَّ أحياناً بقصور العقل، واعترف بمحدوديته. وهذا ليس بغرير عن الفيلسوف، فالفلسفه متواضعة، لأنَّها صادقة في بحثها عن الحقيقة. لكن مشكلة ابن رشد، تكمن في عدم فهم الآخرين، لفكره كما ينبغي. وإنما هذا لأمر طبيعي واقعي، فليس جميع الناس فلاسفه. ومهما قيل فيه، يبقى ابن رشد فيلسوفاً مؤمناً رفع شأن الفلسفه العربية. بل كيف يمكن أن يكون زنديقاً أو كافراً من حارب الدهريين لنكرائهم وجود الله ولمن قال في خاتمه كتابه "فصل المقال": "إن الحكمة هي صاحبة الشريعة، والأخت الرضيعة لها، وهما المصطحبتان بالله، المتحابتان بالجوهر والغريزة".

## المصادر والمراجع

١. ابن رشد، (١٩٩٩)، *فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال*، تحقيق: د/ محمد عماره، ط٣، القاهرة: دار المعارف
٢. ابن رشد، (١٩٦٤)، *تهافت التهافت*، تحقيق سليمان دنيا، ط١، القاهرة: دار المعارف
٣. ابن رشد، (١٩٩٨)، *الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة*، تحقيق د/ محمد عابد الجابري، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية
٤. الجابري، محمد عابد، (١٩٩٨)، *ابن رشد: سيرة وفکر*، بيروت: مركز دراسة الوحدة العربية
٥. زيدان، جرجي، (١٩٠٤)، *تاريخ التمدن الإسلامي*، ج.٣، القاهرة: مطبعة الهلال
٦. صليبا، جميل، (١٩٧٠)، *تاريخ الفلسفه العربيه*، ط٢، بيروت: دار الكتاب اللبناني
٧. الطائي، محمد باسل، *الشمس بين جالينوس والغزالى وموقف ابن رشد*، الأردن: جامعة اليرموك
٨. طوقان، قدرى طوقان، (٢٠٠٢)، *مكان العقل عند العرب*، بيروت: دار القدس
٩. عبد الغنى، مصطفى لبيب، *مفهوم المعجزة بين الدين والفلسفه عند ابن رشد*، القاهرة: دار الثقافة
١٠. عبود، عصام غصن، (٢٠٠٤)، *الأخلاق الدينية ومسألة التأويل عند ابن رشد*، مجلة جامعة دمشق
١١. العقاد، عباس محمود، (١٩٨٢)، *ابن رشد*، القاهرة: دار المعارف
١٢. علال، خالد كبير، (٢٠٠٨)، *مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية*، دار المحتسب

١٣. عمارة، محمد، (١٩٨٣)، المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد، ط ٢، القاهرة: دار المعارف
١٤. فخري، ماجد، (١٩٩٢)، ابن رشد: فيلسوف قرطبة، ط ٢، بيروت: دار المشرق
١٥. مروة، حسين، (٢٠٠٢)، النزاعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، ط ٢، الجزائر: المؤسسة الوطنية
- Rochd, Paris: Presses Universitaires de France Leon Gauthier (1948), Ibn.
١٦. ابن رشد، موقع يابيروت، الاسترجاع في أكتوبر ٢٠١٤، الرابط:  
<http://www.yabeyrouth.com/pages/index786.htm>
١٧. ابن رشد، موقع يابيروت، الاسترجاع في فبراير ٢٠١٦، الرابط:  
<http://www.mawhopon.net/?p=4311>
١٨. ابن رشد: العقل المرجع للتوفيق بين الشريعة والفلسفة، موقع موهوبون، الاسترجاع في فبراير ٢٠١٦، الرابط:  
<http://www.shariaa.net/play-12993.html>
١٩. سعيد عبد اللطيف فودة، بيان حقيقة فلسفة ابن رشد ومخالفته لأهل السنة والجماعة، موقع الشريعة، الاسترجاع في فبراير ٢٠١٦، الرابط:  
<http://www.startimes.com/?t=19311720>



## إدوارد سعيد ودوره التأسيسي لنقد ما بعد الكولونيالية

د/عبد الجليل.م<sup>١</sup>

### الملخص

ان مصطلح 'ما بعد الاستعمار' أو ما بعد الإستعمارية واحد من مصطلحات 'ما بعد' (Post Theories) مثل ما بعد البنية وما بعد الحداثة وغيرها، ولم تظهر هذا الحقل المعرفي من عدم، وظهرت إرهاصاته منذ الخمسينات، وكانت هناك بواكيير المحاولات منذ الخمسينات، ومن أبرز المثقفين الذين وضعوا إطاره النظري هو الأكاديمي الأميركي من أصل فلسطيني إدوارد سعيد وذلك من خلال كتابه الاستشراق الصادر عام ١٩٧٨ وبعد صدور هذا الكتاب أصبح إدوارد سعيد يعدّ من الأقانيم الثلاثة لهذه النظرية مع هومي بهابها وغاياتري سيفاك، أي الثالث المقدس للنظرية ما بعد الكولونيالية حسب تعبير روبرت يانغ، ويدور هذا المقال حول الدور التأسيسي لإدوارد سعيد لهذه النظرية.

### ماهية مفهوم 'ما بعد الكولونيالية'

ويشير مصطلح ما بعد الاستعمار للوهلة الأولى من خلال دلالته اللغوية إلى المرحلة التي تلي الفترة الاستعمارية، وتشير الـ"ما بعد" إلى الكرونولوجية والتعاقبية، وأن الكلمة ربما رفعت سؤلاً : متى تبدأ ما بعد الاستعمار فعلاً؟ فمتى انتهى؟ فلا يكون هناك إجابة بدقة، ولذلك نتحسس بضبابية الدلالة التاريخية للـ"ما بعد"، وإذا تفكرنا من ناحية الدلالة المنهجية بالمقارنة مع جميع المعايير مثل ما بعد الحداثة وما بعد البنية فلا تكون هناك أزمة قبل الخوض إلى نظرية ما بعد الكولونيالية، سيتم النقاش حول الدور التأسيسي لهذه النظرية.

وهذه هي بعض المصطلحات والتراكيب التي لا تزال تتداول ضمن نقاش هذا المفهوم في كل حين، وهي: تفكيك وتقويض الاستعمار (Decolonization) وعلاقة الآنا بالآخر – عقلية الآنا والآخر (the us-other) والهيمنة (mentality) والتمركزية الغربية (Euro-centrism) والسرد المضاد للإستعمار (Counter Narrative) والهيمنة (hegemony) وثنائية الشرق والغرب (the Primitive 'Other' in contrast with the 'civilized west') وقضية الغيرية (Otherness) والمراكز/الهامش (Centre/Margin) والكتابة الرجعية (Writing back) واعادة الكتابة (Rereading) وإعادة القراءة (Rewriting)

هو خطاب نصي نظرية تهدف تفكيك الخطاب الإستعماري (Decolonization of discourses)، ودراسات ما بعد الاستعمارية تشمل مجالات عدة من الأبحاث أبرزها: بالسياسة والفلسفة والأنثروبولوجيا واللسانيات والأدب والنقد والتاريخ وغيرها، كما يرتكز هذا الخطاب على فكر ما بعد الحداثة الذي يربط ما

<sup>١</sup>. استاذ مساعد، قسم العربية، كلية فاروق، كاليفورنيا.

بين نظرية المعرفة وعلاقات القوة في المجتمعات، وهو إعادة قراءة الأعمال الأدبية بطريقة تمكنا من استعادة صوت المستعمر/المهش/التابع، وهي نظرية نقدية لا تنظر إلى الخطاب بوصفه مهمة تاريخية ولكن بوصفه مهمة بوليتيكية ثقافية، وهو خطاب نشأ في الغرب، ولكن قادها نقاد غير غربيون.

وإن صاغ هذا المصطلح Simon During الناقد الأسترالي، ولإدوارد سعيد الدور التأسيسي التطبيقي، غير أن نقد الكونيالية وأثارها ظهر قبل ذلك في الأعمال الأدبية لعدد من الكتاب لعل أبرزهم الكاتب الفرنسي فرانز فانون، وكان ذلك من أعماله 'بشرة سوداء وقناع أبيض' ١٩٥٢ وكتاب 'بشرة سوداء، أقنعة بيضاء' The Wretched of the Black Skins, White Masks) لفرانز فانون عام ١٩٥٢، وأما كتاب "معدن الأرض" (Earth – The bible of decolonization) لفرانز فانون عام ١٩٦١، فيعدّ هذا معلمًا مهمًا من معالم الكتابة في حقل الكتابة الاستعمارية ، وإن تحليل إدوارد سعيد جاء مرتكزاً أيضًا على بحث سابق له من المفكرين الغربيين الفرنسي Michel Foucault والإيطالي Antonio Gramsci، وأن عدداً ملحوظاً من المفاهيم المستخدمة في الخطاب ما بعد الاستعماري تعود إلى كتابات المفكر والناشط السياسي الإيطالي أنطونيو غرامشي كالهيمنة (Hegemony)، وقد استمد من الأدوات النقدية المتميزة في كتابة Michel Foucault التي تقرن المعرفة بالقوة والسيطرة والتمثيل، الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي ميشال فوكو كان من أوائل المفكرين الذين وضعوا بشكل متكملاً ومتراوحاً أسس هذه النظرية المعرفية، رغم أن بذورها كانت موجودة في طروحات مفكرين سابقين، وهي تنفي ثنائية المعرفة والسلطة وتربيطهما معاً في مفهوم واحد.

وقد استمدّ إدوارد سعيد الموارد من هذه الكتب أيضاً :كتاب "صورة المستعمر" (Le Portrait Du Colonisateur) للكاتب التونسي ألبير ميمي(Albert Memmi)عام ١٩٥٧، ورواية "أشياء تتداعى" (Things Fall Apart) للكاتب النيجيري تشنسوا آتشي عام ١٩٥٨، وكتاب "متع المنفى" (The Pleasures of Exile) للكاتب الكاريبي جورج لامينغ(George Lamming)عام ١٩٦٠ والذي يكشف فيه عن البعد الكولونيالي في مسرحية "العاصفة" لويليام شكسبير، وكتاب "المستعمر والمستعمّر" (The Colonizer and The colonized) لألبير ميمي عام ١٩٦٥ ، وعلى الرغم من وجود تلك الكتب، أن لفرانز فانون دور بارز ولذلك أنه اعتبر الأب الروحي لنظرية ما بعد الكولونيالية ولكن الأب التأسيسي لنقد ما بعد الكولونيالية هو إدوارد سعيد.

### **الدور التأسيسي لإدوارد سعيد لنقد ما بعد الكولونيالية**

ولا بد من وقفة وجيزة للتذكير بعظمة الراحل إدوارد سعيد، هو ناقد أكاديمي من جامعة كولومبيا الأمريكية، وهذا الكاتب الأمريكي من أصل فلسطيني من أشهر من تحدث عن مصطلح ما بعد الإستعمار وتطوره ووسع مباحثه لا سيما في كتابه 'الإستشراق'. ويأتي إدوارد سعيد في طليعة من حدد فضاء 'ما بعد الإستعمار' وقد استطاع أن يفتح حقولاً معرفياً جديداً، وهو خطاب يلتزم فيه القوة السياسية المهيمنة بالمعرفة والإنتاج الثقافي، وأن له دور تأسيسي، ويعدّ من الأقانيم الثلاثة لهذه النظرية، هم إدوارد سعيد،

وهو مي ههامها وغاياته سيفاک الثالث المقدس للنظرية ما بعد الكولونيالية بتعبير روبرت يانغ (The holy Trinity of Post Colonial critics – Robert Young) عام ١٩٧٧، وضع فيه اللبنات الأولى لهذه النظرية حيث قام بتفكيك الخطاب الاستشراقي، وتشريح أدبياته، ومقولاته المتراكمة حول الشرق منذ عقود، وقدّم تعريفات كثيرة للاستشراق.

وهذا الكتاب لا يزال غضا طريا، وأثار هذا الكتاب النقاش الحاد في الأوساط الأكademie على الصعيد العالمي، وصاحوا به النازي الجديد عند صدوره، واحتل سعيد الحيز الأوسع بكتابه الإستشراقي والثقافية الإمبريالية في حقل ما بعد الكولونيالية، واحدث الكتاب انقلابا في قلب المفاهيم البنوية والألسنية، لما أنه كشف آلية السلطة والسيطرة على الخارج، وهو تمرد على الخطاب المركزي الذي يصدره العالم الأول.

ويرى ادوارد سعيد أن الإستشراقي عنف ابستمولوجي (Epistemological Violence) للغرب على الشرق، وما هو إلا نتيجة التحالف الفاضح (Unholy alliance) للنهاية الأوروبي مع الإمبريالية، والاستشراقي هو الأحكام المسبقة المستمرة والتي تمركزت على أوروبا ضد الشرق<sup>١</sup> ، ويقول نعوم جومسكي (Noam Chomsky) عن إدوارد سعيد إن عمله خصص لفضح الميثولوجيات الغربية التي كونناها عن أنفسنا والميثولوجيات التي كونناها عن الآخرين<sup>٢</sup> ، العمل الأول اي فضح ميثولوجيا الآنا أكثر صعوبة من الثاني، ذلك إن نظرنا في المرأة لنرى أنفسنا عملية أصعب بكثير من نظرنا للآخرين، ويقول طلال أسد أن كتاب الاستشراقي ليس بكتالوج الأحكام المسبقة للغرب ضد العرب والمسلمين فقط، بل هو تحليل نقدي معتمد على محادثة الإستشراقي<sup>٣</sup>.

وهذا الكتاب يتضمن على ثلاثة أبواب، والباب الأول: هو نطاق الاستشراقي والباب الثاني: أبنية الاستشراقي وإعادة بنائها<sup>٤</sup> والباب الثالث: الإستشراقي الآن، والباب الأول: نطاق الإستشراقي يتضمن على فصول: الفصل الأول: معرفة الشرقي(Knowing the Oriental) والفصل الثاني: الجغرافية الخيالية وصورها (Imaginative Geography and its Representations) الفصل الثالث: مشروعات الفصل الرابع: الأزمة. والباب الثاني: أبنية الإستشراقي وإعادة بنائهما يتضمن على فصول: الفصل الأول: حدود أعادوا رسماها وقضايا أعادوا تعريفها ودين جعلوه علمانياً، والفصل الثاني: سلفستر دي ساسي وايرنسن رينان: الأنثروبولوجية العقلانية ومخترق فقه اللغة<sup>٥</sup> ، والفصل الثالث: الإقامة في الشرق دراسته – متطلبات تصنيف المعاجم

<sup>١</sup>. Subtle and persistent Eurocentric prejudice against Arab

<sup>٢</sup>. False image of the Orient fabricated by Western thinkers (as the Primitive 'Other' in contrast with the 'civilized west')

<sup>٣</sup>. The anthropologist Talal Asad said that the book Orientalism is not only catalogue of western prejudices about and misrepresentations of Arabs and Muslims.... But an investigation and analysis of the authoritative structure of Orientalist discourse'

<sup>٤</sup>. Orientalist Structures and Restructure s

<sup>٥</sup>. Redrawn Frontiers, Redefined Issues, Secularized Religion

<sup>٦</sup>. Silvestre De Sacy and Ernest Renan: Rational Anthropology and Philological Laboratory

ومتطلبات الخيال<sup>١</sup> ، والفصل الرابع الحجاج ورحلات الحج من بريطانيا وفرنسا. والباب الثالث: الإستشراق الآن يتضمن على الفصول: الفصل الأول: الإستشراق الكامن والإستشراق السافر (Latent and Manifest) (Style, Expertise, Vision: Orientalism)، والفصل الثاني: الأسلوب الخبرة والرؤيا: الطابع الدنيوي للإستشراق (Modern Anglo – Orientalism's worldliness) ، والفصل الثالث: الإستشراق الأنجلو فرنسي في أوج إزدهاره – French Orientalism in fullest power)

ونقف على بعض التنبؤات لادوارد سعيد كنماذج لنقد ما بعد الكولونيالية:

التنظير الأول: " هو طريقة للوصول إلى تلاؤم مع الشرق مبنية على منزلة الشرق الخاصة في التجربة الأوروبيية الغربية، فالشرق ليس لصيقاً بأوروبا وحسب، بل إنه كذلك موضع أعظم مستعمرات أوروبا، وأغناها، وأقدمها، ومدار حضارتها ولغاتها، فقد ساعد الشرق على تحديد أوربا (أو الغرب) بوصفها صورتها وفكرتها وشخصيتها وتجربتها المقابلة"<sup>٢</sup>.

التنظير الثاني: "أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي ومعرفى بين الشرق وفي معظم الأحيان الغرب، وهكذا قد تقبل جمهور كبير جداً من الكتاب، وبينهم شعراء وروائيون وفلاسفة ومنظرون سياسيون واقتصاديون وإداريون استعماريون، التمييز الأساسي بين الشرق والغرب بوصفه نقطة الانطلاق لسلسلة محكمة الصياغة من النظريات والملامح والروايات والأوصاف الاجتماعية، والمسارد السياسية التي تتعلق بالشرق وسكانه وعاداته وعقله وقدره، وما إلى ذلك..."<sup>٣</sup>.

التنظير الثالث: "أن الشرق ، فهو وسيلة استعمارية أداتها المعرفة، وهدفها فرض سيطرة أوروبا على العالم غير الأوروبي الذي تسميه مجازاً، وتعتبره حقيقة اسمها "الشرق" ، ومن هذه القناعة يسعي سعيد في الحديث عن العلاقة بين القوة والمعرفة"<sup>٤</sup>.

وهذه النقطة التي يلتقطها النقاد ما بعد الكولونياليون ويؤسسوا منها فرعاً بحثياً أسموه "دراسات التابع" كما طورها غايatri Spivak (Gayatri Chakravorti Spivak) باحثة ونقدة أدبية هندية وهي أكاديمية في جامعة كولومبيا الأمريكية. تصنف نفسها على أنها "ماركسية نسوية تفكيكية عملية" وشكلت مقالتها "هل يمكن للتابع أن يتكلم؟" (Can subaltern speak? 1988) وهذا الكتاب محطة مهمة في خطاب ما بعد الاستعمار بشكل عام ودراسات التابع بشكل خاص. أبرز مؤلفاتها: في عالم آخر: مقالات في السياسية الثقافية (١٩٨٧) - دراسات مختارة عن التابع (١٩٨٨) - ناقد ما بعد الاستعمارية (١٩٩٠) - نقد

<sup>١</sup>. Oriental Residence and Scholarship: the requirement of lexicography and imagination

<sup>٢</sup>. إدوارد سعيد، الإستشراق – المفاهيم الغربية للشرق، رؤية للنشر والتوزيع، ١٩٩٥، ص: ١٩

<sup>٣</sup>. المرجع السابق، ص: ٢٠

<sup>٤</sup>. المرجع السابق، ص: ٥٦

العقل ما بعد الاستعماري (١٩٩٩)، وهي التي روجت دراسات التابع (Subaltern Studies)، وهو مي باها (Homi K. Bhabha) أيضاً يعد الاقنيم الثاني لما بعد الكولونيالية، وهو أكاديمي هندي أستاذ الأدب الأميركي والبريطاني في جامعة هارفرد حيث يرأس مركز الدراسات الإنسانية هناك. برع اسم هومي باها من خلال طرحه مفهوم "التهجين" لتفسير نشوء أشكال ثقافية جديدة في عالم التعدد الثقافي. أبرز أعماله: أمم ومرؤيات 'Nation and Narration' (1990).

#### الخاتمة

وخلاصة القول أن الإشتراك لأدوار سعيد هو العمل التأسيسي، وأصبحت نظرية ما بعد الكولونيالية تحلل الخطاب الاستعماري وتعيد قراءة التاريخ من وجهة نظر المستعمر / المهمش، وأصبح إدوارد سعيد بعد ذلك من الاقنيم الثلاثة لهذه النظرية مع هومي باها وغاياتري الدين يدعوهم روبرت يونغ (الثالوث المقدس للنظرية ما بعد الكولونيالية)، وقد كان كتاب 'الاشتراك' لسعيد كتاباً تأسيسياً لهذه النظرية وقد مارس هذا الكتاب كل من أتوا من نقاد ما بعد الكولونياليين كأئم الكتاب.

#### المصادر والمراجع

١. إدوارد سعيد، الإشتراك - المفاهيم الغربية للشرق ، رؤية للنشر والتوزيع، ١٩٩٥
٢. مقالة " ما بعد الكولونيالية – منظور ادوارد سعيد" لمجي ممدوح، مجلة الفلق الالكترونية، في موقع [www.alfalaq.com](http://www.alfalaq.com)
٣. مقالة " أدب ما بعد الكولونيالية – اتساع المفهوم وتحديات السياق" لسعد محمد رحيم في موقع [www.elaph.com](http://www.elaph.com)
٤. مقالة "نظيرية ما بعد الاستعمار" للدكتور جميل حمداوي في موقع [www.alukah.net](http://www.alukah.net)
٥. مقالة "في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار" لعوض ابراهيم غرابية في موقع [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)
٦. في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، آنيا لومبا، دار الحوار، اللاذقية، سوريا
٧. دراسات ما بعد الكولونيالية - المفاهيم الرئيسية لنخبة من المفكرين، ترجمة - أحمد الروابي، المركز القومي للترجمة



## العادات الهندوسية في كيرلا القديمة

د/محمد عابد . يو. بي<sup>١</sup>

### الملخص

تمثل العادات النشاط البشري من طقوس أو تقاليد تستمد في أغلب الأحيان من فكر أو عقيدة المجتمعوتدخل العادات في كثير من نواحي الحياة، والعادات جمع عادة والعادة في اللغة هي ما يعتاده الإنسان أي يعود آلية مارا وتكراراً. وهي أنماط معتادة ومكتسبة ومتعلمة ومتكررة للفرد من السلوك، وتحددت ما قبل الشعور وليس بتفكير شعوري بشكل مباشرأوملاحظ لأنها لا تلتقي مع تحليل الذات. فالعادات والتقاليد الاجتماعية هي أنماط سلوكية تخص جماعة ما، حيث تعلمها شفهيا من الجماعة السابقة مثل تقليد أو احتفال بعيد معين.

وإن الديانة الهندوسية وهي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وهي عبارة عن العقائد والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة. كتاب "تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين" للشيخ زين الدين بن محمد الغزالى المخدوم الفناني المليباري الذي ألف أولا في تاريخ كيرلا هو المصدر الأصلي والمراجع الأساسي لدراسة العادات والتقاليد التي كانت في قديم كيرلا. وهذا المرجع التاريخي الوصفيتناول تاريخ مختلف سكان كيرلا وعلى الخصوص الهنادكة وعاداتها ونقاليدهما أساليب حياتها واختلاف طبقاتها وشئ وظائفها. هذه الورقة محاولة الالتفات إلى العادات والتقاليد لأهالي الديانة الهندوسية في كيرلا القديمة.

### الهندوسية وطبقاتها

إن الديانة الهندوسية تمثل معظم أهالي الهند وهي التي فيها الطبقات والوظائف الخاصة والتقاليد والعادات. الديانة الهندوسية منقسمة إلى أربع طبقات. وكل منها وظائف خاصة بهم، البراهمة هم ذوو طبقة عالية، كان ينظر إليهم كأنهم آلهة، أما كشتريا فهم طبقة المقاتلين وأما ويشار فتناولوا التجارة والزراعة وتربية الحيوانات كما قام شودرار وهم المبزوبن بالمهن الحقيقة مثل غسل الملابس وتنظيف الجلد والكناسة<sup>٣</sup>.

والطبقات الأدنى كانت تواجه شتى المشاكل والصعوبات في حياتهم حتى في الزواج لأن الزواج من الطبقات الأعلى أو الطبقات المختلفة لا تقبل ولا تلائم. وكانوا يعملون الأعمال الحقيقة والفعائل الرخيصة

<sup>١</sup> أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق ، كاليكوت ، كيرلا.

<sup>٢</sup> المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق ش م م ، بيروت ، لبنان ، ط : ٣٧-٣، ISBN 2-7214-2207-5، ص: ٥٣٦

<sup>٣</sup> الدكتور جمال الدين الفاروقى ، دراسات في الثقافة والحضارة، مكتبة الهدى ، ٢٠١٠، ص: ٢٨

لعيشتهم<sup>١</sup>. تعتبر البراهمة أعلى جنس الهندوسية وكانوا يفتخرون به، وكانوا يبعدون الأجناس الأخرى تجنبًا عن الالتماس بين الأعلى والأدنى وهناك بينهم حدود معلومة<sup>٢</sup>.

وكان المكان العالي في مجتمع الهندادكة للبراهمة ونظام الطبقة في الهند مشجع والعيشة ضدّها تؤدي إلى القتل أيضًا. والعبودية الطبقية والعبودية الزراعية كانت تؤثر في المجالات الاجتماعية والمجالات الثقافية<sup>٣</sup>.

#### العادات والتقاليد

إن كتاب "تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين" أهم الكتب "الثلاثية" العربية في مقاومة الإستعمار بكثيراً في القرون الوسطى فيه بعض من العادات والأخلاق لقد انعكس أصل الانعكاس. وانطبعت هذه العادات والأخلاق على الحياة بكثيراً في القرون الوسطى. وكتاب "تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين" يتحدث بعض العادات والأخلاق التي شاعت آنذاك في مليبار. ولكن هذه العادات كلها تنتهي إلى هنادكة مليبار وليس هذه العادات موجودة في غيرها من الأقطار وعلاوة على هذا هذه العادات كلها غريبة وهي أيضاً عادات معظمها لا يقبلها مجتمع مثقف.

منها:

إن المليباريين هم أحبو راعيهم كثيراً، فإن لقي مصرعه في الحرب قاتلوا أعداءه حتى يقتلوه جميعهم ويخبروا بلاد خصمه.

"إذا قتل راعيهم في الحرب يتهم عساكره وبلاده على خصمه حتى يقتلوا جميعهم أو يخبروا مملكة خصمه جمیعا"<sup>٤</sup>.

وإن المليباريين لا يخدعون أعداءهم في الحرب، فيحددون تاريخاً خاصاً لها لا يخالفونه ويرون الخداع في ذلك هواناً.

"إنهم لا يخدعون أعداءهم في الحروب فيعيّنون يوماً معلوماً للحرب لا يخالفونه ويرون الخداع في ذلك هواناً".<sup>٥</sup>

إذا مات كبارهم كالب والأم والأخ الكبير بين البراهمة والنيلاليقرون نسوتهم سنة ويختبئون أكل الحيوانات، والتنبول، وحلق الشعر، وقلم الأظفار وذلك قرية إلى الأموات.

<sup>١</sup>Sathish Chandra, Medieval India, DC Books, Kottayam, 2008, ISBN 978-81-264-1752-0., p 149

<sup>٢</sup> Prof. A. Sreedhara Meon, Keralacharithram, DC Books, Kottayam, Augest 2007, ISBN 81-264-1588-6., P 103

<sup>٣</sup> Malayinkeezh Gopalakrishnan, Keralam Lokacharithrathilude, The State Institute of Languages, Thiruvananthapuram, Feb: 2012, ISBN 978-81-7638-088-1., P 27

<sup>٤</sup> الشیخ زین الدین المخدوم ، تحفة المجاهدين ، مکتبة البیدی، کالیکوت، ۱۹۹۲. ، ص: ۳۱  
<sup>٥</sup> المصدر السابق ، ص: ۳۱

"إذا مات كبارهم كالب والأم وكبار الأخوة بالنسبة إلى البراهمة والنجارين وأمثالهم والأم والفال، وكبار الأخوة بالنسبة إلى النيار ومن قاربهم يجتنبون سنة كاملة غشيان النساء وأكل الحيوانات، والتبول، وحلق الشعر، وقلم الأظفار ولا يخالفون هذه العادة ويرون ذلك قربة إلى الأموات".<sup>١</sup>

والنيار لا يورثون أولادهم مالاً وملكاً وبين الهندوس الآخرين كالبراهمة فالإرث فيهم للأولاد.

"إن الإرث في طوائف النيار ومن قاربهم لأخوته من الأم وأولاد أخواتهم أو خالاتهم أو حالياتهم أو قرابتهم من جهة الأم، لا للأولاد مالاً وملكاً".<sup>٢</sup>

والبراهمة والصاغة والنجارون والحدادون والفازانيون والسماكون وغيرهم لا يورثون أولادهم مالاً وملكاً وبين الهندوس الآخرين فالإرث فيهم للأولاد.

"أما البراهمة والصاغة والنجارون والحدادون والفازانيون والسماكون وغيرهم فالإرث فيهم للأولاد ولهم النكاح".<sup>٣</sup>

النكاح في طوائف النيار ليس إلا عقد خيط في عنق المرأة في أول مرة ثم الأمر على حسب الحال. "النكاح بين النيار هو عقد خيط في عنق المرأة في أول مرة ثم الأمر على حسب الحال، العقد وغيره سواء".<sup>٤</sup>

في البراهمة ينكح أكبر الإخوة فقط لثلا يكثر الوراثة إلا إذا تحقق أنه لا يولد له فينكح غيره، وينضم الباقيون إلى نسوان النيار من غير نكاح. ويجتمع على مرأة واحدة بالتناوب كل ليلة أكثر من واحد من الرجال بين النيار، ويتبعهم بعض الهندوس الآخرين في هذا التقليد.

"أما البراهمة فإذا كانوا اخوة لا ينكح إلا أكبرهم سناً ما لم يتحقق أنه لا يولد له والباقيون لا ينكحون لثلا يكثر الوراثة فيقع الخلاف بينهم فينضم إلى نسوان النيار من غير نكاح. وإذا حصل لأحدthem من أحدهم الولد فلا يورثون وإذا تحقق أن الأكبر لا يولد له نكح غيره".<sup>٥</sup> و"يجتمع على مرأة واحدة من طوائف النيار ومن قاربهم اثنان أو أربعة أو أكثر ويتناوب كل منهم ليلة كما يقسم الزوج المسلم زوجاته ووقوع العداوة والشحنة بينهم قليل، وتبعهم الصاغة والنجارون والحدادون

<sup>١</sup> المصدر السابق ، ص: ٣١

<sup>٢</sup> المصدر السابق ، ص: ٣١

<sup>٣</sup> المصدر السابق ، ص: ٣١

<sup>٤</sup> المصدر السابق ، ص: ٣١

<sup>٥</sup> المصدر السابق ، ص: ٣١

والفازانيون والسماكون وغيرهم في أن يجتمع على مرأة أكثر من واحد ولكن من الإخوة ولا القرابة لئلا يتفرق الورثة ويقل الخلاف بينهم في الإرث<sup>١</sup>.

إنهم لا يسترون أبداهم إلا السوتين وشينما يلهمها وباقى البدن مكشوف، ويستوي في ذلك الذكور والإإناث والملوك والكبارء. ويوجد الحجاب بين نساء البراهمة. "إنهم كاشفون أبداهم ولا يسترون إلا السوتين وشينما يلهمها وباقى البدن مكشوف، ويستوي في ذلك الذكور والإإناث والملوك والكبارء. ولا يحتجب نسوانهم عن أحد إلا نسوان البراهمة فلهن احتجاب أما النيار فيزيزنون نسوانهم بالحلي والثياب النفيسة ويخرجون في مجتمعهم الكبيرة حتى يشاهدهن الرجال ويستحسنونهن"<sup>٢</sup>.

وهم يملكون اذا كان هو أكبر سنا ان لم يستحقوا به. "لا يتملك فهم إلا من هو أكبر سنا ولو بلحظة وان كان أحمق أو أعمى أو ضعيفا أو من أولاد الحالات. ولم يسمع أن أحدا من الاخوة أو أولاد الحالات قتل من هو أكبر منه سنا بتولي الملك عجلا"<sup>٣</sup>. "إذا انقطع الورثة أو قلوا يأخذون أجنبيا ولو كبارا ويجعلون وارثا في مقام الولد أو الأخ أو ولد الأخ ثم لا يفرقون بينه وبين الاصل في الإرث والملك"<sup>٤</sup>.

وانهم التزموا بعضها من التكليفات لا يعدلون عنها لأنهم منقسمون إلى جناس عديدة. منهم الأعلى والأدنى وما بينهما واذا التمس بين الأعلى والأدنى وكذا القرب إلى حد معلوم عندهم بالنسبة إلى الدينين فلا بد للأعلى للغسل ولا يجوزون له أكل الطعام قبل الغسل فلو أقبله انحرط عن مرتبته فلا يدخلونه معهم في مرتبتهم العليا ولا خلاص له الا بالهرب إلى موضع لا يعرف حاله. منها:

"انهم التزموا تكليفات كثيرة لا يعدلون عنها لأنهم منقسمون إلى جناس عديدة. منهم الأعلى والأدنى وما بينهما واذا وقع التماس بين الأعلى والأدنى وكذا القرب إلى حد معلوم عندهم بالنسبة إلى الدينين فلا بد للأعلى من الغسل ولا يجوزون له أكل الطعام قبل الغسل فلو أقبله انحرط عن مرتبتهم العليا ولا خلاص له الا بالهرب إلى موضع لا يعرف حاله ولا أخذه راعي البلد وباعه من هو أدنى منه".<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> المصدر السابق، ص: ٣٢.

<sup>٢</sup> المصدر السابق، ص: ٣٢.

<sup>٣</sup> المصدر السابق، ص: ٣٢.

<sup>٤</sup> المصدر السابق، ص: ٣٢.

<sup>٥</sup> المصدر السابق، ص: ٣٣.

"لا يجوزون للأعلى أن يأكل طعاما طبخه الأدنى فان أكل انحرط عن مرتبته فلا يدخلونه معهم في مرتبهم العليا ولا خلاص له الا بالهرب إلى موضع لا يعرف بحاله"<sup>١</sup>.

"و اذا وقعت حجرة واحد من الدينين على احدى النساء اللاتي فوق مرتبته في ليالي معروفة عندهم من السنة انحرطت عن مرتبتها ان لم يستصحبها ذكر ولو حملأ فإما يأخذها الوالي ويبيعها أو تسلم أو تصير نصرانية أو جوكية"<sup>٢</sup>.

#### الخاتمة

على الرغم بأن الديانة الهندوسية تضم القيم الروحية والخلقية إلى جانب المبادئ القانونية والتنظيمية متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها هي كانت متميزة بغرائب التقاليد والعادات. لقد أتى "تحفة المجاهدين" حجما كبيرا من العادات الغربية التي شاعت بين هنادكة مليبار. وهذه العادات المنتمية الى هنادكة مليبار ليست موجودة في غيرها من الانقطار وعلاوة على هذا هذه العادات كلها غربية وهي أيضا عادات معظمها لا يقبلها مجتمع مثقف.

#### المصادر والمراجع

١. الدكتور جمال الدين الفاروقى ، دراسات في الثقافة والحضارة ، مكتبة المهدى، ٢٠١٠.
٢. الشيخ زين الدين المخدوم ، تحفة المجاهدين ، مكتبة المهدى، كاليكوت، ١٩٩٢.
٣. المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق . ش م م ، ط: ٣٧ ، بيروت، لبنان.
٤. Malayinkeezh Gopalakrishnan,Keralam Lokacharithrathilude (Kerala through the World History),The State Institute of Languages,Thiruvananthapuram,Feb. 2012,ISBN 978-81-7638-088-1.
٥. Prof. A. Sreedhara Menon,Keralacharithram,DC Books, Kottayam,Augest 2007,ISBN 81-264-1588-6.
٦. Sathish Chandra, Medieval India,DC Books,Kottayam,2008,ISBN 978-81-264-1752-0.



<sup>١</sup> المصدر السابق، ص: ٣٣

<sup>٢</sup> المصدر السابق، ص: ٣٤

## فن الرواية العربية وأعلامها المعاصرة في سوريا

السيد خالد. س.ت.<sup>١</sup>

د/س. سيد علوى<sup>٢</sup>

### الملخص

وفي القرن المتوسط كانت سوريا مركزاً للحضارة والثقافة وكانت في العصور الأولى والعباسيين في سلطنة الباشوات والحكام، ومرت عليها المماليك والامبراطوريات. واستقلت سوريا سنة ١٩٤٦ أبريل ١٧ ، من أيدي المستبددين من المستعمرتين الفرنسيتين والإنجليزتين بعد ثورات ومعارك عظيم. "منذ ١٩٦١ م سميت سوريا رسمية باسم 'الجمهورية العربية السورية'، والعملة الرسمية التي تتصرف فيها 'الليرة السورية'، وعاصمتها مدينة دمشق' التي تعتبرها كأقدم عاصمة في التاريخ لموقعها الاستراتيجية في الشرق الأوسط وفي غرب آسيا وهي كانت نواة بلاد الشام التي كانت تتكون من سوريا والأردن ولبنان وفلسطين وهي مؤلفة من ١٤ محافظة ومنها اللاذقية وحمص وحلب واسكندون وغيرها وتقع في مساحة ١٨٥.١٨٠ كم<sup>٢</sup>. تقع سوريا غرب آسيا على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط في منطقة تعتبر صلة الوصل بين آسيا وأوروبا وإفريقيا، ولها حدود مشتركة مع الأردن جنوباً والعراق شرقاً وتركياً شمالاً ولبنان غرباً، وتحاذى هضبة الجولان في الجنوب الغربي فلسطين المحتلة".<sup>٣</sup> ومن أجل حلول الهضبة الجديدة قد ظهرت في أرضها ثقافات وحضارات جديدة، وبدت فيها آثارها وأعلامها. وازدهرت حركة الترجمة والنشر من أجل الاختلاط بين العرب والغرب وبرزت فنون أدبية جديدة ومعاصرة في اللغة العربية مثل الرواية والقصص والمسرحيات في النثر والقصائد الحرة التي تتضمن المواضيع المعاصرة مثل شعر المقاومة وشعر السجون وغيرها وترجمت أعمال كثيرة من الآداب الغربية إلى اللغة العربية كما ترجمت منها إلى اللغات الأجنبية وتحولت أفلاماً والسناريا.

وهذه الورقة تسلط الضوء إلى ازدهار فن الرواية العربية في سوريا وتعرف أعلامها المعاصرة في هذا المجال. لأن هذه البقعة خصبة التي قد امتازت بعديد من الانتاجات الأدبية وإنجاحات جملة من الأدباء.

### تأثير الهضة الأخيرة على الأدب

جاءت الهضة الأخيرة -قدوم نبليون سنة ١٧٩٨- بكل فنونها الأدبية الموجودة عند الغرب (شعرًا كان أو نثرًا) ومواضعه المعاصرة، شكلًا ومضمونًا، وانتقل الأدب العربي من صورته القديمة والمهمة إلى ما أوضح وأجل، وفيه هم المجتمع، وتصوير الواقع، ومعالجة السياسة، مع أسلوب جديد حيث يستعمل الألفاظ

<sup>١</sup> باحث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، وأستاذ مساعد، كلية السيد بوكمي تنغال التذكارية الحكومية، فربنالمانا

<sup>٢</sup> عميد الكلية، كلية كورميال أحمد حاجي التذكارية، يونتي للبنات ، منجيри.

<sup>٣</sup> الأستاذ حسين سعيد الكرمي، قاموس المنجد الهادي إلى اللغة العربية . وملحق البلدن : ، والجمع والإعداد : سميه معطي الطبعة الأولى، دار لبنان للطباعة والنشر، ٢٠١٠:١٥٣٥:ص

والكلمات التي تظير المعنى إلى ذهن القارئ بسهولة جداً. والأدباء محررون في تعريض آمالهم وشكواهم "وهان عليهم العدول إلى الحقيقة بحيث يكون هم الكاتب موجهاً في الأكثر إلى المعنى المراد إيضاً".<sup>١</sup> وتظهر فيه روح العصر وحاجة الشعب، بعد أن كان أسلوب هذا الأدب عالٍ على الألفاظ المتراوحة والمترکرة لمجرد التفخيم.

وبناءً على النهضة الأدبية العربية بمساعدة الترجمة (وفي العصر العباسي نقل الأدباء من آداب الفرس بعضها، ولكن مساعدة الكتاب مثل لطفي المنفلوطي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهم في تقديم الترجمة سعت آفاقها إلى الأفريقي والإنجليزي والإيطالي وغيرها وبدأوا ترجمة تراثهم إلى اللغة العربية ولو كانت موضوعها للتسلية فقط) حيث ظهرت مئات من الشعراء والأدباء في مصر وفي سوريا وفي بلدان العرب كلها، ونقلوا كثيراً، لا تعد ولا تحصى، من القصص والروايات عن الفرنسية والإنجليزية والإيطالية. ومن أقدم المشتغلين في هذا المجال فرانسيس مراس السوري وسليم بطرس البستاني اللبناني و جورجي زيدان المصري وغيرهم .

ولو كان الفضل في تطوير الأدب العربي الحديث يرجع إلى حركات التحرر والترجمة التي ظهرت في أواخر الحكم العثماني حيث أخذ الشبان القلم لتعبير مشاكلهم ومشاكل أممهم، يعد ظهور الصحافة العربية، بتأثير النهضة، خطوة شيدة لتطور الأدب العربي النثري الحديث. لعبت الصحف والمجلات التي صدرت في سوريا وفي العراق وفي مصر وفي لبنان وفي أماكن غيرها من الدول العربية دوراً مهماً لتطور الأدب العربي الحديث، حيث نشر الأدباء التراث الأدبي وأحياناً، وأقربوا إلى القراء الآداب المترجمة مع نشر المنشولات إلى اللغة العربية في تلك الصحف والمجلات، وفتحوا بمساعدتها أمام القراء أبواباً إلى فنون جديدة كالقصة والرواية والمسرحية والمقالة وغيرها التي وجدت لها قبولاً حسناً في الأيام المتواتلة.

ومن المفهوم أن سوريا كانت أرض خصبة للأدب منذ زمن قديم حيث عاش فيها المشهورون من الكتاب مثل أبو تمام والمتني والبحتري وغيرهم. ومع هذا، بعد أن ظهرت الحركة الأدبية في سوريا الحديثة، وظهرت الجرائد والصحف، وترجمت كثير من الأعمال الأدبية من الكتاب الأجانب وشعرائهم، تجلت بذلت وبذلت مجموعة من الأجناس الأدبية، وخرجت الفلسفات في مختلف التوجهات منها، وتأسست مجامع اللغة العربية وأدابها.

وبسبب ظهور المجالات والصحف التي نشرت الفنون الأدبية في مختلف المواضيع وتناولت الاتجاهات الواقعية والرومانسية وتضامنت العادات وشأنون الأسر وغيرها من تقاليد الأمة وأمور السياسية وما إليها، انتشرت كتابة المقالة كفن نثري، ومن أعلام هذا الفن محمد كرد علي (١٨٧٦-١٩٥٣) الذي عمل في الجرائد ورأس لجمع اللغة العربية في دمشق، وشفيق جبرى (١٨٩٨-١٩٨٠) الذي كان عضواً في المجمع العلمي العربي

<sup>١</sup> جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، ١٩٧٨، ص: ٣٥

بدمشق، وصاحب كتب في الشعر وفي النثر وفي أدب الرحلة وصاحب مقالات ودراسات هامة حيث إشتهر كتابه 'أفكارى' من حيث أنه من مجموعة مقالاته، وشكري فيصل (١٩٨٥-١٩١٨) الذي كان أميناً لمجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٧٢) وأستاذًا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وله أيضًا كتب ودراسات قيمة، وعبد الكريم الأشتر (١٩٢٩-١٩٨٨) الذي ألف كثيرة من الكتب في الشعر والنثر والدراسات في موضوعات مختلفة، وعبد السلام العجيلى (١٩١٨-٢٠٠٦) الذي يعد من أهم أعلام الرواية والقصة والمقالة في سوريا وفي عالم العربي كلها، وصدقى إسماعيل (١٩٤٢-١٩٧٢) الذي ساهم في تأسيس اتحاد الكتاب العرب سنة ١٩٦٩ وتولى رئاسته حتى سنة ١٩٧١، وكان عضواً لجمعية القصة والرواية في دمشق، وغيرهم، واتسعت كتابة القاصين والروائيين والشعراء والنقاد كالسيرة الذاتية حتى أصبح هذا كفن خاص، حيث يمزجون فيها شأنهم بشؤون العام، كما فعل 'نزار قباني' (١٩٢٣-١٩٩٨) و'حنا مينا' (١٩٢٤-٢٠١٥) وغيرهم.

وتجلّى بعد نصف القرن العشرين نثر خاص للأطفال، وساعدت على ترسیخ هذا الفن الأدبي جمعية لأدب الأطفال في اتحاد الكتاب. ذكرى تامر الذي بدأ حياته حداداً وأصبح كاتباً شهيراً في القصص التي توجهها إلى الأطفال منذ السبعينيات، 'الجراد في المدينة' (١٩٨٢) من قصته الشهيرة للأطفال، ونزار نجار الذي ألف كثيرة من الكتب في 'أدب الأطفال' وصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق، وموفق أبو طوق الذي كان عضواً في جمعية أدب الأطفال، ومؤلفاته 'الجوم الكبير' (١٩٥١) و'مروان والألوان' (١٩٩٤) من أبرز الكتب للأطفال. ووليد معماري الذي كان عضواً في جمعية القصة والرواية، وعضوًا في حزب الشيوعي السوري، ومن أعماله 'القصصية للأطفال' 'شجر السنديان' و'العجوز والشاب'، وغيرهم كتبوا في هذا المجال في سوريا.

القصة هي فن شائع بين فنون الأدب العربي الحديث في سوريا وفي بلدان العربي غيرها، وقد ارتبطت بالصحافة منذ نشأتها، وتتابع صدورها مجموعة ومنفردة، وتنشر كتبًا وصحفية للجرائم، وتمتد عددها إلى الآلاف أو أكثر. يعد النقاد "أول مجموعة قصص قصيرة ذات عناصر فنية متکاملة" "بنت الساحرة" للعبد السلام العجيلى (١٩٤٨)، حيث أسس فيها "ربيع وخريف" لعلي خلقي (١٩٣١) بذور الفنية<sup>١</sup>

ظهرت في سوريا القصة التي تلعب دوراً مهماً لنقل هموم المجتمع السوريين ولتصوير حقائق حياتهم، وتدور موضوعاتها حول القضايا الاجتماعية والسياسية والإنسانية والوطنية مثلما تتحدث عن القضايا الفلسطينية وحركات الاستقلال والحروب والثورات وغيرها، وتعالج فيها قضايا المرأة والعادات والتقاليد. ومن شهير القاصين في سوريا الحديثة الذين حركوا قلمهم في شأن الثقافة والسياسة في قالب القصة 'جميل حتمل وزكريا تامر وإبراهيم صموئيل وغادة السمان وهيفاء بيطار وغيرهم.

ومن الأدب العربي النثري في سوريا أيضًا المسرحية، وتعد مسرحية "ناكر الجميل" لـ 'أبوخليل القباني' (١٩٣٣-١٨٠٢) أول المسرحيات السورية. بعد اهتمام الدولة في تقنية المسرحية وفي إنشاء المعاهد التي

<sup>١</sup> <http://www.discover-syria.com/bank/6095>

خرج منها النقاد والممثلين، كتب كثير من الكتاب السوريين المسرحية في نهاية القرن العشرين بعد أن كانت خมولة، وبلغت شهرتهم إلى أنحاء الوطن العربي، وبرئيسهم سعد الله ونوس (١٩٤١-١٩٩٧) صاحب مسرحية "رحلة حنظلة من الغفلة إلى اليقظة" (١٩٧٨). ومن كتاب المسرحية من السوريين في هذه الفترة ولد فاضل ومحمد الماغوط (١٩٣٦-٢٠٠٦) ورياض عصمت وممدوح عدوان (١٩٤١-٢٠٠٤) ووليد إخلاصي وغيرهم.

### فن الرواية العربية في سوريا وأعلامها

بعد أن أقامت الجمهورية العربية السورية (١٩٦١)، وغادر المستعمرون من أرض سوريا، في فترة نصف القرن العشرين وبعدها، ظهرت وبرزت فيها مؤسسات ثقافية وحضارية وأسهمت "في تنشيط الحركة الأدبية مثل وزارة الثقافة" واتحاد الكتاب العرب بجمعياته المتعددة وغيرها.<sup>١</sup> تجلت من خلال الأدباء والكتاب حركة أدبية وفنية في مجال المقالة والرواية الذاتية وقصص الأطفال والقصص والروايات والمسرحيات وغيرها من فنون الأداب كما سبقت الإشارة إليها. والرواية هي امتداد القصة، ولها أثر مهم في أدب نثرى سوريا. وفي تاريخ الأدب العربي الحديث تلعب الرواية السورية دوراً مهماً حيث يتضمن فيها كل الموضوعات التي يتجرب بها المجتمع. ويستخدمها من حيث أنه سجلاً لتجارب الأمة كتاریخهم للنقد وللدراسة.

الرواية العربية هي أدب مقتبس من الأدب الغربية، وللهبة الحديثة ولأسماها لحركة الترجمة دور مهم في تطوير القصة والرواية العربية في سوريا وفي عالم العرب، حيث أسست المطبع التي نشرت المقالات والقصص، وخلقت الفرصة للاختلاط بين العرب والغرب. والمهاجرون العرب أيضاً ساهموا فيها كما ساهم الأدباء المسطوطنين فيها. وفي البداية كانت الرواية مترجمة من الفرنسية والإنجليزية من غير إظهار اسم المؤلف الأصلي ولا اسمها الأصلي كما أشار إليه عبد المحسن طه: "يكفي بالإشارة إلى أن الرواية مترجمة عن الفرنسية أو الانجليزية ولكن لا يذكر إسم مؤلفها في لغتها الأصلية، ولا إسم الرواية نفسها".<sup>٢</sup> وقد "اتجهت حركة الترجمة في البداية إلى اللغة الفرنسية نتيجة للعلاقة الوثيقة التي ربطت بين المهاجرين السوريين وبين فرنسا".<sup>٣</sup> وتطورت هذه الحركة بـ"نتيجة الارتباط الثقافي بين مصر وفرنسا منذ بداية المهمة حتى الاحتلال".<sup>٤</sup> وقد "قام المهاجرون السوريون بالترجمة الروائية أول الأمر وما لبث المصريون أن انضموا إليهم، وظهر عدد كبير منهم في مسامرات الشعب التي فتحت صدرها لهم كمترجمين فحسب، ولكن كمؤلفين أيضاً".<sup>٥</sup>

وهذه الحركة نفخت في صدور الكتاب روحًا جيدة، وتحتمل على التأليف مثل هذه، وبداً منهم الفن الجديد في اللغة العربية القابل للجمهور، وعالجوا فيه القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وفي

<sup>١</sup> المصدر السابق

<sup>٢</sup> عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر - (١٨٧٠-١٩٣٨) الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٣٨.

<sup>٣</sup> المصدر السابق، ص: ١٣٠.

<sup>٤</sup> المصدر السابق، ص: ١٣٠.

<sup>٥</sup> المصدر السابق، ص: ١٣٠.

سوريا تعد رواية 'غابة الحق' (١٨٦٥) لفرانسيس مراش أول رواية، وفي عقد الخمسينيات من القرن العشرين ظلت شأنها مزدهرة حتى أصبحت ركناً هاماً في تاريخ حركة الأدب في سوريا. وقدم الروائيون السوريون في رواياتهم ما ظهرت في حياتهم وفي حياة مجتمعهم من الظرائف المختلفة ، ورسموا وصوروها فيها مباشراً وغير مباشر تصوير حياة المجتمع، وأرخوا فيها الحوادث التي وقعت فيما بينهم من الحروب والثورات كحوادث رواياتهم. وعلى هذا قد ألف وصدر في سوريا أكثر من ست مائة روايات حتى نهاية القرن العشرين.

ومن أعلام الروائيين في سوريا : عبد النبي حاجي (٢٠١٣-١٩٣٨) ونبيل سليمان وعبد السلام العجيلي (٢٠٠٦-١٩١٨) وحنا مينا (٢٠١٥-١٩٢٤) وفارس زرزور (٢٠٠٣-١٩٢٩) ووليد إخلاصي وأحمد يوسف داود وغادة السمان وحيدر حيدر وغيرهم. وعبروا في رواياتهم هموم العمال والعوالي . ومنهم فواز حداد ونهاد سيريس وخليل الرز خيري الذهي : عبد الكريم ناصف هاني الراهن : (٢٠٠٠-١٩٣٩) وزكريا تامر: عبد الإله الرحيل: صدقى إسماعيل: (١٩٧٢-١٩٢٤) كوليت خوري : هيفاء بيطار: قمر كيلاني : (٢٠١١-١٩٣٢) آنيسة عبود: خالد خليفة ومن سلكوا في طريقهم.

#### الخاتمة

من المفهوم، منذ بداية القرن العشرين حتى يومنا الراهن، لعبت سوريا تحت سلطنة متعددة وغير مستقرة. وغلبت عليها الثورات والمعارك من جهة المندوبيين الفرنسيين والحكام الطامحين في الخلافة، فأصبح عيش السكان فيها مضطربة ومخيفة حيث دمرت المباني والمعامل، وسببت هذه وتدمر المصانع والمعامل لقلة انتاجها الاقتصادية ولقلة فرص الأعمال الحرافية ولكثره العطالة والهجرة والجائع والفقر حيث أصوات المدافيع والصواريخ مملوئة في جوها. وبذال اضطر أهل سوريا للهجرة إلى بلاد مختلفة، واختلطوا بظروف ثقافاتهم وحضارتهم وسياساتهم واستنبطوا من فنون آدابهم وألفوا كثيراً من الكتب والمقالات والقصص والشعر، وتناولوا فيها الرأس مالين الذين يعملون في الخلام ، والذين يستغلون بالبلد والناس وينجزون مشاريعهم وينفذونها من وراء الستار.

وفي العصر الراهن تلعب الرواية دوراً حاسماً في تصوير القضايا الاجتماعية العديدة التي لا يزال المجتمع يعاني من مساوئها في جميع أنحاء العالم، حيث أصبحت أقدر أنواع الأدب على استيعاب المشاكل الاجتماعية والسياسية والفلسفية والإقتصادية والفكرية وغيرها كما أنها أكثر قابلية لتصوير أحوال الفرد النفسية عبر الشخصيات المتنوعة التي يأتي بها روائي ليعبر عن النواحي المختلفة لقضية واحدة، وكذلك أنها تستطيع على تصوير قضايا أجيال عديدة بين دفتري كتاب، لأنها لا تتقييد بحجم معين ومحدد، وكل هذه الخاصيات التي تتمتع بها الرواية أكسبت لها رواجاً بين محبي الأدب فاستقبلتها القراء بقبول حسن وأكبوا عليها بلا تفريق بين العامة والخاصة. وبدأت الرواية تستهوي القراء في العالم العربي أيضاً منذ ظهورها في مستهل القرن العشرين، ثم أصبحت تقوى بعد أن بدأت تعالج قضايا العرب في مجالاتها العديدة من سياسة وإقتصاد

وأجتمع وغيرها حتى كادت أن تتحل مكانة الشعر التي امتلكها عبر القرون في قرن وبعض قرن. استطاعت الرواية هذا كله بفضل أنها صورت حياة العرب أصدق تصوير وتفاعل مع قضيائهما المستجدة واستلزمت بخط عربي في نضاله ضد الاحتلال والاستعمار. ولذلك كله يوجد بين نقاد العرب من يقولون إن "الرواية ديوان العرب" بدلاً من أن "الشعر ديوان العرب".

### المصادر والمراجع

١. د/ حمدي السكوت، قاموس الأدب العربي الحديث، الطبعة الثانية، دار الشروق ، القاهرة، ٢٠٠٠ م ISBN 977-09-2034-7)
  ٢. د/ حمدي السكوت، الرواية العربية ببليوجرافية ومدخل نceği ١٨٦٥ م- ١٩٩٥ م، المجلد الأول، قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.
  ٣. عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر -(١٩٣٨-١٨٧٠)، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤.
  ٤. جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء الثالث، الطبعة الثانية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت- لبنان، ١٩٧٨ م.
  ٥. الأستاذ حسين سعيد الكرمي، قاموس المنجد الهدى إلى اللغة العربية ، وملحق البلدن ، والجمع والإعداد ، سمية معطي ، الطبعة الأولى، دار لبنان للطباعة والنشر، ٢٠١٤ م.
  ٦. د/ سعدي عمران، كتاب معاصرؤن من أعلام النثر العربي المعاصر حياتهم، أساليبهم، ونماذج من آثارهم، الطبعة الأولى ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١
- .٧ <http://www.discover-syria.com/bank/609>

## نمو الإنسان في ضوء القرآن الكريم

د/ يونس سليم<sup>١</sup>

## الملخص

يلاحظ من ضوء القرآن وفي علم النفس الحديث أن هناك مراحل مختلفة لنمو الإنسان ولها الإهتمامات البارزة في علم النفس وbiology من عناية لمراحل النمو التي يمرّ بها الإنسان منذ أن يكون جنيناً في بطن أمه. ومع ذلك نرى عوامل الوراثة والبيئة تؤثر طول نموه.

علم النفس هنا تهتم بدراسة المراحل المختلفة التي تمر بها عملية نمو الطفل، والخصائص العامة التي تميز بها هذه المراحل، والعوامل المختلفة التي تؤثر فيها. ومن هنا نعرف شخصية الطفل. ومن هذا نحصل على قدرة على توجّهه وتربيته إلى الصراط السوي. ونناقش هنا مراحل النمو الإنساني تحت عناوين مختلفة على حدة، وهذه العناوين كما تأتي:

المرحلة الأولى - تطور نمو الجنين في القرآن الكريم أو نمو قبل الميلاد

المرحلة الثانية - نمو الإنسان بعد الولادة

المرحلة الأولى - تطور ونمو الجنين في القرآن الكريم أو نمو قبل الميلاد

تذكر الآيات القرآنية مراحل نمو الجنين وتطوره منذ بداية الحمل إلى الولادة، وهذا الموضوع أي علم الجنين في القرآن الكريم يتناسب تماماً مع العلم الحديث ويعتبر الإعجاز العلمي للقرآن الكريم حيث يقول "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرارٍ مكين. ثم خلقنا التطفة علقةً فخلقنا العلة مضعة فخلقنا المضعة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فبارك الله أحسن الخالقين"<sup>٢</sup>

وقوله تعالى أيضاً "يا أيها الناس إن كنتم في رب من البعث فإنما خلقناكم من ترابٍ ثم من نطفة ثم من علة ثم من مضعة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدّكم ومنكم من يُتوّقّع ومنكم من يُردد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً..."<sup>٣</sup>

وفي سورة الزمر:

"يخلقكم في بطون أمّهاتكم خلقاً من بعد خلقي في ظلماتٍ ثلاث..."<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية بكلية فاروق

<sup>٢</sup> سورة المؤمنون ١٤-١٢

<sup>٣</sup> سورة الحج ٥

<sup>٤</sup> سورة الزمر ٦

وتذكر هذه الآيات مراحل نمو الجنين وتطوره منذ بداية الحمل إلى الولادة. ويشير القرآن في هذه الآيات إلى مراحل نمو الجنين في الرحم منذ بداية الحمل حينما تقوم إحدى الخلايا المنوية للأب بتخصيب بويضة الأم الناضجة مكونة بذلك ما يسمى بالبذرة. وهي ما عبر القرآن بالنطفة وبنطفة أمشاج "إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج"<sup>١</sup> وقد بين الله من قبل في القرآن أن الأصل الأول للإنسان هو الطين، فالعناصر التي يتكون منها الجسم الإنساني هي عناصر تحتويها التربة الأرضية، وهذا ينطبق كلياً على الغذاء الذي تنبت به الأرض، ثم تتشكل النطفة في الجسم الإنساني، ثم تستقر النطفة في الرحم، وبعدها تتطور إلى علقة، ثم إلى مضعة، فتنشأ منها العظام، فيكسوها الله لحماً، ثم تنفس الروح في هذا الكائن، فيصبح خلقاً إنسانياً راقياً، بعد أن كان في طور طيني حيواني. فالمراحل التي ذكرها القرآن هي المراحل نفسها التي حدّدها العلم الحديث بعد نشوء علم الأجنحة التشريحي، وتقدّم وسائله في القرن الأخير.

إن الإنسان لم يعرف أن الجنين يتكون من إختلاط نطفة الذكر وبويضة الأنثى إلا في القرن الثامن عشر، ولم يتأكد لها ذلك إلا في بداية القرن العشرين حيث كانت تسود نظرية الجنين الكامل. وحيث كان يعتقد أن الإنسان يخلق من الحيوان المنوي فقط، بينما نجد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد أكدتا بصورة عملية دقيقة أن الإنسان إنما خلق من نطفة مختلطة سماها "النطفة الأمشاج" وذلك يقوله تعالى "إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج" وقد أجمع أهل التفسير على أن الأمشاج هي الإخلاط، وهي إختلاط ماء الرجل بماء المرأة.

ويشرح الله تعالى هذه الحقيقة "ثم تأخذ النطفة الأمشاج في الإنقسام فيتضاعف عدد خلاياها بإستمرار، دون أن يزداد حجمها إزدياداً محسوساً عن حجم البويضة خلال الأسبوعين الأولين وتم عملية الإنقسام هذه والنطفة الأمشاج تتحرك في قناة الرحم، التي تتحرك في قناة فالوب، متوجهة إلى الرحم<sup>٢</sup>. وإذا وصلت إليه كانت كتلة من الخلايا التي تشبه في هيئتها التوت، ولذلك أطلق عليها إسم التوتة (Morula) (وحيينما تصل النطفة الأمشاج إلى الرحم تنفرز في جداره وترتبط به)<sup>٣</sup>. وعندئذ تبدأ مرحلة العلقة أي كما قال المفسرون القدماء أن العلقة هي الدم الجامد. طور العلقة هو طور تخلق الأعضاء وتصف بصفة العلوّق.

ويبدأ هذا الطور أي طور العلقة بعد إنتهاء طور النطفة الذي جرى فيه تقدير الجنين، وتعين جنسه، والتحضير لتصوير أعضائه (ويتمتد هذا الطور أربعين يوماً، يكتمل فيه تصوير الأعضاء) وينقل الحمل بعدها إلى طور المضعة (المخلقة وغير المخلقة) وطور العلقة هو أهم طور في خلق الإنسان، ويخرج به من

<sup>١</sup> سورة الإنسان، الآية رقم ٢

<sup>٢</sup> الدكتور محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق المصري، م ٢٠٠١، ص: ٢٥٥

<sup>٣</sup> فؤاد البهري السيد، في وصف مراحل النمو الجنين: الأسس النفسية، ط ٤، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٥، ص: ١٥

عالم التقدير إلى عالم التصوير، ولذلك أشار الله تعالى إليه في أول آيات من القرآن الكريم أنزلت على رسول الله (ص) يقوله تعالى "خلق الإنسان من علقة"<sup>١</sup>

وإن هذه المرحلة تشبه دودة العلق وذلك بالنسبة لشكلها ووظيفتها. قد اكتشف العلماء أن دودة العلق تعيش على امتصاص الدماء، لكي تتغذى، وكذلك هي العلقة، فإنها تعيش على امتصاص دم الأم لكي تتغذى . وسميت علقة لأنها تتعلق بجدار الرحم. وببدأ دور العلقة الذي يتکامل بالتدريج ليبدوا الجنين على شكل دودة العلقة التي في الماء. بويضة ملقحة وصلت إلى مرحلة شكل ثمرة التوت، وذلك بعد خمسة أيام من التلقيح ثم بعدها تعلق في جدار الرحم فتصبح العلقة، وهذه المرحلة تبدأ في اليوم السابع ، وتنتهي في الأسبوع الثالث.

وتتغذى العلقة على الدم الوارد من الأوعية الدموية للرحم، والغدد اللبنية الرحمية، التي يبلغ عددها ١٥٠٠٠ غدة، وتتكاثر خلايا العلقة، التي يبلغ خلايا (١٠٠ خلية) وليصل طولها إلى (٥،٤-٢،٥) ملمتراً بعد اليوم الخامس والعشرين.<sup>٢</sup> وقد ورد ذكر العلقة في أكثر من موضع في القرآن الكريم حيث يقول: "ثم كان علقة فخلق فسوى"<sup>٣</sup> ويقول الله تعالى أيضًا: "خلق الإنسان من علقة"<sup>٤</sup>

والعلقة ذكرت في آيات قرآنية من سورة الحج وسورة الفاطر وسورة المؤمنون ويعبر الله تعالى أنه حين تصل النطفة للأمشاج إلى جدار الرحم، حيث تحفر لنفسها نفقا تدخله وتتخذه عثةً ويسمى هذا الفعل في الطبيعة تعشيش. والآيات الكريمة تعطي هذا المعنى (أي: وجود فترة زمنية بين التعشيش والعلوقة ) ويقول تعالى: "ثم جعلنا نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة." والآيات تدل على أن النطفة للأمشاج تستمر إلى أن تدعى نطفة لبعض الوقت وهي في القرار المكين ولا يتبدل اسمها إلى علقة فور وصولها إليها.

وتستمد العلقة غذاءها من دم الأم مباشرة عن طريق الحبل السري، ثم تبدأ الأغشية الجنينية في التكوين، وعندئذ تبدأ مرحلة المضغة، في الأسبوع الثالث. وحتى نهاية الأسبوع الرابع لا يكون هناك أي تميز لأي عضو في الجنين، ولذلك يمكن أن تسمى هذه المرحلة " بالنطفة غير المخلقة " وإبتداء من الأسبوع الخامس تبدأ عملية التمايز في أعضاء وأجهزة الجسم. وتنتهي عملية التخلق في نهاية الشهر الثالث. ويمكن

<sup>١</sup> الدكتورة نادية طبارة، موسوعات الإعجاز القرآني في علوم الطب والفلك، مكتبة الصفاء أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، اليمامة دمشق (٢٠٠٧)، ص ٢٧٣.

<sup>٢</sup> الدكتورة نادية طبارة، موسوعات الإعجاز القرآني في علوم الطب والفلك، ص ٢٧٤ مكتبة الصفاء أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، اليمامة دمشق (٢٠٠٧)، ص ٢٧٨.

<sup>٣</sup> سورة القيامة، الآية رقم ٢٨

<sup>٤</sup> سورة العلق، الآية رقم ٢

<sup>٥</sup> سورة المؤمنون ١٤، الآيات رقم ١٣-

أن تُسمى هذه المرحلة "المضعة المخلقة" وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ثم من مضحة مخلقة وغير مخلقة<sup>١</sup>

وتمتدّ فترة المضحة من نهاية الأسبوع الثاني إلى نهاية الشهر الثاني حيث تبدأ المرحلة التي يطلق عليها علماء الأجنة مرحلة الجنين. تميّزاً لها عن المرحلة السابقة. يزداد فيه حجم الجنين بسرعة، وتتغير نسب أعضائه حتى يصل الجنين إلى تمام نموه في نهاية الحمل. وتتكون العظام والعضلات في الأسبوعين الخامس والسادس، ثم تكتسي العظام بالعضلات في الأسبوعين السادس والسابع، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: "فكسونا العظام لحما"

وتبدأ الحركة في الجنين في نهاية الشهر الثالث وبداية الشهر الرابع حيث يتم إتصال الجهاز العصبي بالأجهزة والعضلات. وتبدأ حركات القلب في بداية الشهر الرابع، ويتم تكامل الشكل الخارجي للجنين. "وقال تعالى عن هذه: "ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين "

ويتفق وقت حدوث الحركة في الجنين ونبض قلبه مع الوقت الذي يرسل الله تعالى فيه الملك لينفح فيه الروح، كما جاء في الحديث الشريف. فعن عبد الله بن مسعود أن النبي (ص) قال: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضحة مثل ذلك، ثم يُرسل الملك، فينفح فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أو سعيد.<sup>٢</sup>

وتحدث حركة الجنين ونبضات قلبه، كما ذكرنا سابقاً، في بداية الشهر الرابع، و تستطيع الأم أن تحس بها بوضوح بعد الشهر الرابع، ولذلك، فإن الأطباء يتخدونها علامتين هامتين لتشخيص الحمل. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة العلمية بقوله تعالى: "والذين يتوفون منكم ويدرون أزواجاً يترّصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً"<sup>٣</sup>

يقول عبد الحميد ديب مؤلف كتاب "مع الطب في القرآن الكريم" إن وجه إعجاز هذه الآية الكريمة ظاهرة بلا شك، وهي تقرر ما يسمى بعده المرأة التي توفي زوجها، حيث حددت بالضبط المدة التي يصبح عنها أو بعدها تشخيص الحمل يقيناً<sup>٤</sup>

ويحاط الجنين وهو في الرحم بغشاء، يسمى غشاء السلي أو الأمنيون' amnion' مملوء بسائل ملحي يقوم بعدة وظائف هامة للجنين من بينها وقايته من الاهتزاز العنيفة ومن تأثيرات الجاذبية<sup>٥</sup>. وقد أشار القرآن

<sup>١</sup> الدكتور محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق المصري (٢٠٠١)، ص: ٢٥٦.

<sup>٢</sup> رواه البخاري في بدأ الخلق، و مسلم في أول كتاب القدر

<sup>٣</sup> سورة البقرة، الآية رقم: ٢٣٤ :

<sup>٤</sup> عبد الحميد ديب وأحمد قرقوز: مع الطب في القرآن الكريم ، ص ٨٥

<sup>٥</sup> الدكتور محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس دار الشروق المصري ، ص ٢٨٥

القرآن الكريم هكذا: "ألم يخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين. إلى قدر معلوم. فقدرنا فنعم القادرون."<sup>١</sup>

وتشير الآيات إلى أن الجنين يمر بمرحلة التسوية أيضًا: إعطاء الشكل الإنساني للجنين وذلك بعد الإنتماء من الأطوار التي مر بها من طور النطفة إلى العلقة ثم إلى المضعة ثم إلى العظام ثم إلى اللحم، وهذا يظهر الإعجاز العلمي في قوله تعالى: "أنشأناه" في سورة المؤمنون أي: أنشأناه في خلق يختلف فيه عن بقية المخلوقات. قال تعالى: "ثم جعل نسله من سلاة من ماء مهين. ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفادة قليلاً ما تشكرون."<sup>٢</sup>

وأما القرآن الكريم فقد ناقش عن تقويم الإنسان بقوله: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم<sup>٣</sup> في سورة التين، فهذه الآية تعتبر عن الشكل النهائي الجميل للإنسان مع جميع أنظمته الداخلية.

### نمو العقل والفكر والإدراك

أشار القرآن الكريم في أسلوبه المعجز في إيجازه ودلالته إلى مراحل نمو الجنين منذ بداية الحمل حتى وقت الميلاد وذلك في سورة المؤمنون كما ذكرنا من قبل. العقل والفكر والعلم والإدراك هذه الكلمات الثلاث تدل على معنى واحد، هو النعمة التي جعل الله تعالى بها الإنسان وحده من دون الكائنات الأخرى على الدنيا، والتي بموجبها يقدر أن يعقل أو يفكر أو يدرك الأشياء المحسوسة، ليعطي بالنتيجة حكمه عليها، ويقرر ماذا يفعل.

"والعقل بمعناه اللغوي هو الإمساك والإستمساك"<sup>٤</sup> أي المراد هنا الإمساك الإنسان من الأفعال الخبيثة التي يكون في حياته الشخصية والإجتماعية. ويقال عن العقل هكذا عقل البعير بالعقل أي بالحبل ويقال عقل لسانه بمعنى كفه وإمساكه

والعقل بمعنى الملكة المفكرة والمدركة، هو تلك القوة المهيئه لقبول التعليم و العلم. كما يقال في الدعاء هكذا "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع" كما يقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة: عقل.

إلى المعنى الأول "القوة المهيئه لقبول العلم" أشار رسول الله (ص) "ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل" وإلى المعنى الثاني "العلم الذي يستفيده الإنسان بقدرة العقل" هنا أشار رسول الله (ص) بقوله

<sup>١</sup> سورة المرسلات ٢١-٢٣

<sup>٢</sup> سورة السجدة، الآية رقم ٨-٩

<sup>٣</sup> سورة التين الآية رقم ٤

<sup>٤</sup> محمد عاطف زين: علم النفس ، دار الكتب اللبناني ، ١٩٩١ ، ص: ٢٥٤

"ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل (علم) هديه إلى هدى أو يرده عن ردى" وهذا العقل هو بقوله تعالى: "وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ"<sup>١</sup> والمراد هنا هي الأمثال التي ضربها الله تعالى للناس هي القرآن المجيد وإن في القرآن دعوة دائمة إلى التفكروالتدبّر والتبصر والتعلّم والإدراك والتعلم هكذا نرى كثيراً من الآيات: أفلأ تعقلون، أفلابصرون، أفلاتتذكرون، أفلاتتدبرون، يقول الله تعالى بذم الكفار لعدم العقل: "ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينفع بلا لا يسمع إلا دُعاءً ونداءً صم بكم عمي فهم لا يعقلون"<sup>٢</sup> فهذا المثل القرآني واضح الدلالة على عدم تعلّق الكافرين. فيصورونهم القرآن الكريم، بما يستحقون، على صورة المهيّمة السائمة ، السارحة التي لا تفقه ولا تدرك صوت الراعي وهو يناديهما. تسمع المهايم ولا تفقه وتبصر ولا تتفكر أي لا تعقل المهايم بإستفادة الآذان والأبصار. بل أن الله تعالى يوصي به بالإنسان لإستفادة العقل.

وأما الإدراك، فيعني لغة اللحاق، يقال: الحق فلاناً أدركه. وتدارك القوم تلاحقوا، ويقال أيضاً اداركوا. وتدارك الله فلاناً برحمته. ومنه قوله تعالى: "حَتَّى إِذَا اذَارُوكُوا فِيهَا"<sup>٣</sup> والمراد أصحاب النار عندما يتلاقون ويتلاحق آخرهم بأولهم،

ومثل الإدراك والعقل، هكذا أيضاً الفكر الذي ينتج الفكرة. والتفكير جولان تلك الفكرة بحسب نظر العقل. وهذا التفكير هو ميزة حُصّن بها الإنسان دون الحيوان. ولا يمكن أن يكون هناك تفكير إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب، من حيث الإنزعاج أو الإطمئنان. ولهذا رُوي عن رسول الله (ص) قوله: "تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله فهلكوا" هذه آيات الله تعالى تحيط بنا من كل جانب، بل وجود الإنسان ذاته إحدى أكبر هذه الآيات. فعلام لا يصرف الإنسان إهتمامه إلى هذه الآلاء أو الآيات. وينتهي عن التفكير في ذات الله سبحانه وتعالى، فعقيدة التوحيد الإسلامية لا تسمح ولا تدع مجالاً لأي تصور بشري عن ذات الله تعالى، ولا عن كيفيات أفعاله، فالله سبحانه ليس كمثله شيء. ثم إن التصورات البشرية إنما تنشأ في حدود المحيط الذي يستخلصه العقل البشري مما حوله من أشياء. نعم لماذا لا يتكلمون في أنفسهم أن الله سبحانه ما خلق السماوات والأرض عبثاً، خلق الكون كله بالحق، تلك دعوة من الله سبحانه وتعالى للتفكير، ويقول الله تعالى: "يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لِعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ....."<sup>٤</sup> يدلّ الله سبحانه وتعالى آياته العظيمة الدالة على قدرته في الخلق. وفي هذا البيان حتّى على التفكير والتدبّر في أمر الدنيا والآخرة . فالتفكير في الدنيا وحدها لا يعطي العقل البشري ولا القلب الإنساني صورة كاملة عن حقيقة الوجود

<sup>١</sup> سورة العنكبوت، الآية رقم ٤٣

<sup>٢</sup> سورة البقرة، الآية رقم ١٧١

<sup>٣</sup> سورة الأعراف، الآية رقم ٣٧

<sup>٤</sup> سورة البقرة، الآية رقم ٢١٩

الإنساني. وحقيقة الحياة وتكليفها وارتباطها، ولا ينشئ تصوراً صحيحاً للأوضاع والقيم والموازين. فالدنيا هي الشطر الأدنى والأقصر، وبناء السلوك والشعور يجب ألا يتوقف على هذا الشطر، بل يجب أن يتجاوزه إلى الشطر الآخر إلاّ بعد، والأطول بمدى كثير، ألا وهو الآخر. فالتفكير والشعور بالآخرة ضرورة للإنسان حتى يدرك ويعلم ما فيها من موازين وقيم، وما فيها من جزاء، ولذلك كانت دعوة القرآن للناس أن ينظروا في آيات الله تعالى التي بينها لهم، في أنفسهم، وفي الكون كله، وهم يفكرون في الدنيا والآخرة، ويدركون حقيقة ما يجب عليهم فعله. بعد هذه التوضيحات عن معانٍ العقل أو الإدراك أو الفكر، وبما أن هذه الألفاظ تعني شيئاً واحداً فسوف يتناول هذه البحث.

### المراحل الثانية - النمو بعد الميلاد

بعد أطوار كثيرة وضفت الأم طفلها ضعيفاً في حاجة إلى من يرعاه ويعني به حتى ينمو ويكبر. ويستمر نمو الوليد بسرعة في الأيام الأولى من حياته، ولكن تأخذ سرعة النمو تبطأ تدريجياً مع تقدم العمر، وتبدو الحياة هادئة مستقرة قبل فترة المراهقة. وما أن تبدأ مرحلة المراهقة حتى تتوالى على الطفل تغيرات قوية وسريعة عضوية وتشريحية ونفسية. ثم تهدأ سرعة هذه التغيرات في نهاية مرحلة المراهقة وبداية مرحلة الرشد التي تكتمل فيها عملية النمو، وتعود الحياة مرة أخرى إلى الهدوء والإستقرار. ومع أن الراشد يكون قد بلغ تمام النضج في نمو الجسمي، ونمو قدراته العقلية إلا أنه يستمر تعلم خبرات جديدة، وفي إكتساب المعرفة والخبرة والحكمة حتى يصل إلى مرحلة الشيخوخة، فتأخذ قوته الجسمية في الإضمحلال، وتبدأ قدراته العقلية في الضعف. وقد أشار القرآن الكريم إلى مراحل النمو التي يمر بها الإنسان بعد الميلاد من الطفولة إلى الشيخوخة بقوله

"هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يُتوفى من قبل ولتبلغوا أجيالاً مسماً ولعلكم تعللون"<sup>١</sup>  
وفي قوله تعالى أيضاً:

"الله الذي خلقكم من ضعفٍ ثم جعل من بعد ضعفٍ قوَّةً ثم جعل من بعد قُوَّةٍ ضعفاً وشيبةٍ يخلق ما يشاء وهو العليم القدير"<sup>٢</sup>

ويظهر على بعض الشيوخ في حوالي السبعين نوع من الإضطراب السلوكي والعقلي يتميز بضعف الذاكرة، وعدم القدرة على التركيز الذهني، والخلط بين الماضي والحاضر، والحقيقة والخيال، والعجز عن إصدار الأحكام العقلية، كما يفقدون السيطرة على إفعالاتهم وإنفعالاتهم فيبدو سلوكهم في الأغلب طفلياً.

<sup>١</sup> سورة الغافر، الآية رقم ٦٧

<sup>٢</sup> سورة الروم، الآية رقم ٥٤

ويطلق على هذه الحالة من الإضطراب السلوكي والعقلي "ذهان الشيخوخة" قد بينت الدراسات الحديثة أنه يحدث عادةً في هذا السن المتأخر من عمر الإنسان نوع من التدهور في أنسجة الدماغ على أداء وظائفه. أن علم النفس الحديث يطلق مرحلة الشيخوخة "الطفولة الثانية"(Second childhood) ونفس المعنى موجود في القرآن الكريم في آية سورة يس "ومن نعمته ننكسه في الخلق الأول أفالا يعقلون"

#### الخاتمة

وتوجد فروق فردية بين الناس في مدى تأثرهم وقد أشار القرآن إلى حالة الإضطراب السلوكي والعقلي الذي يصيب بعض الأشخاص في مرحلة الشيخوخة .قال تعالى في سورة الحج : "... ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يردد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً"

وأشار القرآن في هذه الحالة الإضطراب السلوكي والعقلي الذي ينتاب بعض الأفراد في مرحلة الشيخوخة في الآية من سورة الحج: "ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يردد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً" فيبعد أن أشار القرآن في هذه الآية إلى مراحل النمو قبل الميلاد من نطفة إلى علقة ثم إلى مضيغة قام بمراحل النمو قبل الميلاد من الطفولة إلى الرشد حيث يكتمل النمو ويبلغ الإنسان أشدده وكمال نضجه، ثم إلى الشيخوخة حيث يبدأ الإنسان في الضعف جسمياً وعقلياً. وأشار القرآن أيضاً في هذه الآية إلى ما ينتاب بعض الناس في مرحلة الشيخوخة من إضمحلال قدراتهم العقلية، وما يظهر عليهم من أعراض ذهان الشيخوخة أو الطفولة الثانية. وقد أشار القرآن الكريم أيضاً في مواضع أخرى إلى هذه الحالة من الإضطراب السلوكي والعقلي التي تنتاب بعض الشيوخ. وفي سورة النحل "والله خلقكم ثم يتوفّكم ومنكم من يردد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليم قادر"

#### المصادر والمراجع

1. الدكتورة نادية طيروة، موسوعات الإعجاز القرآني في علوم الطب والفلك، مكتبة الصفاء أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، اليمامة دمشق (٢٠٠٧).
2. سميح عاطف الزين، معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة - علم النفس، دار الكتاب اللبناني المصري، (١٩٩١).
3. محمد عثمان نجاتي، سيمون فرويد الأنماط والهوى، دار الشرق (١٩٨٨).
4. الدكتورة نادية طيروة، موسوعات الإعجاز القرآني في علوم الطب والفلك، مكتبة الصفاء أبوظبي- الإمارات العربية المتحدة، اليمامة دمشق (٢٠٠٧).



<sup>١</sup> سورة النحل، الآية رقم ٧٠.

## أدب الرحلة : نظرة عابرة إلى حضوره الفعال في الأدب العربي الحديث

السيد حمزة علي أ. بي<sup>١</sup>

"ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نهى إليه من الأخبار من إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار ، وزع بين أيامه تقاذف الأسفار ، واستخراج كلّ دقيق من معدنه ، وإثارة كلّ نفيس من مكنته " (أبو الحسن المسعودي)<sup>٢</sup>

### الملخص

ولقد طاف الرحالون العرب والمسلمون العالم منذ القديم ، وسجلوا ملاحظاتهم ومذكراتهم وفيها أخبار مشاهد وأوصاف وتعليقات ، ودونوا معلومات الرحلة موجزة ثم قاموا بهذنها وصوغها بأسلوب جميل جذاب. وبدأوا بسرد الحكايات والقصص والغمارات بأسلوب بديع، ودونوا معلومات عن طباع الناس وطبقاتهم وألوانهم وصفاتهم ولغاتهم كما صوروا الطبيعة بتضاريسها من جزر وجبال وسهول ووديان وأنهار وهضاب ، وموقع المدن الكبرى، وأهميتها السياسية والإقتصادية. وذكروا علماء تلك البلدان ، وتحديثوا عن مدارسها ومساجدها ، كما درسوا عن البحار والأنهار والخلجان والحدود ، مثلما راقبوا الإقتصاد وتحديثوا عن المراكز التجارية والتبادل التجاري وعن الصناعة والزراعة. وتحديثوا عن طرق المواصلات وقياسوا المسافات بينها، وسجلوا في مدوناتهم أحوال السكان الاجتماعية والإجتماعية وربطوا بين البيئة والنشاط البشري، ولقوا بالسكان ودرسوا عن أخلاقهم وعاداتهم ودونوا الإحداث التي وقعت خلال رحلاتهم. وعلى مرور الزمن تغيرت كتابتهم بتغير الأزمان وصيغت بصيغة فنية متعددة حتى وصلت غايتها إلى غاية القطعات الأدبية والفلسفية ، ولم يقتصر أثر الرحلات في التراث العربي على جانبي الجغرافي والتاريخي بل تعداها إلى مجالات أخرى مثل الأدب والفلسفة . فهذه المقالة تلقي الضوء إلى بعض الحقائق والنتائج التي علقت بأدب الرحلة.

### مفهوم أدب الرحلة

يقول ابن منظور في لسان العرب عن الرحلة : "الرحلة في اللغة الترحيل والإرتحال بمعنى الإشخاص والإزعاج، يقال رحل الرجل إذا سار".<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> أستاذ مساعد، قسم دراسات الماجستير للغة العربية وأدابها، كلية أم أي أس مباد (حكم ذاتي)، ملايرم، وباحث قسم دراسات الماجستير والبحوث للغة العربية وأدابها جامعة كيرلا، ترفاندرم

<sup>٢</sup> كان رحالة ومؤرخا جغرافيا جمع في مؤلفاته بين التاريخ والجغرافية ، معتمدا في عمله ذلك على التدقيق والمشاهدة ، وعدم الاعتماد على المقولات التي يتناولها الخلف عن السلف من دون إعمال للتفكير والتمحيص، لذا فهو يقول هذه الأقوال.

<sup>٣</sup> بن منظور، محمد بن مكرم؛ لسان العرب، ج ١١ ، ص ٢٧٦ ، دار صادر – بيروت

فأدب الرحلة " هو جنس أدبي مهم ذو تنوع كبير وترجع أصوله إلى العصور القديمة ، وقد ساهم فيه كثير من الكتاب الخبراء المشهورين كما أنه وغيرهم من الناس منهم الدبلوماسيين والعلماء والدعاة والأطباء وأصحاب الجيش والبحرين. وهذه الجنس الأدبي يضمّ الأعمال التي تتصل بالإستكشاف واللغامات كما أنه يشتمل على سجل الملاحظات التي دوّنها الرحالة عن الأرضي الأجنبية "١. فأدب الرحلة نوع من الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها لأحد البلاد ٢

### أغراض الرحلة

الدوافع التي تحت الإنسان على الرحلة متعددة ومختلفة ، وهي تختلف من شخص إلى آخر ومن قوم لقوم ومن عهد آخر، ومن أهم الأغراض والدوافع ٣ :

**دowafع دينية :** كان الناس يسافرون لزيارة أماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمن وتوبة والمغفرة ، وتطهيرها للنفس من دنس الذنوب.

**دowafع علمية أو تعليمية :** إن طلبة العلم يريدون أن يرحلوا لغرض الإستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم في مجالات مختلفة كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها ، وهكذا رحلات البحوث العلمية والكشف الجغرافية .

**دowafع سياسية :** كاللوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات.

**دowafع سياحية وثقافية :** الإنسان يحب التنقل وتغيير الهواء والمناظر والمعارف الجديدة من خلق الطبيعة والبشر، زيارة الآثار والمنارات والأبراج والغرائب والمعجائب.

**دowafع صحية :** كالسفر للعلاج أو الإستشفاء ، وكإرتحال إلى المناطق الريفية ونحوها.

### لون من الألوان الأدب

"فأدب الرحلة لون أدبي ذو خصوصية تميزه عن غيره من الألوان الأدبية النثرية الأخرى . فهو - وإن كان- يتفق مثلاً مع الرواية ، في الإفاده من المعطيات الفنية ، ويشاكليها في السرد والوصف أحياناً، فإنه يختلط له خطأ متميزاً ، إذ يجمع إلى جانب ما سبق عنابة برصد الواقع كما هو، دو اللجوء إلى الخيال إلا في إطار

<sup>١</sup> إنعام الحق غازي، صورة شبه القراءة الهندية – الباكستانية عند الرحلة العرب، ٢٠١٠، ص/٤، نقلًا من Dictionary of Literary terms and literary theory, J.A Cuddon, Penguin Book,1999,India,P.937.

<sup>٢</sup> الموسوعة العربية العالمية ، (١٣٦/١١)، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع : الرياض ، ١٩٩٩ م

<sup>٣</sup> قنديل ، فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي ، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص: ١٩-

محاولة إختيار الأسلوب، وتقديم الواقع في ثوب أدبي، وهو إلى ذلك يقدم المعلومة في ثوب أدبي حتى لم يمكن أن نعد الفائدة والمتعة ، وجبين لعملة واحدة ، هي "أدب الرحلة".<sup>١</sup>

ومن خصائص "أدب الرحلة" انه يعطي الرحالة التحرر أكثر من غيره في الألوان الأدبية الأخرى، وهي حرية تمثل في اختيار المناظر، ومراقبة الحوادث، وهو مما يمكنه غالباً من تلوين أساليبه وموضوعاته ، كما يمكنه أيضاً من الإفادة من ثقافاته المختلفة وقدراته الإبداعية نثراً وشعراء.

وعلى المستوى الفني فإن "أدب الرحلة" يمثل لوناً أدبياً فريداً يجمع بعض خصائص "القصة"، و"الرواية"، و"السيرة الذاتية" ، ويفيد من أدوات فنية مهمة كالصورة والقصة ، مما يجعله ميداناً فنياً نثراً، ويتيح له ذلك إيصال رسائله الفكرية، والفنية على اختلافها وتنوعها.<sup>٢</sup>

## أب الآداب

أكَدَ أحد الباحثين أن أدب الرحالة هو أب الآداب كلها بقوله: "إذا كان التمثيل المسرحي أباً للفنون، فإن أدب الرحلات - في رأيِّه هو أبو الآداب، لأنَّه يحوي كلَّ الـوان وفنون الأدب"<sup>٣</sup>

ولا غرابة بعد ذلك أن يصرُّ أحد الباحثين بقوله : "تحتل الرحلات وادِّها مركز الصدارة في مكتبتنا العربية نظراً لأهميتها التاريخية والادبية والجغرافية "<sup>٤</sup>. وبذلك يمكن لنا اعتبار أدب الرحلات العربي نمطاً من أنماط الأدب ، وفتنا من فنون القول الأدبي تتجمع فيه أساليب القصة والمسرحية والمقالة الأدبية دون أن يخض لمعاييرها ومقاييسها التي قررها الأدباء والنقاد<sup>٥</sup>. وبالخلاصة بين كتب أدب الرحالة التي يورد فيها الرحالة بعض المعلومات المتفرقة في لون أدبي وفق ما يطلبه السياق.

## أسلوب كتابة الرحلة

يعتمد الرحالة إلى بعض من آيات القرآن الكريم والأشعار، واحتياجاً يتحدث في قالب الحوار، ويصور المشاهد في صورة قصصي ، فأمام الوصف من أدواتها الرئيسية . ومن أجل إضفاء الحيوية وإبعاد الملل وإثارة التشويق لدى القراء اعتمد كتاب الرحلات على خلط الجد بالهزل ونشر عناصر الفكاهة في كتبهم.<sup>٦</sup>

<sup>١</sup> عبد الله بن أحمد بن حامد آل حمادي ، أدب الرحالة في المملكة العربية السعودية (بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى في الأدب) ، ١٩٩٧ م، جامعة أم القرى : المملكة العربية السعودية. صفحة ١٠

<sup>٢</sup> نفس المرجع

<sup>٣</sup> فايز فرح ، "رحلات وحكايات" ، ١٩٩٠ ، دار المعارف : بيروت، "ص ٥

<sup>٤</sup> محمد سعيد المفيدي، "رحة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا" ، تحقيق سعيد محمد الصليبي، ص ٥

<sup>٥</sup> أسماء، أبو بكر محمد، "ابن بطوطة الرجل والرحالة ، دار الكتب العلمية : بيروت" ، ص ١٤١، ١٩٩٢

<sup>٦</sup> بيرقدار، قحطان، أدب الرحلات (مقالة) ، الواردة في موقع <http://www.alukah.net> ، تاريخ الإضافة : ٢٠٠٩/٩/٢٩ م.

"ومن الصفات الحميدة التي اتصف بها الرحالة: الصدق والأمانة في الأخبار التي يروها ، في وصفه للمناظر والمشاهدات والحوادث، ومنها الذكاء وسعة الأفق وعمق التفكير وإعمال التأمل، وعدم التحيز ، وحب البحث والتحقيق والنقد والتحليل".<sup>١</sup>

### التجربة العربية في وصف الرحلة

"واشتهر العرب بحب الرحلة ، وعشق الأسفار واكتشاف المجهول ليس للإستمتاع بإكتساب معارف جديدة فحسب ولكن لأن التجربة والمشاهدة هما السبيل الأمثل للحصول على المعلومات الصحيحة وكشف أوجه الحياة".<sup>٢</sup>

عندما نظرنا إلى أعماق التاريخ العربي والإسلامي نرى أدب الرحلات منذ القدم بعنابة عظيمة واهتمام بلية. ولعل من أقدم نماذجه رحلة التاجر سليمان السيرافي<sup>٣</sup> بحرا في المحيط الهندي في القرن الثالث الهجري. ورحلة السيرافي "سلام الترجمان" كانت إلى حصون جبال القوقاز؛ في جوجيا من أوروبا عام ٢٢٧ هـ ، بتكليف من الخليفة العباسي الواقع للبحث على سد يأجوج ومأجوج . وقد روى ابن خردابه (ت ٢٧٢ هـ) أخبار هذه الرحلة .

ثم تأتي رحلات قام بها المسعودي<sup>٤</sup> مؤلف كتاب "مروج الذهب" ، والمقدسي<sup>٥</sup> صاحب أحسن التقاسيم ومعرفة الأقاليم ، ثم جاء والإدريسي<sup>٦</sup> الأندلسي بكتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق". ثم قام برحلة الرحالة المؤرخ عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩ هـ). ثم تأتي رحلة البيروني<sup>٧</sup> بكتابه "تحقيق ما للهندي من مقوله مقبولة في العقل أو مرذولة"<sup>٨</sup> ، ثم رحلة ابن جبير الأندلسي<sup>٩</sup> .

<sup>١</sup> نفس المرجع

<sup>٢</sup> أزهر حسين رزقي ، الرحلة في التراث العربي الإسلامي ودورها في رفد المعرفة الجغرافية ، جامعة تكريت، ص: ١٢

<sup>٣</sup> سليمان التاجر السيرافي هو رحلة تاجر الذي وصف رحلة إلى الهند والصين ، والذي عرف انه زارهما عدة مرات.

<sup>٤</sup> القوقاز منطقة تقع عند حدود أوروبا وأسيا. واشتهر بما فيها أعلى جبل في أوروبا "جبل أيلبروز".

<sup>٥</sup> المسعودي (٩٥٧-٨٩٦) مؤرخ جغرافي ورائد نظرية الانحراف الوارثي ، ولقب بـ "هروdotus العرب".

<sup>٦</sup> هو محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي (٩٩٠-٩٤٧) م عاش في الدولة العباسية ، وصار صيته برحلاته واكتشافاته في مجال الجغرافي.

<sup>٧</sup> هو أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي (١١٦٠-١٠٩٩) م ، أحد مؤسسي علم الجغرافيا وأحد كبار المؤرخين، واستخدمت تصوّراته وخريطة في سائر كشوف عصر الهضبة الأوروبيّة.

<sup>٨</sup> أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (٩٧٣-٩٤٨) م، هو أول من قال إن الأرض تدور حول محورها وبحري في مجال أدب الرحلات وفيلسوف والفالكية والجغرافية والرياضيات والصيدليات والتاريخ والترجمة عن ثقافات الهند، وصنف كتاباً حوالي مائة وعشرين .

<sup>٩</sup> نموذج فدّ مخالف لما سبق ، هو يعتبر وثيقة تاريخية مهمة يعالج الدراسات الجغرافية والتاريخية بالإضافة إلى دراسة ثقافات مجتمعات الهند القديمة ، إذ يتناولها البيروني بالتحليل عن لغاتها وعقائدها وعاداتها مع عنابة خاصة باللغة السنسكريتية اللغة القديمة الهندية ويقارن بينها وبين اللغة العربية على طراز جديد. لانه وهو قضى في الهند أكثر من أربعين عاما

<sup>١٠</sup> ابن جبير الأندلسي (١١٤٥ - ١٢١٧) م أديب وشاعرأندلسي عربي وجغرافي ورحالة . تتضمن ثلاثة رحلات، أولاهما إلى مكة للحج، وثاناهما إلى المشرق عاصمين والثالثة إلى المشرق أيضاً، ولم يعد، بعدها لفقد زوجته إلى الأندلس بلدته، بل مكث قرابة عشر سنوات متقللاً بين مكة وبيت المقدس والقاهرة

ثم يأتي ابن بطوطة<sup>١</sup>، وقد بدأت رحلته عام (٦٢٥هـ) من طنجة بال المغرب إلى مكة المكرمة ، وظل زهاء سنتين ينقل من بلد إلى بلد آخر، ثم عاد في النهاية ليملى مشاهداته وذكرياته بمساعدة أديب كاتب يسمى محمد بن جزي الكلبي بتكليف من سلطان المغرب. وسمى ابن بطوطة رحلته ( تحفة الناظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ) وأثناء رحلته وصل كيرلا والهند وصور الكثير من العادات في مجتمعات الهند. وفي القرن الثامن الهجري، ظهر كتاب " خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف " لأديب غرناطة الشهير لسان الدين بن الخطيب<sup>٢</sup>. ولابن خلدون تجربات في في أدب الرحلات بمذكراته " نفاضة الجراب في عالة الاغتراب " يصف فيه مشاهداته في بلاد المغرب خلال نفيه إليها، وهو في ثلاثة أجزاء.

### أدب الرحلة العربي في العصر الحديث

وفي العصر الحديث صار أدب الرحلات شكلًا فنياً نوعاً في الأدب ، ولم ينحصر في دراسة تاريخية وجغرافية حية كما كان من قبل، ومن نماذجه في القرن التاسع عشر " تخلص الإبريز في تلخيص باريز " لرفاعة رافع الطهطاوي<sup>٣</sup> ، وتصور رحلة الطهطاوي معبعثة التي أرسلها محمد على باشا إلى باريز، انهاره بمظاهر النهضة الأوروبية وظواهر الحياة الفرنسية ، مع نقد لبعض عوائدهم في أسلوب أدبي.

" وقد كان لكتاب " الطهطاوي " فضل كبير في الانتقال باللغة الأدبية من مجرد التباري في المحسنات البدعية، وما أورثه ذلك من حجر وتأخر لهذه اللغة، إلى لغة محررة من هذه القيود والأغالل. يعد كتابه في الرحلة باكورة في النثر الحديث، ذلك الكتاب الذي ذلل به اللغة العربية لوصف الحضارة الغربية الحديثة، كما أنه استطاع أن يتخلص من السجع المتكلف في هذا الكتاب فيما عدا مقدمته<sup>٤</sup> . "

وهذا هو العصر الذي توجهت رحلات العرب إلى أوروبا ودونت رحلاتهم ووصفهم فيها عن بلاد أوروبا والولاية المتحدة الأمريكية ، وإلى جانب آخر تجول بعض الرحالة إلى أفريقيا والبلدان الآسوية. ومن رحالي هذا العصر محمد عمر التونسي الذي دون كتاباً عن رحلته " تشحيد الأذهان "<sup>٥</sup> ، ومحمد عبد الله عنان وداود برکات

<sup>١</sup> مشتغل بالتدريس حتى وفاته بالإسكندرية، وسجل لنا مقاومة المسلمين للغزو الصليبي بزعمامة نور الدين وصلاح الدين، كما وصف مظاهر الحياة في صقلية وبلاط النورمان، في لغة أدبية وتصوير شائق، هذا فضلاً عن وصفه مظاهر الرغد والحياة المزدهرة في مكة المكرمة.

<sup>٢</sup> ابن بطوطة (١٣٧٢ - ١٢٤٣هـ) هو رحالة ومؤرخ وقاض وفقير مغربي لقب بأمير الرحاليين المسلمين ، وهو أعظم رحالة العرب والمسلمين ، طاف بلاد المغرب ومصر والسودان والشام والجهاز وتهامة ونجد والعراق وفارس واليمن وعمان والبحرين وتركستان وما وراء الهر والهند والصين والجاوة وبلاد الترار وأواسط أفريقيا.

<sup>٣</sup> لسان الدين الخطيب (١٣١٣ - ١٣٧٤هـ) كاتب وشاعر وفقيه مالكي وطبيب وسياسي من الأندلس

<sup>٤</sup> رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣هـ) هو من قادة النهضة العلمية في مصر في عهد محمد على باشا، هو الذي رافقبعثة التي أرسلها محمد على للدراسة في فرنسا ليكون واعظاً وإماماً

<sup>٥</sup> عبد الله بن أحمد بن حمادي ، أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية (بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى في الأدب)

<sup>٦</sup> فأول من قام من العرب برحالة بالمعنى الحقيقي للكتابة في هذا العصر الحديث

اللذان سافرا إلى الشرق والغرب ، ومحمد فريد<sup>١</sup> قام برحلاته إلى الجزائر وتونس وفرنسا ووصفها في كتابه " من مصر إلى مصر" ، وعبد العزيز الشعالي<sup>٢</sup> الذي قام برحلته إلى العالم الإسلامي كله طوال ثلاثين عاما ، وحسين هيكل في كتابيه " ولدي " و " منزل الوحي " ، وإبراهيم عبد القادر المازني كتب رحلته الحجازية بعنوان " رحلة الحجاز". وكما لقينا أحمد فارس الشدياق<sup>٣</sup> بكتابه : "الواسطة في أحوال مالطة"<sup>٤</sup>. ومنهم الشيخ محمد ناصر العبودي الذي لقب بـ "عميد الرحالين" هو الذي قام بتأليف أكثر من مائة كتاب في أدب الرحلة.

فهذا هو الجانب الأول في العصر الحديث الذي ذكرنا في رحلة العرب الذين ألفوا رحالتهم . وهناك الجانب الآخر ولا بد لنا أن نشير إليه وهو الجانب النقدي والدراسي عن أدب الرحلة. فهناك عدد من الأدباء الذين دارسوا أدب الرحلة وكتبوا كتابا في أدب الرحلة ورحلة العرب، فمن هؤلاء العلماء الدكتور شوقي ضيف الأديب المعروف كتب كتابه في أدب الرحلة بعنوان "الرحلات" ، وفؤاد قنديل<sup>٥</sup> كتب "أدب الرحلة في التراث العربي" والدكتور حسني محمود حسين<sup>٦</sup> الذي ألف كتابا بعنوان "أدب الرحلة عند العرب" والدكتور حسين محمد فهيم كتب "أدب الرحلات"<sup>٧</sup> والدكتور حسين نصار<sup>٨</sup> كتب "أدب الرحلة" والدكتور علي مال الله<sup>٩</sup> الف "أدب الرحلات عند العرب في المشرق" ، وظهر أمين الريhani بكتابه "الريحانيات" التي سجل فيه مشاهدات بلدان عربية وعادات أهلها.

ومن أدب الرحلات أيضاً "أدب الرحلات الحجازية، ومنها الرحلة الحجازية للبناني<sup>١٠</sup> ، ورحلة شكيب أرسلان وغيرهم . وان بعضا من العلماء قد عدوا كتب الرحلات الخيالية في دائرة أدب الرحلة كما نرى في كتاب "حديث عيسى بن هشام" ، إذ يقص رحلة قام بها البطل عيسى بن هشام برفقة أحد باشوات مصر، بعد أن خرج هذا البasha من قبره، وكان قد مات منذ زمن بعيد، ثم خرج يتتجول في شوارع مصر ودوائرها الحكومية، ورحلات الأديب المصري حسين فوزي<sup>١١</sup> التي سمّاها السندياد العصري، ورحلة توفيق الحكيم

<sup>١</sup> محمد فريد (١٩٦٨-١٩١٩م) سياسي وحقوقي مصري

<sup>٢</sup> عبد العزيز الشعالي (١٨٧٦ - ١٩٤٤) زعيم تونسي وسياسي وديني

<sup>٣</sup> أحمد فارس الشدياق (١٨٨٧-١٨٠٤) صحفي لبناني وأحد أهم الإصلاحيين العرب في عهد محمد علي

<sup>٤</sup> ووصف فيه عن العادات والتقاليد وبخاصة النساء الملاطيات

<sup>٥</sup> فؤاد قنديل (٢٠١٥-١٩٤٤) روائي مصرى وكتب في مجال الرواية والقصص ودراسات وترجم وغيرها.

<sup>٦</sup> البرفسور حسني محمود حسين (١٩٣٦-٢٠٠٢م) أديب فلسطيني، هو الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية عام ٢٠٠٢م للموضوع "الأدب الفلسطيني الحديث في تاريخه أو كتبه أو رجاله"

<sup>٧</sup> كتاب خفيف ولطيف لدكتور في علم الأنثروبولوجيا يتحدث فيه عن تأثير الإرتحال والسفر على الحضارة الإنسانية ويذكر فيه على أدب الرحلات تحدیداً عند الرحلة العرب

<sup>٨</sup> حسين نصار (١٩٢٥-١٩٠١) أديب محقق ومتجم مصري ، له دراسات وترجمات كثيرة لعدد من أبرز أعمال المستشرقين.

<sup>٩</sup> الدكتور علي محسن مال الله كاتب مصري

<sup>١٠</sup> محمد لبيب البنوني هو رحالة ومؤرخ مصرى في عهد الخديوى عباس حلبي باشا الثاني .

المسماة "زهرة العمر". وتعد رحلات حمد الجاسر<sup>١</sup> لوناً جديداً في أدب الرحلات إذ سجل لنا رحلاته إلى مكتبات مكتبات أوروبا بحثاً عن المخطوطات النادرة المتصلة بالجزيرة العربية.<sup>٢</sup>

ومن أهم الكتب التي ألفت بقصد أدب الرحلة في العصر الحديث بالإضافة إلى الكتب المذكورة: "السفر إلى المؤتمر" لأحمد زكي باشا<sup>٣</sup>، و"الواسطة في أخبار مالطة" لأحمد فارس الشدياق<sup>٤</sup>، و"الرحلة إلى ألمانيا" لحسن ألمانيا<sup>٥</sup> لحسن توفيق<sup>٦</sup>، و"رحلة محمد شريف إلى أوربة" لمحمد شريف<sup>٧</sup>، و"صفوة الاعتزاز" لمحمد بيرم<sup>٨</sup>، و"رحلات" لمحمد لبيل<sup>٩</sup>، و"ملوك العرب" لأمين الريحاني<sup>١٠</sup>، و"إطالة على نهاية العالم الجنوبي" لمحمد ناصر العبودي<sup>١١</sup>، و"ذكريات لا تنسى" لمحمد المجدوب<sup>١٢</sup>، و"من نهر كابل إلى نهر اليرموك"<sup>١٣</sup>، و"مذكرات سائح في الشرق العربي" لأبي الحسن علي الندوي<sup>١٤</sup>، و"الرحلة إلى المدينة المنورة" للشيخ محمد ياسين<sup>١٥</sup>، و"مشاهداتي في بلاد العنصرين" لمحمد ناصر العبودي<sup>١٦</sup>، وغيرها.<sup>١٧</sup>

### محمد ناصر العبودي : عميد أدب الرحلة العربي المعاصر

وهو أديب ومؤلف ورحلة سعودي ولد في مدينة بريدة<sup>١٨</sup> من نجد في ٣٠ ربيع الآخرى ١٤٣٥ هـ / ١٩٣٠ م، وهو ينتمي إلى أسرة آل سالم الشهيرة في بريدة. وببدأ حياته العملية كمدرس في المدرسة الفيصلية ببريدة ثم عين مدير المعهد العلمي ببريدة وانتقل إلى شق المناصب العالمية مثلما صار معلماً في الجامعية الإسلامية بالمدينة المنورة وأميناً عاماً للجامعة الإسلامية . وحظي بمحاضرة زملاءه العباقة في الجامعة أمثل الشيخ عبد العزيز بن باز<sup>١٩</sup> ، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني<sup>٢٠</sup> والشيخ أبو الحسن الندوى والشيخ حماد

<sup>١</sup> حمد الجاسر (١٩١٠-٢٠٠٠ م) عالم سعودي وباحث وأعلامي ، ترك ميراثه في اللغة العربية والتاريخ والجغرافية والأنساب وعمل في مجتمع اللغة العربية بالقاهرة وعمان ودمشق وأردن وبغداد والمجمع العلمي في الهند.

<sup>٢</sup> عالم بحار وكاتب مصرى بربز في أدب الرحلات .

<sup>٣</sup> أحمد زكي إبراهيم (١٨٦٧-١٩٣٤ م) أحد أعيان الهضة الأدبية في مصر ومن رواد إحياء التراث العربي الإسلامي، ولقب بشيخ العروبة.

<sup>٤</sup> أحمد فارس الشدياق (١٨٨٧-١٩٤٠ م) صحفي لبناني وأحد أهم الإصلاحيين العرب في عهد محمد علي

<sup>٥</sup> حسن توفيق (١٩٤٣-٢٠١٤ م) شاعر وصحافي وناقد أدبي مصرى الملقب بـ"مجنون العرب".

<sup>٦</sup> محمد موسى الشريف (١٩٦١- ) داعية إسلامية وأستاذ جامعي متخصص في علم القرآن والسنة ، ويعمل قائد طائرة في الخطوط الجوية العربية السعودية.

<sup>٧</sup> محمد بيرم الخامس (١٨٤٠-١٨٨٩ م) عالم من تونس ورحلة مؤرخ ، وتوفي بحلوان ودفن بالقاهرة في دسمير ١٨٨٩ م.

<sup>٨</sup> أمين فارس انطون الريحاني (١٩٧٦-١٨٧٦ م) مفكر وأديب لبناني وروائي ومؤرخ ورحلة ورسام كاريكاتير، يعد من أكابر دعاء الإصلاح الاجتماعي وعمالة الفكر، ويُلقب بـ"فيلسوف الفركية".

<sup>٩</sup> هو أديب سوري شارك في النضال ضد الفرنسيين وتعرض للسجن والمطاردة والإضطهاد مع إخوه المناضلين.

<sup>١٠</sup> أبو الحسن علي الندوى (١٩١٤-١٩٩٩ م) مفكر إسلامي وداعية هندية وفائز بجائزة فيصل ، وقام برحلات كثيرة في طلب العلم .

<sup>١١</sup> رازق أزمي ، الرحلة وادها في اللغة العربية – دراسة تاريخية ( مقالة ) نقلها من موقع إنترنت <http://darululoom-deoband.com/arabic/magazine/tmp/1366020150fix4sub8file.htm>

<sup>١٢</sup> بريدة في مدينة ومقر الإمارة في منطقة القصيم في المملكة العربية السعودية وأكبر مدنها.

<sup>١٣</sup> عبد العزيز بن عبد الله الباز (١٩١٠-١٩٩٩ م) قاض وفقه سعودي وفقه عام في المملكة العربية السعودية منذ عام ١٩٩٢ حق وفاته.

الأنصاري<sup>٢</sup> وغيرهم. وشرع حياته في رابطة العالم الإسلامي بتولية منصب الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي . وأنباء عمله أتيح الفرصة لزيارة معظم بلدان في العالم، فشرع يكتب في أدب الرحلة . ونال ميدالية الإستحقاق عام ١٩٧٤ م.

وله أكثر من ٢٠٠ كتاب (١٢٨ مطبوعة ١٠٠٠ مخطوطات)، وله مؤلفات في اللغة ب رغم انه يقوم بتعليم الشريعة الإسلامية ، وله ١٥ كتابا في الدعوة الإسلامية ونفس العدد في الأدب واللغة. والفن مؤلفات موسوعية مثل المعجم الجغرافي لبلاد القصيم (٦ مجلدات) والأمثال العالمية في نجد (٥ مجلدات) ومعجم أسر بريدة (٢٣ مجلدا).

ومعظم مؤلفاته في مجال أدب الرحلة لأنه زار معظم البلدان والقارات في العالم بقيامه الرحلات الأفريقية ورحلات في القارة الأوروبية والرحلات الهندية والبلدان الآسوية الأخرى ورحلات في القارة الأمريكية الجنوبية والشمالية والرحلات الصينية والرحلات الكribية والرحلات البلقانية ورحلات الى أستراليا وجنوب المحيط الهادئ والرحلات الى الأمريكية الوسطى وجنوب روسيا ونحوها من رحلات . بقصد رحلاته الى الهند الف العبودي بعض الكتب مثل سياحة في كشمير، ومقال عن بلاد البنغال، وغرب الهند، وشمال شرق الهند، ووسط الهند، وراجستان : بلاد الملوك وحديث عن المسلمين، ونظارات في شمال الهند ، الإعتبار في السفر الى مليبار، وجنوب الهند ، وأقصى شرق الهند.

#### الخاتمة

فيعدّ أدب الرحلات من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والإجتماعية ، لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهد الحية والتصوير المباشر مما يجعل قراءته مفيدة وممتعة ومسلية. لذلك جاءت كتاباتهم سجلا وافيا ودقيقا وعميقا عن انطباعاتهم عن حياة الشعوب التي زاروها، ومظاهر سلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية ونحوها.

لقد أظهرت هذه الرحلات العربية نتائج مهمة في معرفة كثير من الحقائق الغامضة . وان للعرب والمسلمين دورا كبيرا ومهما في إثراء المعرفة الجغرافية وإغنائها بالآراء والمفاهيم الحديثة ، وان للرحلة دور في تطور الكشف الجغرافية والتاريخية والإجتماعية . وتلقي هذه المقالة ضوء الى فضل العرب في تقدم الإكتشافات الجغرافية والتاريخية أكثر من الأمم الأخرى.

<sup>١</sup> محمد ناصر الدين الألباني (١٩٩١-١٩٩٩م) الإمام والمحدث وباحث في الحديث ، له الكثير من الكتب والمصنفات في علم الحديث.

<sup>٢</sup> عالم ومحدث شهير ولد في مالي من أفريقيا ، وخرج من بلده مهاجرا بسبب الاستعمار الفرنسي وتوجه الى الحرميين وصار عالما في الحديث

**الخاتمة**

هذه الدراسة تقوم بإقناع القراء عن اسهامات العرب في هذا المجال وتهديم المحاولات التي تحاول إهمال الدور الحيوى الذي قام به العرب في هذا المجال بقولها ان هذا التقدم قد أحرزه اليونان والرومان أولاً ثم تلتها أمم أوروبية أخرى. وتشير هذه المقالة الى ان أدب الرحلة ليس للمعلومات الجغرافية فقط بل مليئة بالأنواع الأدبية والفلسفية ومختلطة بشتى الأنماط الفنية . ولم يقتصر أثر الرحلات في التراث العربي على جانبي الجغرافي والتاريخي بل تعداها الى مجالات أخرى مثل الأدب والفلسفة. ولم تقل رحلات العرب وتدوينهم في الكتب في العصر الحديث بل شاركوا رحلاتهم في أسلوب رائع جذاب وفي قالب أدبي وطراز حديث.

**المراجع والمصادر**

١. الموافي ، د، ناصر عبد الرزاق ، الرحلة في الأدب العربي ، كلية الآداب- جامعة القاهرة، ١٩٩٥
٢. رزوقى ، أزهر حسين ، الرحلة في التراث العربي الإسلامي ودورها في رفد المعرفة الجغرافية ، جامعة تكريت/كلية التربية – قسم الجغرافية ، ٢٠١٠
٣. فهيم ، د- حسين محمد ، أدب الرحلات ، المجلس الوطني : الكويت، ١٩٧٨
٤. سلي ، عبد الودود ، موسوعة أدب الرحلات ، مركز الراية للنشر والإعلام : القاهرة، ٢٠٠٤
٥. قنديل ، فؤاد ، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية : القاهرة، ٢٠٠٢
٦. زياد ، نقولة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، دار الكتب اللبناني : بيروت
٧. حسني ، محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس : بيروت
٨. عبد الله بن أحمد بن حامد آل حمادي ، أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية (بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى في الأدب)، ١٩٩٧
٩. [/http://www.alukah.net/literature\\_language/0/7637](http://www.alukah.net/literature_language/0/7637)
١٠. <http://darululoom-deoband.com/arabic/magazine/tmp/1366020150fix4sub8file.htm>.
١١. <https://ar.wikipedia.org/wiki>



## التدريس الفعال وأساليبه

السيد اسحق، ك<sup>١</sup>

د / ك. علي نوبل<sup>٢</sup>

### الملخص

العالم يتقدم يوماً في يوماً في صورة غريبة. الترقية السريعة في مجال التكنولوجيا الراهنة صيرت العالم إلى قرية صغيرة. ولا تزال هذه الترقيات مطبقة في مجال التربية أيضاً. إن التدريس هو عملية التفاعل بين المعلم وطلابه، هو تعليم للطرق وأساليب التي يمكن بها الوصول إلى الحقيقة، ولا يراد بالتدريس جمع الحقائق فقط بل يشمل تزويد الفرد بالمعلومات التيتمكن أن تؤثر في شخصيته تأثيراً عملياً. معلم اليوم هو المربى والمرشد الذي يرشد الطالب إلى سبيل الرشاد بمساعدة طرق التدريس واستراتيجيات التدريس. التدريس الفعال هو تدريس يجعل المتعلم فيه محوراً رئيسياً، فلا يكون الدارس فيه متلقياً للمعلومات فقط، بل مشاركاً وباحثاً عن المعلومات بكل الوسائل الممكنة لديه. والمدرس يختار في عملية التعلم أساليب وطرق مختلفة ليساعد الطالب على تحقيق الأهداف التعليمية، وهي مجموعة من الإجراءات والممارسات والأنشطة العلمية التي يقوم المعلم داخل الفصل بتعليم درس معين بهدف به إلى توصيل معلومات وحقائق ومفاهيم للطلبة. تقصد بهذه الدراسة بيان صورة عن التدريس الفعال وعن أساليبه وتحاول أن تناقش الاختلاف بين التعليم التقليدي والتعليم الفعلى كما تناقش هذه الدراسة إلى معايير التعليم الفعال وإلى الأدوار الهامة للمعلم تجاه المتعلمين. إن انتشار التربية والتدريس قد أصبح في بلاد العالم معياراً أساسياً للترقية الاجتماعية والثقافي والحضاري، بل في جميع المجالات المتعلقة بالمجتمع. فالترقية لا يمكن أن يكون بالتقليد والمحاكاة، وإنما يكون من نتائج الإنجازات والتكنولوجيا الراهنة.

### التدريس الفعال

التدريس فن، والفن لا يخضع إلى قواعد وقوانين مضبوطة يمكن أن يحكم عليها جميع الناس بدرجة واحدة، لأن للذوق فيه نصيب. ومن ثم، فإن المعلم ليس ملزماً أن يتقييد بطريقة معينة يطبق درسه على وفقها جملة وتفصيلاً، فالتعلم لا بد أن يعطي الحرية في الحركة ليكون قادراً على الإبداع، والابتكار والتجديد. ويمكن أن تقول "إن التدريس يعد لوناً من ألوان الخبرات الحيوية، وقد وصف بأنه خبرة حيوية لإعطائه

<sup>١</sup> باحث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرلا

<sup>٢</sup> مشرف البحوث والرئيس، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرلا

تعريف الخبرة أولاً، وإن هذه الخبرة تكون حيوية بمعنى أن التدريس يشبه الكائن الحي في نموه وتطوره وخضوعه إلى ما تخضع إليه الكائنات الحية في نموها وتطورها<sup>١</sup>.

التفاعلات الحية بين المدرس والدارس هي الأساس في نجاح التدريس وتحقيق أهداف الدراسة، فممارسة المدرس لتهيئة عناصر البيئة التعليمية يجب أن يسير جنباً إلى جنب مع دافعية الدارس للتدريس، فلا بد على المعلم أن يعي الظروف الفصلية التي من شأنها أن ترتقي بدافعية الدارسين في الفصل. يجد المدرس نفسه مضطراً للتتنوع في أساليبه، ودعمها بأنشطة وأوراق عمل، وإيابه بيئه تعليمية منظمة وثريه، يرشد ويلاحظ ويوجه التعلم.

### الاستراتيجيات التدريسية

يستطيع للمدرس ممارسة الاستراتيجيات التدريسية الآتية ليبقى طلابه مهتمين في التدريس:

١. توفير الطالب بتحديات عملية أكاديمية
٢. مساعدة الطالب لمشاركة حيوية داخل الصف وخارجها
٣. مساعدة الطلبة لتكوين الصداقه بينهم وبين المعلم
٤. تشجيع الطلبة على إتقان المواد الدراسية، ويوسس نظاماً جيداً للعلاج
٥. تشجيع الطلبة على اكتشاف المتعة في التعلم
٦. تشجيع الطلاب على سؤال الأسئلة

### الموازنة بين التعليم التقليدي والتعليم الفعال:

إن عملية التعليم في الاتجاهات الراهنة ليست مجرد تحصيل للمعرفة، أو نقل التراث من الجيل القديم إلى الجيل الحديث، بل هي أعمق من تحصيل الطالب للمهارات. التدريس هو عملية نمو وتطور واكتساب واتجاهات وقيم وسلوك ومعلومات. قال بيل جيتس "نحن لسنا بحاجة إلى إصلاح النظام، ولكننا بحاجة إلى إبدال النظام ... العيب ليس في المعلمين بقدر ما هو في النظام القديم الذين يعملون فيه وانتهى زمانه، إنه نظام مصمم لإنتاج عمال صناعة"<sup>٢</sup>. ننظر إلى الفروق المهمة بين التعليم التقليدي والتعليم الفعال في الجدول الآتي:

<sup>١</sup> اللغة العربية مناجها وطرائق تدرسيها/ الدكتور طه حسين الدليمي، والدكتورة سعاد عبد الكريم الوائلي- دار الشروق للنشر والتوزيع- عمان-الأردن- ٢٠٠٣م، ص : ٨١

<sup>٢</sup> المجلة التربوية/جامعة الكويت- مجلس النشر العلمي- العدد-١١٣-الجزء الأول-المجلد ٢٩-ديسمبر ٢٠١٤م، ص : ١١

التعليم الفعال	التعليم التقليدي
<p> التركيز على المتعلم</p> <p> التركيز على طريقة المشاركة</p> <p> المعلم ميسر ومرشد ومثير</p> <p> تستخدم أساليب وطرق متعددة ومتعددة</p> <p> يصل الطالب إلى المعرفة بمساعدة المدرس</p> <p> مصادر التعلم متعددة ومتعددة</p>	<p> التركيز على المعلم</p> <p> التركيز على طريقة المحاضرة</p> <p> المعلم ملقن، ومرجع وسلطة</p> <p> غالباً ما يعتمد على أسلوب واحد</p> <p> يعطي المدرس العلوم والمعرفة مباشرة</p> <p> الكتاب هو المصدر الوحيد للتعلم</p>

بحثنا في الجدول المذكورة أعلاه عن مميزات التعليم التقليدي والتعليم الفعال، أما التعليم التقليدي لم يوفر فرصة كافية وعملية التعليم ترتكز على المعلم وغالباً ما يعتمد على أسلوب واحد ويلقي الدروس مباشرة وعلى الطالب أن يسمعها، بينما التعليم الفعال يوفر فرصة كافية للطلاب وعملية التعليم ترتكز على المتعلم والمعلم يستعمل الأساليب والطرق الملائمة حسب الحاجة وهذا يقلل الملل في التدريس ويكون عملية التعليم فعالية ومثيرة.

### عوامل النجاح في التدريس الفعال

١. التركيز على الأهداف المتعلقة بالمادة الدراسية التي يراد تدرسيها

٢. المحتوى الشامل للمادة الدراسية

٣. مشاركة الدارسين في التعلم

٤. إرشادات واقتراحات قيمة لترقية الطالب في التعلم

٥. النشاطات المنظمة المستمرة للمحتوى التعليمي

٦. البيئة الملائمة المريحة

٧. التغذية الراجعة المتتابعة

٨. تقديم المدرس لمهارات التدريس

٩. تفاعل وداعية وتساؤلات وأفكار من قبل الدارس

١٠. الاتصال المريح والممتع والميسّر بين الدارس والمدرس وبين الطالب أنفسهم

يرتكز المعلم على الأهداف التي يريد أن يتصل إليها ويخطط الدرس بمساعدة العوامل، ويختلف بيئته ملائمة ويشارك مع الطالب في عملية التعليم ويعطي الإرشادات الاقتراحات ويساعد الطالب أن يصلوا إلى المعارف والعلوم.

### أدوار المدرس في التعليم الفعال:

نظرة المعلم هي نظرة تقدير وتبجيل منذ القدم ،على أنه صاحب رسالة مقدسة وشريفة على مر العصور فهو معلم الأجيال ومربיהם، وإذا أمعنا النظر في معانى هذه الرسالة المقدسة والمهنة الشريفة خلصنا إلى أن مهنة التعليم الذي اختارها المعلم وانتهى إليها إنما هي مهنة أساسية وركيزة هامة في تقدم الأمم وسيادتها. يجب تغيير طرق التعليم والتعلم كما أشرنا سابقاً على مر العصور، وهي بعدة أسباب ومنها تأثير الحاسوب والشبكة العالمية. وقد أصبح العلم في هذه الأيام تحت أطراف أصابع الإنسان. وعلى الرغم من توفير هذه المعلومات والتقنيات لم تزل مكانة المعلم عظيمة. ومن أدواره الهامة ما يلي:

#### ١. قائد تدريسي: ويظهر دوره من خلال:

- تفهم مبادئ الاستعداد النفسية وتطبيقاتها على الدارسين
- تزويد نسبة نجاح مرضية لكل طالب
- تهيئه التدريس حيث يكون ملائماً
- إنارة دافعية التلميذ للتعامل مع الظروف التدريسية
- اعتماد على أساليب مختلفة فعالية
- إتقان الأهداف السلوكية وتحددتها ويقومها بفعالية

#### ٢. قائد إجتماعي:<sup>١</sup>

- تسيير نمو شخصية الدارس
- مساعدة لتطور السلوك الأخلاقي عند التلاميذ
- خلق جواً فصلياً ديمقراطياً
- بناء تفاعلاً اجتماعياً يتناسب مع معايير مجموعات تلاميذه
- بناء نشاطات اجتماعية ملائمة لكافة مستويات التلاميذ

#### ٣. معزواً للنمو الانفعالي الصحي:

- مساعدة لتقليل مستويات القلق والتوتر عند الدارسين
- تأييد المهارات الضعيفة لتساعد التلميذ على التكيف

<sup>١</sup> الشامل/مجلة في تدريب المعلمين- دار المؤلف للنشر والطباعة والتوزيع- بيروت- ط١٢٠٠٣ م ص: ١٥

## • استعمال أساليب دراسة الان

## ٤. مفعلاً لدور الوالدين:

- ملاحظة الآباء على إنتاجات أبنائهم

- اتصال بالوالدين في حلول مشكلات التحصيل والسلوك

- نصحة للوالدين بالعمل معه داخل غرفة الفصل من أبنائهم

- مشاركة الآباء في مناقشة مشكلاته ومشكلات أولادهم

معلم اليوم هو الميسر والصديق والجبيذ والمساند والمقوم كما أنه مصاحب الدارس ودارس مستمر وباحث. فيلزم على المعلم اختلاق البيئة الملائمة لبناء المعلومات عند الدارس بدلاً من تدريس المعلومات.

ويطلب من المعلم تجاه هذه الأدوار والمهام التي يؤديها ويمثلها أن يكون بمثابة محور للعمل في المدرسة وعمودها الفقري وترتكيز قيمته على وعيه وإلمامه بمسؤولياته الجسمانية والجديدة والمتطرفة والشاملة والمتناسبة مع روح العصر في تحقيق الأهداف التربوية بجوانها المختلفة، والمشاركة الفعالة والإيجابية من خلال عمله كعضو في المؤسسة التعليمية، في إعداد المواطن الصالح الذي يعرف ما له وما عليه، ويكون ذلك برعاية النمو الشامل للتلاميذ المتعلمين جسمياً وعقلياً وانفعالياً.

## من أساليب التعليم الفعال:

وبشكل عام فإن النظر الحديث للمعلم تتمثل باعتباره معلم ثراث، معلم قدوة ويمثل دعامات الحضارة فهو صانع اجيال وناشر علم ورائد فكر ومؤسس هبة وإذا كانت الأمم تقاس برجالها فالمعلم باني الرجال وصانع المستقبل. ويستعمل المعلم الأساليب المتقدمة والفعالية ليكتسب الغاية التي أراد بها خلال التدريس. ومن أهمها ما يأتي:

- التعلم التعاوني بالأنشطة التعليمية
- الدارس بناء المعلومات
- التركيز على الدارس لا على المدرس
- التحرير على حرية الدارسين
- تغيير الاتجاهات حسب مراحل تطورات الدارسين
- توفير الفرص لحل المشكلات بالتجارب الذاتية
- عصف الدماغ والأسئلة السابقة
- الرحلات والزيارات التعليمية
- يعتمد على التطبيق العملي

## ► يظهر قدرات الدارسين

ومن هذه الأساليب المذكورة فهمنا أن الدارس يبني علوماً ومعارفاً من خلال تفاعله مع البيئة والمجتمع، والمعلم يساعد مرشداً. وبمساعدة هذه الأساليب يكتسب الدارس القدرة لحل المشكلات بتجاربه الذاتية ويصل إلى الغاية ويجد له فرصة لسؤال الأسئلة بل يجد فرصاً لإظهار مقدراته الملونة والمتعددة.

## الخاتمة

إن مهنة المعلم هي مهنة جديرة بالتقدير فكيف لا يكون ذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت معلماً فالمعلمMRI أحباب وناقل ثقافة المجتمع الناشئين إلى جيل الناشئين كما أن وظيفته وظيفة سامية ومقدسة تحدث عنها الرسل والأنباء ورجال الدين وال فلاسفة على مر العصور والأجيال. التدريس الفعال هو نمط من التدريس الذي يساعد التلاميذ لإثارة أفكارهم ومشاعرهم بمساعدة الاستراتيجيات المستحدثة ، حيث يكون المتعلم فيه باني المعلومات والمعارف من خلال تفاعله مع البيئة الملائمة. وبالجملة إن التدريس الفعال هو عبارة عن الطريقة التي تقوم بها المعلم بتعليم موضوع ما، بطريقة تشاركية بين الطالب والمعلم، واشتراك الطالب في عملية التعليم، بمعنى أن التدريس الفعال كما ذكرنا سابقاً يكون بعيداً تماماً عن الطريقة التقليدية، حيث إنه يسهم في مشاركة الطالب في العملية التعليمية داخل الصف وخارجها بإشراف وتعاون من المعلم، حيث يعمل كمرب ومرشد وصديق وميسر.

## المصادر والمراجع

١. د/ طه حسين الدليمي، ود/ سعاد عبد الكريم الوائلي، اللغة العربية منهجها وطرق تدرسيها، دار الشرق للنشر والتوزيع، ط١ ،عمان، الأردن، ٢٠٠٣ م.
٢. كامل محمود الدليمي، وطه علي حسين، طرائق تدريس اللغة العربية، مطبع جامعة بغداد، ١٩٩٩ م.
٣. د/ محمد فهيمي مجازي، اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ ،القاهرة ١٩٩٨ م.
٤. الشامل، مجلة في تدريب المعلمين، دار المؤلف للنشر والطباعة والتوزيع، ط١ ،بيروت، لبنان، ٢٠٠٣ م.
٥. المجلة التربوية، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، العدد-١١٣-الجزء الأول، المجلد ٢٩، ديسمبر ٢٠١٤ م.



## السياسة والدين والجنس في ثلاثة أحلام مستغانمي

حدائقِ بی

الدكتور أحمد إبراهيم رحمة الله

المُلْكُ

أحلام مستغانمي كاتبة رواية جزائرية الحاصلة على جائزة نجيب محفوظ في الأدب العربي ، من أهم رواياتها ثلاثة أحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد . فوضى الحواس . عابرسرير) . روايات أحلام مستغانمي متميزة بضمونها وبلغتها الشعرية . وترجمت أعمالها إلى لغات أجنبية كثيرة. السياسة والدين والجنس من أهم القضايا لمجتمع الإنساني في جميع الأقطار من بداية خلق الإنسان . وصارت هذه القضايا موضوعاً لعديد من الروايات العالمية . كانت كاتبات روايات العربية لا تجرأن معظمهن دائماً تناول المواضيع الدين والجنس والسياسة ، بل تُعدّ هذه المجالات من مواد الرجال من الروائيين ، ولكن الروائية أحلام مستغانمي اعتدت هذه الحدود في مؤلفاتها ، بل تداولتها مبحثاً مهماً في ثلاثيتها (ذاكرة الجسد . فوضى الحواس . عابرسرير) . تراها الروائية مغلقة الباب لدخول إلى عالم السياسة والجنس والدين مغلقاً أمام عامة الناس ، وهي مثلث كمثلث برمودا يبتلع من يدخلها . "سلاماً أيها المثلث المستحيل .. سلاماً أيها المدينة التي تعيش مغلقة وسط ثالوثها المحرّم (الدين - الجنس - السياسة)"<sup>٣</sup>. يحاول الكاتب في هذه المقالة المناقشة عما وردت من النظريات في روايات أحلام مستغانمي.

الرواية

نقدت الروائية السياسة الجديدة نقداً حاداً ، السياسة الحديثة التي تستغل ثروة البلاد والرعيـة في جميع بلاد العالم ، تعتبرهم الروائيـة مارقين وناهـيين وأصحاب الكـبرـاء الـباطـلـة ، يـحضرـون في كلـ الطـقوـس والـجـداد يـسرـوـهـمـ الكـاذـبـ وـحزـنـهـمـ الخـادـعـ ، تـقولـ:

"ها هم هنا .. كانوا هنا جميعهم .. كالعادة . أصحاب البطون المنتفخة .. والسمجائر الكوبية .. والبدلات التي تلمس على أكثر من وجه .

أصحاب كلّ عهد وكلّ زمن .. أصحاب الحقائب الدبلوماسية ، أصحاب المهام المشبوهة ، أصحاب السعادة وأصحاب التعاسة ، وأصحاب الماضي المجهول . ها هم هنا .. وزراء سابقون .. ومشاريع وزراء .

) باحث الدكتور اه، قسم اللغة العربية بجامعة كاليفورن

) مشف البحث، وئس، قسم اللغة العربية السابعة، بجامعة كاليفورنيا.

<sup>٤</sup>. مستفани، أحلام. ذاكرة الجسد. الطبعة الثامنة والعشرون . دار الآداب للنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. عام ٢٠١٢ ، ص ٣٣٧

سراق سابقون .. ومشاريع سراق . مديرون وصoliون .. ووصoliون يبحثون عن إدارة . مخبرون سابقون .. عسكريون متذمرون في ثياب وزارية .

ها هم هنا .. أصحاب النظريات الثورية ، والكسب السريع . أصحاب العقول الفارغة، والفيلات الشاهقة ، وال المجالس التي يتحدث فيها المفرد بصيغة الجمع . ها هم هنا .. مجتمعون دائماً كأسمائه القرش . ملتفون دائماً حول الولائم المشبوهة<sup>١</sup>"

تلاحظ الروائية في رواية فوضى الحواس أنَّ القضايا الكبيرة قد انتهت مع استقلال الجزائر ، ولكنَّ الحكومة الجديدة تختلف القضايا أخرى لتدور الناس حولها وتنشغلوا عن الحكم حينما يتمتعون حياتهم بالسلطة . وهذا ما نجده في معظم البلدان تختلف الحكومة القضيات واحدة بعد واحدة . " في الدكاكين السياسية ، التي يريدوها حُكَّام زايدوا علينا بدهاء في كل قضية .. باعونا « أمَّ القضايا » « قضايا أخرى جديدة ، معلبة حسب النظام العالمي الجديد ، جاهزة للالهام المحلي والقومي . فانقضضنا عليها جميعاً بغباء مثالي . ثمَّ متنا متسممين بأوهامنا ، لنكتشف ، بعض فوات الأوان ، أنهم مازالوا هم وأولادهم على قيد الحياة يحتفلون بأعياد ميلادهم فوق أنقاضنا .. ويختلطون لحكمنا للأجيال القادمة"<sup>٢</sup>"

السياسة الجديدة تتدخل في جميع أمور الإنسان ، في جميع السياق ، تطلع على طعامه وعلى شرابه وعلى سرمه وعلانيته ، وفي حياته الشخصية والأسروية . السياسة تعين الحدود وتُدير حتى أفكار الشعب المستقل ، وتمدد عيونها إلى مناصبهم . تقول شخصية حياة في فوضى الحواس .. " أرجوك .. دعني من السياسة . أنا لست هنا لأحدثك عن الوطن أنت لا تعي كم أنا أحذف للوصول إليك .. فقط لأعيش لحظة حب .

- ولكن ليس ثمة من حب خارج السياسة . ألم تفهمي هذا بعد ؟

أصمت لأنني لم أفهم . لماذا تصبح السياسة طرفا ثالثاً في كل علاقة ؟

لماذا تنام في سرير الأزواج ، وفي سرير العشاق ؟

لماذا تتناول معنا فطور الصباح .. وكل وجبات المَهَار . وترافقنا إلى زيارة الأحياء والأموات من أهلنا ؟

لماذا تسربنا إلى مدن الحلم ، وحال وصولنا ، تجلس معنا على الأريكة . ولماذا تبعث بقربك إلى الغربة ، وتعود متى شاءت بمن تحب ؟"<sup>٣</sup>"

## الدين والعقيدة

<sup>١</sup>. مستغاني، أحلام. ذاكرة الجسد. الطبعة الثامنة والعشرون . دار الآداب للنشر والتوزيع. بيروت . لبنان. عام ٢٠١٢ م ، صفحة ٢٥٤

<sup>٢</sup>. مستغاني، أحلام. فوضى الحواس. الطبعة التاسعة عشرة . دار الآداب للنشر والتوزيع بيروت . لبنان. عام ٢٠١٠ م، ص ٩٢

<sup>٣</sup>. المرجع السابق ، ص ٢٥٧

الدين والعقيدة أيضاً تُعتبر من المواد المحرومة تناولها لكتاب النسوية ، لكن أحلام مستغانمي تتناولها مبحثاً هاماً في روايتها ، شخصية ناصر هو رمزية الدين في ثلاثيتها ، وهو مؤمن بالله ومتعبّد به ، يصلّي ويصوم ويكره السّيّئات ويحبّ الوطن ويكره الحكومة المجرمة ، وهو شجاع يستقيم مع الحق دائمًا . يسأل خالد بطل ذاكرة الجسد لحياة البطلة عن إيمانها ؟ " - وهل أنت مؤمنة ؟

صحيحة:

- طبعاً .. أنا أمارس كلّ شعائر الإسلام .. وفرايشه .

- وهل تصومين ؟

- طبعاً أصوم .. إنّها طريقتي في تحدي هذه المدينة .. في التّواصل مع الوطن .. ومع الذّاكّرة . تعجبت لكلامك . لا أدرّي لماذا لم أكن أتوقعك هكذا . كان في مظهرك شيء ما يوهم بتحرّرك من كلّ الرواسب .

عندما أبديت لك دهشتي قلتِ :

- كيف تسيّي الدين رواسب ، إنّه قناعة ، وهو ككلّ قناعاتنا قضية لا تخصنّا سوانا . لا تصدق المظاهر أبداً في مثل هذه القضايا . الإيمان كالحبّ عاطفة سرّية نعيشها وحدنا في خلوّتنا الدائمة إلى أنفسنا . إنّها طمأنينتنا السرّية ، درعنا السرّية .. وهروبنا السري إلى العمق لتجديد بطرياتنا عند الحاجة . " إنّ شخصية حسان في ذاكرة الجسد رمزية الدين والعقيدة المقلدة ، يصوم ويصلّي وينوي الحجّ كما يفعل الناس في قسنطينة ، يتحدّث لأخيه خالد عن إيمانه وإيمان عامة الناس.

" علاش .. هل تنوي الحجّ ؟

قال : طبعاً .. ولم لا .. ألسّت مسلماً ؟ لقد عدت إلى الصّلاة منذ سنّتين ولو لا إيماني لأصبحت مجنوناً . كيف يمكن أن تصمد أمام كلّ هذا المنكر وهذا الظلم دون إيمان ؟ وحدها التّقوى تعطيك القدرة على الصّمود .. أنظر حولك : لقد توصلّ جميع الناس إلى هذه النّتيجة وربّما الشباب أكثر من غيرهم لأنّهم الضّحّيّة الأولى في هذا الوطن .. وحتى ناصر نفسه أصبح يصلّي منذ عاد إلى قسنطينة ، ربّما لهذا السبب وربّما لأنّ الدين كالكفر . عدوّي أيضاً والله يا خالد .. لو رأيهم يوم الجمعة يتّجهون إلى المساجد بالآلاف حتى تضيق بهم جدرانها .. وتفيض بهم الشّوارع .. لوقفت معهم تصلي دون أن تتسائل لماذا !!<sup>٢</sup>

<sup>١</sup>.مستغانمي، أحلام. ذاكرة الجسد. الطبعة الثامنة والعشرون . دار الآداب للنشر والتوزيع. بيروت . لبنان. عام ٢٠١٢ م صفحة ٢٣٩

<sup>٢</sup>. المرجع السابق .صفحة ٣٠٦

مدينة قسنطينة هي المكان المهم في ثلاثة أحالم مستغاني ، تدور القصة حولها، تصف الروائية عقائد وعادات أهل قسنطينة في زمن القصة . كانوا يزورون مقابر الصالحين ويعتقدون في التبرك بأهل القبور للبركة في رزقهم وأولادهم . تقول البطلة حياة عن جدّته التي كانت تزور أضرحة الأولياء دائمًا.

"تصوّر أنها يوم كانت حبلى بأبي لم تفارق مزار (سيدي محمد الغراب) بقسنطينة ، حتى إنها كانت تلده هناك .. ولذا سمته (محمد الطاهر) تبارك به .. ثم سمت عمّي (محمد الشريف) تبارك به أيضا . بعدما عرفت أن نصف رجال تلك المدينة أسمائهم هكذا .."<sup>١</sup>

وكان من هؤلاء الأولياء من كان يعيش عيشة فاضحة ، ومكانتهم عند الناس أعظم من يعيش عيشة حسنة . تجراً الروائية كتابة هذه الحقيقة في الرواية ". وهكذا كانت تسمّيني « السيدة » تبارك بالسيدة المنوبية التي كانت تزورها في تونس كلّ مرّة محملة بالشمع والسجاد والدعوات ، متنقلة بين ضريحها ومزار (سيدي عمرالفاياش ) . ربّما سمعت به، ذلك الولي الذي كان يعيش عاريا تماما من كل شيء .. وهو ما جعل السلطات التونسية تقوم بربط قدمه إلى سلسل حديدي حتى لا يغادر البيت عاريا كما تعود أن يفعل . وهكذا كان يعيش مقيدا ، يدور ويصرخ وسط غرفة فارعة ، إلا من النساء اللاتي يتسابقن لزيارته ، بعضهن للتبارك به .. وأخريات لمجرد اكتشاف رجولته المعروضة للفرجة .. ولفضول النساء الملتحفات بـ (السفاري) والمتظاهرا بالحشمة الكاذبة "<sup>٢</sup>

وتبيّن الروائية في رواية فوضى الحواس عادات أهل قسنطينة في أيام العيد ، كانوا يحتفلونها بتبادل الحب والتهنئة وزيارة بيوت الأقارب وزيارة قبور الأجداد . وفي عيد الأضحى كانوا يذبحون الأضحية ". ماذا يفعل الناس صباح عيد الأضحى غير الإنقضاض على لحوم الخرفان سلخا وتقطيعا .. وتقسيما . فهنا لا يمكن لأحد أن يتصور عيد الأضحى دون أضحية . مهما كانت إمكاناته المادية ، أو نوع البيت الذي يسكنه . ولذا تعودت أن أراهم صباح العيد مسرعين جميعهم : الرجال نحو الذبائح .. والنساء نحو المطابخ ، يقسّمن أجزاء الشاة حسب حاجتهم ويتصدّقن بما زاد عنهم .<sup>٣</sup>

## الجنس

تحدّى أحالم مستغانيي سلطة الرجال في مجال الجنس وتجرأ أن تتناول هذا الموضوع بأحسن وجه ، تُظهر بين سطور الروايات رغبة النساء الجامحة إلى الحب وممارستها ، كما تتحدّث عن شوق الرجال ورغباتهم الجنسية خارج الأسرة ب رغم أن الكاتبة امرأة . الروائية تقدّم هذه المادة لا سلبية ولا إيجابية ، بل تدع الأمّ إلى القارئ .

<sup>١</sup>. المرجع السابق ، صفحة ١٠٩

<sup>٢</sup>. المرجع السابق ، صفحة ١٠٩

<sup>٣</sup>. مستغانيي، أحالم. فوضى الحواس. الطبعة التاسعة عشرة، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، عام ٢٠١٠ م ، صفحة ٢٠٠

في رواية ذاكرة الجسد يتذكّر خالد علاقته الجنسية بنساء في شبابه "كم أحببت من النساء؟ . لم أعد أذكر . منذ حبي الأول لتلك العجارة اليهودية التي أغريتها . إلى تلك الممرضة التونسية التي أغرتني . إلى نساء آخريات .. لم أعد أذكر أسمائهنّ ولا ملامحهنّ ، تناوبن على سريري لأسباب جسدية محض ، وذهن محملات بي لأبقى فارغا منها .."<sup>١</sup>

يصف خالد مدينة قسنطينة داعية وداعفة إلى الجنس ، "كل شيء هنا دعوة مكشوفة للجنس .. شيء ما في هذه المدينة يغري بالحب المسرور : قيلولاتها التي لا تنتهي .. صاحتها الدافئة الكسلى .. وليلها الموحش المفاجئ ..."<sup>٢</sup>

تحكي الروائية عن « دار مغلقة » في قسنطينة الذي يرتادها الرجال والفتيان لتقضي حاجاتهم الجنسية . وتستهزء من النساء الزانيات التي تظهرن العفاف في شيخوختهن . " كان الرجال يؤمّونها من كل صوب ، هربا من المدن والقرى المجاورة ، التي لا ملذات فيها ولا نساء . وكانت النساء جميلات والبائسات ، يأتين أيضا من كل المدن المجاورة ليختفين خلف هذه الجدران المصفحة ، التي لا يخرجن منها إلا عجائzen لينفقن ثروتهن في الصدقات والحسنات ، وتطهير الأيتام في موسم توبتهن الأخيرة ."<sup>٣</sup>

هناك حقيقة إجتماعية في هذا الموضوع ، أن العلاقات الجنسية في خارج الأسرة عمّت بين الرجال والنساء في المجتمع وهذه الشهوة مخفية في معظم قلوب النساء والرجال . " هنالك أكثر من امرأة هنا يمكن أن يمتلكها رجل دون جهد ، هنالك أكثر من باب نصف مفتوح ينتظر أن يفتحه رجل ".<sup>٤</sup>

لغة أحلام مستغانمي في بيان لحظة الحب وأسلوبها جذابة . تشبه الساردة في فوضى الحواس شهوة الرجل بزوبعة بحرية . ولكن زوبعة بحرية ذهبت بأستلقي . وبعثرتي رغوة .. على سرير الشهوة . كان البحر يتقدّم ، يكتسح كل شيء في طريقه . يضع أعلام رجولته ، على كل مكان يمزّبه . مع كل منطقة يعلّمها منطقة محظلة وأعلمها محّرة ، كنت أكتشف فداحة خسائر قبليه . كمن يتململ داخل قفص الجسد ، انتفض واقفا . كان يريد أن يغادر ذاته ويتحدى بي ."<sup>٥</sup>

الجنس كالسكر ، ننسى الآمنا وحزننا ومصائبنا في لحظة الجنس ، " الجنس هو كل ما نملك لننسى أنفسنا ".<sup>٦</sup>

<sup>١</sup>. مستغانمي، أحلام. ذاكرة الجسد. الطبعة الثامنة والعشرون . دار الآداب للنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. عام ٢٠١٢ م ، صفحة ٣٠٧

<sup>٢</sup>. المرجع السابق ، صفحة ٣١٥

<sup>٣</sup>. المرجع السابق ، صفحة ٣١٣

<sup>٤</sup>. المرجع السابق ، صفحة ٣٣٣

<sup>٥</sup>. المرجع السابق ، صفحة ٢٨٨

<sup>٦</sup>. المرجع السابق، ص ٣٠١

إنما الإنسان أحوج إلى الحب من حاجته إلى اللذة ، كل لذة تطلب لذة أخرى ، لا يشبع الرجل والمرأة بعلاقة جنسية واحدة أو اثنين ، لا تزيده إلا جوعا . هنا يتحدث الروائي عن لذة الامتناع في رواية فوضى الحواس . " بيننا وبين المتعة مفتاح لا أكثر. ولكنني أرفض أن أن يتحكم هذا المفتاح فينا . وإنما فسيكون في هذا إهانة للحب . أنا لا أقل عنك الحظة رغبة ولا اشتاء بل إنني أحوج منك إلى الحب ، من حاجتك أنت إلى هذا الحب ، وهذه المتعة ذاتها . وذلك عندما نبلغ ذلك القدرالمخيف من اللذة ، كل متعة لا تزيدنا إلا جوعا . علينا الآن أن نجرب لذة الامتناع ، لنتصالح مع أجسادنا،لنعرف كيف نعيش داخلها عندما لا تكون معا .. ولنكتشف جمالية الوفاء عن حرماني".<sup>١</sup>

تقارن الروائية في رواية عابرسرير النساء الأوروبيّة والنساء العربيّة في مجال الجنس، ويضمّنها بنوعيّة الأبواب. تحكي السارد عن شخصية مراد : "راح بمزاج لا يخلو من الجديّة يوضح لي ما يعتقد شهبا بين نوعيّة الأبواب ، وما يقابلها من أجناس النساء . فهو يرى الأوروبيّات مثلا ، كالأبواب الزجاجيّة للمحلّات العصرية التي تنفتح حال اقترابك منها ، بينما تشهر العربيّات في وجهك وقارهن كأبواب خشبيّة سميكّة لمجرد إيهامك أنّهن منيّعات ومحصّنات . وثمة من ، حتى لا تستسهليّن ، كاملة كي تجتاز عتبة كان يمكن أن تجتازها بخطوة ! وأخريات يحتمن بباب عصري مصفّح ، كثير الأقفال والألسنة ، ولكنّ يتراكم لك المفتاح تحت دوّاسة الباب .. كما عن غيرقصد".<sup>٢</sup>

حيث هنا نماذجا قليلا في هذا الموضوع خوفا من طول المساحة . كما رأينا من هذه الإقتباسات أنّ أحلام مستغانمي جريئة في تعبيّرها تريده أن تقول للعالم من الكاتبات النسوية كما كتب كليزار أنور: "هناك ثلاث خطوط حمر يقف قلم الأدب عندـه.. (السياسة، الجنس، الدين) وعلـمـها أن لا تتجاوزـها. ثالـوث عـجـيب ينزلـلـ روـكـودـ الزـمـنـ منـ حـولـنـاـ. وـعـلـىـ الـمـرـأـةـ أـنـ لـاتـقـرـبـ مـنـهـ !ـلـكـنـ،ـ الـرـوـائـيـةـ أـحـلـامـ مـسـتـغـانـيـ اـسـتـطـاعـتـ -ـ وـبـجـرـأـةـ نـادـرـةـ -ـ أـنـ تـدـخـلـ المـنـاطـقـ المـحـرـمـةـ فيـ غـابـةـ الـمـجـتمـعـ الشـائـكـةـ"<sup>٣</sup>

#### خاتمة

لقد ناقشت الروايات الثلاثية لأحلام مستغانمي قضايا الدين والسياسة والجنس وانتقدتها بطريقتها الخاصة حيث أنها مواضيع متعلقة بالمجتمع مباشرة. قدمت الروائية السياسة في جانبها الإيجابية والسلبية. حينما السياسة الحسنة تخدم الوطن وأهلهما والسياسة القدرة تستغل الرعية وثروة الوطن لحاجاتها كما نجدها غالبـاـ في معظم بلـادـ الـعـالـمـ. أـمـاـ الدـيـنـ لـهـ ثـلـاثـةـ أـوـجهـ،ـ الدـيـنـ المـتـطـرـفـ الذيـ نـراهـ فيـ الإـرـهـابـيـنـ الذينـ

<sup>١</sup>. المرجع السابق، ص ٣٢٣

<sup>٢</sup> أحـلـامـ مـسـتـغـانـيـ،ـ عـاـبـرـسـرـيرـ،ـ الطـبـعـةـ الـحـادـيـةـ عـشـرـةـ ،ـ دـارـالـآـدـابـ لـلـنـشـرـوـالـتـوزـيـعـ،ـ بـيـرـوـتـ –ـ لـبـنـانـ،ـ عـامـ ٢٠١٢ـمـ،ـ صـ ٧٤ـ

<sup>٣</sup>. كـلـيـزـارـ آـنـورـ،ـ قـرـاءـةـ (ـفـوـضـىـ الـحـوـاسـ)ـ رـوـاـيـةـ تـسـبـحـ ضـدـ التـيـارـ،ـ درـاسـةـ نـقـديـةـ .ـ مـوـقـعـ

إـلـكـتروـنـيـ،ـ <http://www.postpoems.org/authors/gulizaranwar/poem/510463date 04/10/2017 Time@11:00am>

يقتلون الإنسان باسم الدين، والدين للدين الذي ليس له أثر في سلوك متبّعه أو في حياته اليومية كما نجدها في شخصيّة خالد وحياة في ذاكرة الجسم. وأمّا الثالث هو الدين المتوسط ، الذي نراه في شخصيّة ناصر وحسان.

تناولت الروائيّة الجنس في الروايات كأنّه جزء هام في حياة الإنسان. حينما تقدّم وصول الحب بين امرأة ورجل إلى علاقة الجنسيّة ، وحينما يحدث ممارسة الجنس بلا حب بينهما. شخصيّة حياة وشخصيّة كاترين نموذجان لهذه التنوّع من الجنس. فالروايات تجربة جذابة تُوصل القارئ إلى اتجاهات المختلفة للإنسان في قضايا السيامة والدين والجنس.

#### المصادر والمراجع :-

١. أحلام مستغاني ، ذاكرة الجسم ، الطبعة الثامنة والعشرون ، دارالآداب للنشر والتوزيع ،بيروت – لبنان ، عام ٢٠١٢ م
٢. أحلام مستغاني ، فوضى الحواس ، الطبعة التاسعة عشرة ، دارالآداب للنشر والتوزيع ،بيروت – لبنان، عام ٢٠١٠ م
٣. أحلام مستغاني ، عابرسرير،طبعة الحادية عشرة ، دارالآداب للنشر والتوزيع ،بيروت – لبنان ، عام ٢٠١٢ م
٤. البدرياني، حميد عبد الوهاب. الشخصية الإشكالية مقاربة . سوسيوثقافية في خطاب أحلام مستغاني الروائي. الطبعة الأولى.الأردن .عمان .دار مجدلاوي للنشر والتوزيع. ٢٠١٤-٢٠١٣ . م
٥. كليزار أنور، قراءة (فوضى الحواس) رواية تسبح ضد التيار، دراسة نقدية . موقع إلكتروني.  
<http://www.postpoems.org/authors/gulizaranwar/poem/510463>

www.ahlammosteghanemi.com .٦



## الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوبي

السيد / عبد الناصر تي<sup>١</sup>

### الملخص

هذه المقالة تلقي ضوءاً على خدمات العلامة الشيخ أبي الحسن علي الندوبي في إحياء الفكر الإسلامي والأدب العربي. كان أبو الحسن علي الحسني الندوبي من أعز أبناء الهند وأفخرها، هو من أشهر شخصية عالمية أنجبته الهند وهو الذي أحيا الفكر الإسلامي الأصيل في القرن العشرين بمؤلفاته الثمينة ومقالاته القيمة.

صار إسم العلامة الشيخ أبي الحسن علي الندوبي مخلداً في ساحة الفكر الإسلامي بمؤلفاته العلمية ومقالاته ومحاضراته التي تتسم بالأصالة الإسلامية والتي تتحمّس إلى إعادة الأمة الإسلامية مجدها الفائت فكريًا وحضارياً. وكان صائب الرأي في معالجة المشاكل التي يواجهها المجتمع الإسلامي وهذه الميزة التي جعلته أبرز الشخصيات الإسلامية على المستوى العالمي. كما أنه كان على الوعي التام بالحلول والعلاج لجميع ما أصاب جسم المجتمع الإسلامي من الأمراض والأخطار داخلياً وخارجياً.

### مولده ونشأته

وهو من مواليد قرية تكية كيلان عام ١٩١٤ م براي بريلي في مدينة لكهنو في ولاية أترابراديش الهندية وكانت أسرته شديدة المحافظة على التقاليد الإسلامية الأصلية، ونسبه ينتهي إلى الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه وكان أبوه خير سلف له في غرس القيم الإسلامية ومبادئها النبيلة منذ نعومة أظفاره.

الأسرة التي نشأ العلامة الندوبي زوجته بالخصائص المحمودة والعزائم الإصلاحية، يقول العلامة السيد محمد اجتباء الندوبي عن الأسرة الشهيرة التي ينتمي إليها العلامة أبو الحسن علي الندوبي:- "لم تزل متمسكة بعقيدة التوحيد الخالص، بعيدة عن الأعمال الشركية ، متجنبة للبدع والمحاذيل، مصونة من تأثير العقائد الشيعية ، وكانت الدعوة إلى التوحيد وابتاع السنة المطهرة شعارها الدائم وميزتها البارزة"<sup>٢</sup>

كان والده من يشتغل بإدارة دار العلوم ندوة العلوم مما مهد له الطريق أن يعيش في لكهنو معظم أيام طفولته يضيف يوسف القرضاوي قائلاً عنه:- "شخصية الشيخ ثيبة متعددة المواهب، متنوعة العطاء، فهو إمام من أئمة الدعوة، وعالم من أعلام الإصلاح، ونجم من نجوم الهدى، وجبل من جبال العلم، ورائد من رواد الربانية، قائد من قادة الإسلام".<sup>٣</sup>

<sup>١</sup>- أستاذ مساعد ، كلية أنوار الإسلام العربية للبنات، مونغم

<sup>٢</sup>- محمد اجتباء الندوبي، أبو الحسن علي الحسني الندوبي الداعية الحكيم والمربى الجليل، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م، دار القلم دمشق، ص ٢٥-٢٦

<sup>٣</sup>- الدكتور جمال الدين الفاروقى، عبد الرحمن محمد الأذرشى، عبد الرحمن المنغادى، أعلام الأدب العربي في الهند ، الطبعة الأولى، مكتبة الهدى كالبيكوت، ٢٠٠٨م ، ص ٢١، نقلًا عن الدكتور يوسف القرضاوى.

إن أكبر خلفية جعلته شخصية إسلامية هو البيت الذي تلقى منه الدين على يد والده العلامة الشيخ عبد الحفيظ الحسني الذي كان أشهر علماء عصره ، بعد أن توفي والده وهو ابن العاشر كانت والدته وأخوه الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني يقومان بإشراف تعليمه وتربيته.

واصل دراسته العليا في جامعة "لكانو" ودار العلوم التابعة لندوة العلماء . فدرس العربية وأدابها والعلوم الشرعية، وخصوصاً الحديث والتفسير، وإهتم بدراسة اللغات، فأتقن العربية والإنجليزية والفارسية فضلاً عن الأردية كتابة وتحثنا . والتحق بجامعة لكتنو الحكومية في سنة ١٩٢٧ م وأصبح من خريجيها بتقدير ممتاز فائزًا بالميدالية الذهبية.

وكان عكوفاً على تعلم اللغة العربية وشغوفاً بها وتلمذ على يد جهابذة العلماء كي يتتفوق في العربية ، كما تلمذ على الشيخ محمد علي اللاهوري في تفسير القرآن وعلوم الحديث، أتم دراسة اللغة العربية وبعض أمهات الكتب العربية عند الشيخ خليل اليماني. ثم التحق بقسم اللغة العربية بجامعة لكتنو ونال شهادة فاضل أدب. ودرس اللغة الأردية وأدابها خلال ثلاث سنوات. وأخذ يقرأ اللغة الإنجليزية على صديق أبيه الشيخ محمد خليل، وجعل يذهب إلى معلم الإنجلizية الكبير الأساذ محمد سميح الصديقي ، وكان له فترة من الزمن حينما كان طالباً بدار العلوم ندوة العلماء حتى تلمذ على الشيخ حيدر حسن خان الذي كان محدث العصر كما تلمذ على الشيخ حسين أحمد المدنى في دار العلوم ديوبند.

### أبو الحسن علي الندوى مدرساً وصحفياً

وقد اهتم السيد أبو الحسن علي الندوى الصحافة العربية والأردية اهتماماً بالغاً بالإضافة إلى نشاطاته التأليفية والتدريسية. وكان رئيس التحرير لمجلة البعث الإسلامي ومجلة الرائد كما اشتغل بالمحرر المراسل لمجلة "المسلمون" التي كانت صادرة من جنيف تحت رئاسة الدكتور سعيد رمضان، عينه السيد سليمان الندوى أستاذاً في دار العلوم ندوة العلماء في علوم التفسير وعلوم القرآن والأدب العربي بعد أن أدرك كفاءاته ومواهبه في تدريس الطلبة وتوجهم. وكان خير مدرس وخير موجه. صدرت في هذه الفترة صحيفة عربية من ندوة العلماء "الضياء". فساهم في تحرير مجلة "الندوى" الأردية. ورأس تحريرها فترة من الزمن ونشرت له أول مقالة في اللغة العربية عن الإمام أحمد بن عرفان في مجلة المنار في مصر سنة ١٩٣١ م. حضي له بأن يسافر إلى المملكة العربية السعودية ١٩٤٧ م لأداء مناسك الحج وزار المملكة مرة أخرى سنة ١٩٥٠ م وألقى عدّة محاضرات قيمة في الحجاز ، ثم سافر إلى دمشق ١٩٥٧ م ميلادية ، وألقى فيها خطابات علمية مثيرة للحماس الإسلامي.

### الشيخ أبو الحسن راعي الأدب الإسلامي

إن الشيخ الندوى رأى في الأدب الإسلامي خير موجه له وخير مناصر وإن جميع مقالاته تفيض بالفكير الإسلامي السليم ورأى ضرورة إحيائه. كان للأدب العربي قسطاً وافراً في أعماله العلمية حيث كان شغوفاً به

كما كان يتولى عدة مناصب منها: الرئاسة العامة لندوة العلماء وعضوية المجمع العربي بدمشق، وعضوية المجلس التأسيسي لرابطة العالمي لإسلامي في مكة المكرمة، وعضوية المجلس الإستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ورئاسة هيئة التعليم الديني في الولايات الشمالية في الهند ورئاسة رابطة الأدب الإسلامي العالمية.....

### **النزعات التجددية في مؤلفاته**

أثرى العلامة الندوى المكتبة الإسلامية والعربية بكنوزه العلمية التي تمثلها مؤلفاته التي تزيد على مئتين ، وكلها تعالج القضايا التاريخية والدعوية والمدنية والإجتماعية والسياسية والتي تواجهها الأمة الإسلامية لا بأسلوب حماس فحسب بل بأسلوب علي متين ، وقد تم ترجمة معظمها إلى اللغات العالمية كالفرنسية وإنجليزية والتركية ، كما ترجمت إلى اللغات الهندية المختلفة. اتسع نطاق إسهاماته في دراسات القرآن والحديث والدراسات الثقافية والإجتماعية وفي أدب الرحلة وغيرها. أعماله التأليفية التي تظهر لنا قدرته الفائقة في تصوير الأحداث ملتزما بدقة التاريخ والتحليل. في :-

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، الأركان الأربع ، الطريق إلى المدينة ، السيرة النبوية ، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، المسلمين في الهند ، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، إذا هبت ريح الإيمان، المسلمينونقضية فلسطين. روائع إقبال، الفادياني والقاديانية ، التربية الإسلامية ، العقيدة والعبادة والسلوك ، وغيرها كثير..

قدم أبو الحسن علي الندوى عددا من كتب الترجم ، ومنها:-

#### **١- رجال الفكر والدعوة في الإسلام:-**

وهو في أربعة مجلدات ، يعرض تاريخ الإصلاح والتجديد في الإسلام عبر القرون، وهو عمل موسوعي يرسم في خلاله الطريقة المثلثة للدعوة والثقافة والتربية وصياغة العقلية الوعائية. يبحث في الجزء الأول عن سيرة الحسن البصري وخلفائه، كما يتكلم عن حركة التدوين في الإسلام وتنظيم الحياة على الأسس الدينية. ثم يتطرق بحثه إلى حياة الإمام أحمد بن حنبل وأبي الحسن الأشعري، ويليه بحث عن انحطاط علم الكلام وازدهار الفلسفة الباطنية. وقد خصص في هذا الجزء دراسة مستفيضة لحججة الإسلام أبي حامد الغزالى ودوره في نقد الفلسفة. ودحض أباطيل الدهريين والماديين. وأما الجزء الثاني فإنه يتناول شخصيةشيخ أحمد بن تيمية وتلاميذه شيخ الإسلام ابن القيم الجوزية وابن عبد الهادي والحافظ بن رجب. والجزء الثالث خاص بالإمام السر هندي مجدد الألف الثاني. كما أن الجزء الرابع خاص بشخصية الإمام شاه ولـ الله الدھلوi.<sup>١</sup>

١- الدكتور محمد اجتباء الندوى، ثقافة الهند ، المجلد ٥٢ ، العدد ٤، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية ، ٢٠٠١ م، ص ٣٦

وهذا الكتاب خير شاهد على أفكار الأستاذ الندوبي وميوله الإصلاحية وتحمّسه الشديد الروح الإسلامي الصافي وفهمه الدقيق للتاريخ الإسلامي، وبهذه المميزات إن هذا الكتاب يسد فراغاً كان في دراسة التاريخ الإسلامي.

## ٢- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين:-

يعد هذا المؤلف من أعماله الجليلة الذي لا نظير له في موضوعاته التي يعالجها، يتناول فيه الأستاذ الندوبي الأسباب والخلفيات التي أدت إلى السيادة العالمية التي تمت بها المجتمع الإسلامي فترة طويلة من الزمن ، كما أن هذا المؤلف يسلط الضوء على العوامل التي عجلت انحطاط وهبوط ريادة المسلمين على المستوى العالمي والكاتب يصور هذه المأساة -انحطاط المسلمين كارثة إنسانية حضارية.

والقارئ فيه يرى أن الكاتب شديد الإنداخ والإشتياق لاستعادة المسلمين رئاستهم العالمية ثقافياً وحضارياً. يقول الدكتور محمد يوسف موسى أحد أساتذة الأزهر عن هذا الكتاب :- "أشهد لقد قرأت الكتاب حين ظهرت طبعته الأولى في أقل من يوم وأغرمت به غراماً شديداً، حتى لقد كتبت في آخر صفحة وقد فرغت منه : إن قراءة هذا الكتاب فرض على كل مسلم يعمل لإعادة مجد الإسلام".<sup>١</sup>

وقد تحدّث الكاتب في الفصل المخصص عن المقارنة بين الحضارة الغربية الحديثة والحضارة الإسلامية مؤكداً على أن الحضارة الغربية تقوم على ابتزاز ونهب خيرات الآخرين دون أن تكترث بالقيم المثلية والأخلاق الفاضلة. يقول الدكتور شكري فيصل في حديثه الممتع عن هذا الكتاب :- "شيء آخر يمتاز به المؤلف ويترفع به إلى مصاف للمفكرين المسلمين ، وذلك هو نظرته الشاملة العالمية إلى تطوير الحياة الإنسانية ، فإن الأبواب الخمسة التي كسر علمها الكتاب لتدل على هذا الأفق العالي الذي يجتذب التاريخ الإسلامي والتاريخ العام".<sup>٢</sup>

## ٣- السيرة النبوية :

يعد هذا المؤلف من أروع أعماله وهو من المصادر الموثق بها في السيرة النبوية ، وتراثه الذي تلقاها من بيته منذ نعومة أظفاره أرسى في قلبه حب الرسول صلى الله عليه وسلم حباً جماً.

ومن يقرأ هذا الكتاب يرى السيرة العاطرة لسيدهنا محمد صلى الله عليه وسلم . وكاتبنا نجح في تسجيل جميع صغير وكبير في حياته الطيبة. ومرة سأله الأستاذ الدكتور محمد إحتباء الندوبي: "أي مؤلفاتكم أحب إلى جنابكم، فقال: السيرة النبوية، والنبوة والأنبياء، والطريق إلى المدينة، والأركان الأربع، وماذا خسر العالم".<sup>٣</sup>

٤- الدكتور محمد رجب البيومي، ثقافة الهند، المجلد ٥٢ ، العدد ٤، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية ، ٢٠٠١ م، ص ٣٢

٥- المرجع السابق ، ٢٠٠١ م، ص ٣٠٧

٦- محمد فيهم أختر الندوبي ، ثقافة الهند، المجلد ٥٢ ، العدد ٤، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية ، ٢٠٠١ م، ص ٣٧٦

وأسلوبه الذي اتخذ كي يصبر هذا الكتاب مادة مقروءة أهم ميزته من حيث أن الشيخ الندوی جمع الأسلوب العلمي والتربوي والبلاغي ، وبعبارة أخرى خاطب العقل والعاطفة بأسلوبه الوجданی والإنساني.

#### ٤- المسلمين في الهند:-

هذا الكتاب يتناول بالدور الذي قام به المسلمين في تحرير بلاد الهند من قبضة البريطانيين كما يلقى ضوءا على الحياة العلمية والاجتماعية والدينية ل المسلمين في ربيع الهند . وهذا المؤلف أيضا يعطي لنا صورة واضحة لعلماء الهند ومفكريها الذين قدموا إسهامات جليلة في شتى الفنون الأدبية .

#### ٥- روائع إقبال:-

قام فيه كاتبنا بعرض الشاعر الثائر محمد إقبال بأسلوبه الذي يتميز به نلمس فيه شاعرا حارب الجاهلية بمواهبته كأنه أيده الله بروح القدس في مواجهتها، وهذا المؤلف خير شاهد على حرارته الإيمانية وروحه الدينية .

#### ٦- الأركان الأربع:-

يصور فيه الأستاذ الندوی فلسفة الإسلام بروحها الصادقة ويتحدث عن أركان الإسلام الأربع الصلاة ، والزكاة ، الصوم ، الحج متخدنا أسلوبا رائعا لا مثيل له ويشرح مقاصدتها وأسرارها وحكمها.

#### ٧- النبي الخاتم :

هي رسالة كسبت لكتابها أبي الحسن علي الندوی شهرة عالمية وهو يعالج قضية ختم النبوة . بطريقة علمية تحليلية معتمدا على الكتاب والسنة ومصادر التاريخ وفلسفة الاجتماع.

#### أبو الحسن علي الندوی - آية عصره

كان رحمه الله أعمجوة الزمان ، وحرارة الإيمان التي تلتهب في داخله وشدة التحمس إلى أن ترجع الأمة الإسلامية إلى السيادة العالمية روحيا وماديا كانتا أبرز سمات أعماله العلمية والأدبية تطلع بفنون العلم وتفوق بها على أقرانه فكل ما أوتي له من العلوم إنما استعملها لإعلاء كلمة الله معتزا بدين الله الحنيف ، وكان هدفه الرئيسي الإصلاح بين المسلمين دون أن يتقاتلوا باسم المذاهب والطوائف فلما مات رحمه الله كان خسارة كبرى للأمة الإسلامية غير أن مؤلفاته ومقالاته لا تزال تضيئ عقلية الأمة الإسلامية أبدا الدهر.

#### الخاتمة

قد أسدل الستار على حياته الحافلة بالجهود المضنية والعطاء المتواصل يوم الجمعة، الثالث والعشرين من رمضان عام ١٩٩٩ م في قرية رأي بريلي. ولبي نداء ربه وهو في قراءة سورة الكهف استعدادا لصلاة الجمعة. وكان هذا العام عام حزن للعالم الإسلامي، لأنه ودع، بجانب العلامة الندوی، أربعة من العلماء الأعلام هم:الشيخ عبد العزيز بن باز، وأديب الفقهاء وفقيه الأدباء العلامة علي الطنطاوي، والفقیه

الكبير المجدد مصطفى الزرقاوي، والمحدث الكبير الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. وبوفاته فقد العالم العربي والإسلامي مفكرا إسلاميا وزعيميا دينيا وقائدا ثقافيا ورائدا من رواد الأدب.<sup>١</sup>

الأثار العلمية التي خلفها أبو الحسن كانت بمثابة سد الفراغ في كل ما عالجتها من الموضوعات ، كان وضمنا الراهن يقول لنا : ردة لا أبا الحسن لها ! ، إنه كان غرة بيضاء في جبين الأمة الإسلامية، وننتظر قدوم عالم رباني ثائر مثله لأن الوضع الراهن للمجتمع الإسلامي ، يقول لنا : ردة لا أبا الحسن لها ! .

#### المصادر والمراجع

- أبو الحسن علي الحسني الندوبي ، رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، الجزء الأول ، دار الرشيد ، ٢٠١٤ م.
- مجلة ثقافة الهند ، عدد متاز عن الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوبي ، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية ، نيودلهي ، الهند ، المجلد ٥٢ ، العدد ٤ ، ٢٠٠١ م
- أبو الحسن علي الحسني الندوبي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، المجمع الإسلامي العلمي ، ٢٠١٢ م
- أبو الحسن علي الحسني الندوبي ، المسلمين في الهند ، المجمع الإسلامي العلمي ، ٢٠١١ م
- الدكتور جمال الدين الفاروقى ، عبد الرحمن محمد الأدرشى ، عبد الرحمن المنغادى ، أعلام الأدب العربى فى الهند ، مكتبة الهدى كاليكوت ، ٢٠٠٨ م.




---

<sup>١</sup>-الدكتور جمال الدين الفاروقى ، عبد الرحمن محمد الأدرشى ، عبد الرحمن المنغادى ، أعلام الأدب العربى فى الهند ، الطبعة الأولى ، مكتبة الهدى كاليكوت ، ٢٠٠٨ م ، ص ٢١١

## الخط العربي الكوفي: تطوره وأنواعه

فرحان أنصاري<sup>١</sup>

### الملخص

الخط العربي هو فن من الفنون الإبداعية التشكيلية التي توجت الحضارة العربية والإسلامية، كما استوحت منه الحضارات العالمية المختلفة. فهو يختلف عن الخطوط الأخرى ويمتاز عنها في تجاوزه لنقل الأفكار والمعاني إلى التعبير عن الرقص العربي والفن التشكيلي وجمالية الهندسة المعمارية. وكتابة الخط ليست مجرد حرف كالورقة، بل هي فن يتطلب موهبة وفطنة وذكراً طولية. ويرجع تاريخ الخط العربي إلى أكثر من ألفي عام عندما هاجر العرب "الأنباط" من قلب الجزيرة العربية إلى شمالها، وأسسوا هناك مملكة قوية، وكانت عاصمتهم مدينة "البتراء" التي تقع اليوم في الأردن. وقد برع العرب الأنباط في كثير من الفنون مثل العمارة والتجارة والري والزراعة، كما أنهما ابتكرولا الكتابة العربية التي نعرفها اليوم. وقد تطور الخط العربي بعد أن كان نقوشاً بدائية غامضةً إلى صورته الرائعة التي نقرأها ونكتب بها اليوم، في القرنين السابع والثامن الميلادي، والذين يستعملان بشكل رئيسي على العصر الإسلامي والعصر الأموي، بسبب احتلال اللغة العربية مكانة مرموقة بين المسلمين لكونها لغة القرآن ولغة الإسلام، فأخذ الناس يقبلون على تعلمها ويسعون إلى إتقان خطها وجودتها. وللخط العربي أفلام عديدة وأنواع مختلفة، بعضها انتسب إلى المدينة التي أنسى فيها، وبعض الآخر سمي باسم القلم الذي كتب به. ومن أشهر هذه الأنواع الخط الكوفي وخط النسخ وخط الثلث وخط الرقعة والخط الفارسي وما إلى ذلك. وفيما يلي نسلط الضوء على واحد منها فقط وهو الخط الكوفي.

### الخط الكوفي:

يعتبر الخط الكوفي أقدم أنواع الخطوط العربية المتأخرة، وقد تفرعت منه معظم الخطوط العربية التي نشأت وتطورت في ظل الحكم الإسلامي في الكثير من البلدان العربية وغير العربية. وسمى الخط الكوفي بهذا الاسم نسبة إلى مدينة الكوفة التي أنشأها القائد سعد بن أبي وقاص سنة ١٦٧ هـ بأمر من الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، إلا أن هذا الخط كان معروفاً في المدن الأخرى قبل بناء الكوفة بعشرين السنين. فقد كان بعض الخطاطين من مدن أخرى بالعراق مثل الحيرة والأباري يكتبون به، فلما بنيت مدينة الكوفة انتقل إليها هؤلاء الخطاطون، وبدأوا يستخدمون هذا الخط وطوروه، كما أدخلوا عليه بعض التحسينات وهذبوا قواعده وزادوا في تحسينه وتجويده وتجميله، فسمى هذا الخط بالكوفي نسبة إلى المدينة التي وصل فيها إلى درجة عالية من الفن والإتقان والجودة.

<sup>١</sup> باحث الدكتوراه، مركز الدراسات العربية والإفريقية ، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي

أما تسمية هذا الخط بالковي فقد جاءت متأثرة بما كانت شائعة عند العرب في تسمية الخطوط بأسماء المدن التي نشأت وانتشرت فيها الخطوط العربية، فكما عرف الخط بالحجازي والحيري والأنباري والبصري والمكي والمدني، لكون انتشاره فيها، هكذا، عرف الخط بالковي أيضاً، لأنَّه انتشر من الكوفة إلى أقاليم مختلفة من العالم الإسلامي.

وقد أيد هذه الفكرة إبراهيم جمعة:

"على أن تسمية الخطوط بالковي ترجع بادئ ذي بدء إلى مألف العُرب الأوائل في تسمية الخطوط التي انتهت إليهم بأسماء المدن التي وردتهم منها، فكما عرف الخط عند عرب الحجاز قبل عصر الكوفة بالنبطي والحيري والأنباري، لأنَّه من بلاد النبط والحيرة والأنبار - ثم بالمكي والمدني، لأنَّه شاع في أنحاء شبه الجزيرة من هذين الوسطين - وعرف الخط العربي في وقت من الأوقات باسم "ال Kovī" لأنَّه انتشر من الكوفة إلى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي مصاحِّباً لانتشار الإسلام".<sup>١</sup>

وعلى الرغم من ظهور الخط الكوفي قبل بناء الكوفة بمائة السنة<sup>٢</sup>، إلا أنه انتشر وتطور بشكل ملحوظ مع بداية الإسلام. فعندما انتشر الإسلام وجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً وتتوسَّع نطاق الدولة الإسلامية، كان من الضروري أن ينتشر معه الخط العربي أيضاً، لما له أهمية كبرى في تدوين الوثائق وتسجيل الأفكار والآراء. وكما تزامن انتشار الخط الكوفي مع انتشار الإسلام، كان من الطبيعي أن يصل في البلدان العالمية المختلفة مع وصول الإسلام فيها، فكثر استخدامه وتعدد أغراض كتابته، وتفننت أنواعه وتشعبت طريقة كتابته. واستخدم في كتابة المصاحف وزخرفة جدران المساجد والقصور، وفي الكتابة على أواني النحاس والخزف، وعلى النقود وغيرها من الآثار الإسلامية، حتى أصبحت للخط الكوفي مكانة رفيعة وحظ كبير من الديوع والانتشار.

وليس من المستبعد أن ينتشر الخط العربي في البلدان العربية خاصة وفي خارجها عامة في الوقت الذي ازدهرت فيه مدينة الكوفة، وأصبحت مركزاً علمياً للعديد من الكتاب والخطاطين والباحثين والعلماء، فاشتغلوا بعلوم النحو والصرف والأدب واللغة، كما ظهرت فيها مذاهب عديدة خاصة بمختلف العلوم والفنون، فأراد الكتاب والخطاطون من الكوفة أن يكون لهم خط خاص يتميز به عن غيره من الخطوط، فأدخلوا عليه من التحسينات، وهكذا ظهر للكوفة مذهبها في الكتابة.

يقول إبراهيم جمعة:

<sup>١</sup> إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، دار الفكر العربي، ص: ٢٦.

<sup>٢</sup> Siddiqui, Atiq R. (1990). *The Story of Islamic Calligraphy*. Delhi: Sarita Book House, p. 9.

"ويرجح أن يكون انتشار الخط العربي من شبه الجزيرة إلى خارجها قد تم في عصر ازدهار الكوفة، لإنشغال العرب في عصر الفتح الأعظم بالحرب وسياسة الدولة الجديدة، واكتفائهم في التدوين في أوائل الفتوحات بلغات البلاد المفتوحة وخطوطها، فلما ألقى العرب السلاح بعد موجات الفتح العنيفة، واشتغلوا في الكوفة بعلوم النحو والأدب والفقه والدين، ظهر للكوفة مذهبها في الكتابة، لأنها لم تكن لتقبل وهي تنافس البصرة أن لا يكون لها في الكتابة أسلوبها الخاص".<sup>١</sup>

لقد بدأ الخط الكوفي في أول الأمر بداية متواضعة، لا يوحي بالإجاده والإتقان، بل كان خطًا بسيطًا كغيره من الخطوط المستخدمة آنذاك لأغراض مختلفة. ولكن عندما تناوله الفنانون المسلمين وبذلوا قصارى جهودهم في سبيل تحسين حروفه وتهذيب قواعده وتنوع أقلامه، بدأ هذا الخط يتتحول على أيديهم إلى أروع الخطوط العربية والأجنبية وأجملها، كما خرج على الطريقة المألوفة وأخذ شكلا رائعا ومظهراً متميزاً. وبالتالي، أصبحت حروفه المستديرة والمختلفة كأنها تنتمي عن الحركة في تكوينها وتمثل مظهرا هندسياً ترابطاً فيه الحروف بعضها مع بعض. وبذلك صار هذا الخط فناً جميلاً رائعاً قائماً بذاته، وينطق بلسان حاله ببراعة الفنانين المسلمين ومهارة الخطاطين المتميزين، ويتحدى الحروف الأجنبية الأخرى والفنون المتشابهة بخصائصه التي تمثل روح الفن العربي وسماته التبليدة، وبدأت حروفه تتلألأً بالأيات القرآنية والنصوص الدينية، وتزيّن واجهات المساجد والقباب والماذن وجدران القصور الشامخة والمباني الفخمة، حتى لا يكاد يوجد مسجد أو مئذنة أو مدرسة تخلو من زخارف هذا الخط في العصر العباسي.

هذا، وبالإضافة إلى ذلك كان النساخون والخطاطون يزخرفون به المصاحف وعنوانين السور، كما يزيّنون به بداية المصاحف ونهايتها تزييناً ينمّ عن خصائصه الهندسية من مربعات ومستويات وصور مقرنصات نازلة وطالعة مما يزيد جمال الخط جمالاً أحّذا.<sup>٢</sup>

وعلى هذا فإن الخط العربي لا يعتبر خطًا بسيطًا يستعمله الخطاطون والكتاب فحسب، وإنما هو أكثر من ذلك بكثير، فهو فن جميل وهندسية وزخرفة ورقش وما إلى ذلك من الفنون الأخرى، يستعمله الخطاطون والفنانون كغيرهم من الفنانين والمتعلعين من الفنون الجميلة، ومن أجل ذلك لا يعتبر من يتقن هذا الخط خطاطاً بارعاً بل هو يعتبر أيضاً الفنان المتميز، لأنه لم يعد يقتصر على الخطاطين، بل يرع فيه النحاتون على الرخام أيضاً والمزخرفون على الجدران وغيرها.

وتتميز حروف الخط الكوفي عن غيرها من الحروف العربية بالمؤشر الهندسي، فهي أفضل أنواع الحروف للفن والزخرفة، وهذا ما دعا غوستاف لوبيون في كتابه "حضارة العرب" لأن يدون أفكاره:

<sup>١</sup> إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، دار الفكر العربي، ٢٠٠٢، ص: ٢٦.

<sup>٢</sup> أحمد شوحان، رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١م، ص: ٥٠.

"وللخط العربي شأن كبير في الزخرفة، ولا غرو فهو ذو انسجام عجيب مع النقوش العربية، ولم يستعمل في الزخرفة حتى القرن التاسع من الميلاد، غير الخط الكوفي ومشتقاته كالقرمطي والكوفي القائم الزوايا".<sup>١</sup>

لقد تطور الخط الكوفي منذ انتشاره من مدينة الكوفة وحق العصر العباسي تطورا ملمسا، وأخذ أشكالا جديدة وأنواعا مختلفة خلال هذه الفترة الطويلة. وفي كل مرحلة من مراحل تطوره نجد الخطاطين والمزخرفين يمارسون الكتابة بالخط الكوفي ويقضون ساعات في سبيل إجاده الخط وتحسينه حتى تمكنا بعد ممارسة جادة من الكشف عن رموزه وأسراره والانتفاع بخصائصه الزخرفية، كما أحاطوا الخطوط الكوفية بنماذج رائعة من الزخارف النباتية.

يقول عادل الألوسي:

"ويرى بعض الباحثين أنه خط جاف، قليل المرونة، ولكنه جميل الحركة، يميل إلى التناسق والاستقامة.. ويبلغ هذا الخط في الكوفة مبلغا طيبا من الجودة والإتقان والابتكار، خاصة في زمن الإمام علي كرم الله وجهه، إذ ظهرت منه أنواع، كالكوفي التذكاري، والكوفي اللين، وكوفي المصاحف. وقد توجهت العناية في إجادته ببغداد في العصر العباسي حيث اتسق نحو الإجاده في الرسم وأدخلت عليه ابتكارات وتحسينات متاغمة مع الزخرفة المتداخلة معه والمحيطة به: الهندسية منها والنباتية، حتى أصبح الخط الكوفي عنصرا زخرفيا يدل على مهارة الإبداع والابتكار".<sup>٢</sup>

#### أنواع الخط الكوفي:

لقد مر الخط الكوفي على مر العصور بعدة مراحل زمنية. وإبان هذه المراحل الزمنية، أدخلت عليه الكثير من التحسينات والابتكارات، فتطور شكله تطورا ملمسا، حتى بلغ أوج ازدهاره في العصر العباسي، وأصبح فنا من الفنون الإسلامية الجميلة التي يفتخر بها المسلمون في جميع أنحاء العالم. وللسير في هذا النهج كان من الطبيعي أن تتعدد أنواع هذا الخط الأصيل من خلال ابتكار أساليب خطية جديدة، فتشعبت خطوطه وتنوعت ألقامه وتعددت أشكاله وكثرت أنواعه. وقد جلبه المسلمون معهم إلى البلدان التي فتحوها مما ساعد على انتشاره وازدهاره.

وقد ذكر إبراهيم جمعة نوعين من الخط الكوفي، وقد بقي كل منهما في الكوفة إلى فترة طويلة، فشاع استخدام النوع الأول منها لأغراض مختلفة مثل الكتابة على المواد الصلبة كالأحجار والأخشاب، ويعرف هذا

<sup>١</sup> غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص: ٥٥٠.

<sup>٢</sup> عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط١، القاهرة ٢٠٠٨م، ص: ٤٢.

النوع بالخط الكوفي التذكاري اليابس. أما النوع الثاني فقد استعمل في كتابة المصاحف، ويعرف بالخط الكوفي المصحفي. ويعتمد هذا التقسيم على أساس الأغراض والمستخدامات.

### ١. الخط الكوفي التذكاري اليابس:

استخدم هذا الخط للتسجيل على المواد الصلبة مثل الأحجار والأخشاب لإثبات الآيات القرآنية والعبارات الدعائية، وتاريخ الوفيات وذكر المؤسسين للآثار على اختلاف أنواعها. وهذا الخط لا يقوى عليه كل إنسان ولا تتطلبه إلا المناسبات الجليلة، إلا أنه يثير شغف رجال الفن الإسلامي بجماليه ورونقه، ويستوقف القارئ لصعوبة قراءته، بسبب خلوه من النقط تارة، وترتبط حروفه تارة أخرى، والإسراف في زخرفته تارة ثالثة.<sup>١</sup>

### ٢. الخط الكوفي المصحفي:

هذا النوع من الخط الكوفي قد بقي معروفاً باسمه حتى نهاية القرن الثالث الهجري، وهو يجمع بين الجفاف والليونة في مزيج رائع بينهما، إلا أنه أقرب إلى الثقل، ولم يكن ليقوى عليه إلا قلة من الناس، ويتصف بالرصانة والجلال. وقد استعمل في كتابة المصاحف الكبرى، وظل الخط المفضل لها على طول القرون الثلاثة الهجرية الأولى حتى حل محله خط النسخ.<sup>٢</sup>

وبالإضافة إلى هذين النوعين من الخط الكوفي، توجد له أيضاً أنواع أخرى تختلف في شكلها وقواعدها وأسلوب كتابتها. وقد حددتها الخطاطون والأدباء في خمسة أنواع رئيسية شهيرة تعتمد على أساس التقسيم التقليدي للخط الكوفي، وهو تقسيم يقوم على الوضوح في الفروق الشكلية المجردة والزخرفية، بالدرجة الأولى، بين أنواع الخط الكوفي، وعلى الاستخدام الفني أو الوظيفة الجمالية المطلقة لهذه الأنواع.<sup>٣</sup> وهي كما يلي:

#### ١. الكوفي البسيط:

هو الكوفي القديم أو الكوفي البدائي كما سماه بعض الباحثين. فهو نوع بسيط للخط الكوفي، لا يتصف بالزخرفة الكتابية كما لا يلحقه التوريق أو التخمير أو التضفير<sup>٤</sup> أو أية إضافة لغوية، بل يتسم بكونه كتابة بحثة. وقد انتشر هذا الخط في كافة العالم الإسلامي شرقاً وغرباً في القرون الهجرية الأولى بشكل كبير، وبقي كأسلوب مفضل في غرب العالم الإسلامي حتى وقت متأخر.<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، دار الفكر العربي، ص: ٢٨.

<sup>٢</sup> نفس المصدر، ص: ٢٨.

<sup>٣</sup> إدهام محمد حنش، الخط العربي وحدود المصطلح الفني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، الكويت، ٢٠٠٨، ص: ٨٤.

<sup>٤</sup> كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي الخط الكوفي، دار ومكتبة الهلال، ط١، بيروت ١٩٩٩ م، ص: ٦٨.

<sup>٥</sup> إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، دار الفكر العربي، ص: ٤٥.

وастعمل الكوفي البسيط في الكتابة على القبب والجواجم وشواهد القبور<sup>١</sup> فضلاً عن كتابات المصاحف الأولى وكتابات قبة الصخرة. ومن أشهر أمثلته كتابة قبة الصخرة في القدس وكتابة مقىاس النيل في القاهرة، وكتابة الجامع الطولوني ومعظم الكتابات التي تتجلّى على شواهد القبور في الكوفة ومصر وغيرها من بقاع العالم الإسلامي.<sup>٢</sup>

فالخط الكوفي البسيط أقدم أنواعه كلها، استخدمه الخطاطون والكتاب في العصور الإسلامية الأولى لغرض مختلفة، مثل ضرب النقود درهماً وديناراً، وكتابة شواهد القبور، وقد شاع استخدامه في الدولة الأموية والعباسية لضرب النقود، وذلك لأن الخط الكوفي البسيط تتسم بالبساطة وتخلو من الزخارف، كما تكون كتابته واضحة ومستقيمة قليلاً بمقارنتها بالخطوط الأخرى. (انظر شكل رقم ١ و ٢)

## ٢. الكوفي المورق:

وقد يطلق عليه الخط المشجر، وهو من أنواع الخط الكوفي المتتطور الذي تخرج من أطراف حروفه سيقان نباتية ودقيقة محملة بالوريقات ذات أشكال مختلفة، أو بزخارف أخرى ذات فصوص.<sup>٣</sup> وتتصل هذه الأشكال النباتية بكيانات الحروف في البداية أو الوسط أو النهاية، لتشكل معها بأشكال عامة لهذه الحروف.<sup>٤</sup> فهذا النوع الذي تلحّقه زخارف تشبه أوراق الأشجار، لقد بدأت فيه ظاهرة التوريق في مصر في القرن الثاني الهجري، وبلغت في مصر ذروتها، حيث تهيأت لها ظروف ملائمة للنمو والاكتمال، وذلك قبل منتصف القرن الثالث الهجري. وقد انتقلت نزعة التوريق من مصر إلى العالم الإسلامي شرقه وغربه، حيث أتيح لها أن تعلّب دوراً ملمساً في زخرفة الكتابة وتزيينها. وأقدم كتابة مورقة في شرق العالم الإسلامي كتابة في المسجد الجامع في نائين بفارس مؤرخة سنة ٢٨٨ هـ.<sup>٥</sup> ويعدّ التوريق الفاطمي من أجمل أنواع التوريق، الذي قد حصل له النمو والتطور والارتفاع وبلغ ذروته في مصر. (انظر شكل رقم ٣)

## ٣. الكوفي المضرف:

وقد يسمى بالمعقد والمترابط، وهو من الزخارف الكتابية التي تكون فيها الحروف متربطة. وهو خط معقد لكثرة التداخلات فيه مما جعله يشبه الزخرفة إذا بولغ فيه بالتضفير. وقد يصعب فيه تمييز العناصر الخطية من العناصر الزخرفية، وقد تضفر حروف الكلمة الواحدة، كما قد تضفر كلمتان متجاورتان أو أكثر

<sup>١</sup> حمود جلوى المغربي ونایف مشرف حمد البزايع، التجارب المعاصرة في الخط العربي، ط١، الكويت، ١٩٩٧ م، ص: ٤٧.

<sup>٢</sup> إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، دار الفكر العربي، ص: ٤٥.

<sup>٣</sup> عادل الأوليسي، الخط العربي نشأته وتطوره، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨ م، ص: ٤٣.

<sup>٤</sup> إدهام محمد حنش، الخط العربي وحدود المصطلح الفني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، الكويت، ٢٠٠٨ م، ص: ٨٥.

<sup>٥</sup> إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، دار الفكر العربي، ص: ٤٥.

<sup>٦</sup> حمود جلوى المغربي ونایف مشرف حمد البزايع، التجارب المعاصرة في الخط العربي، ط١، الكويت، ١٩٩٧ م، ص: ٤٨.

حتى ينشأ من ذلك إطار جميل من التضفير وشكل جميل متناسق. ويغلب على هذا الخط أنه ظهر في أوائل القرن الخامس الهجري<sup>١</sup>.

وقد عرف هذا الخط في شرق العالم الإسلامي وغيره في وقت واحد تقريباً أي في القرن الخامس الهجري. وتعتبر خطوط قلعة "رادكان" في إيران من أقدم أمثلته، ويرجع تاريخها إلى سنة ٤١١ هـ ومن أشهر أمثلته في مصر، الأشرطة الكتابية المضفرة في ضريح الخلفاء العباسيين بالقاهرة، وقد بلغت هذه الكتابة درجة قصوى من التعقيد<sup>٢</sup>.

وتعد المدرسة المراكشية من أكثر المدارس الكتابية إنتاجاً لهذا النوع وإبداعاً فيه. ومن أشهر أمثلتها هناك كتابات "جامع تازة" المضفرة في المغرب، وجامع "سيدي أبي الحسن" في تلمسان سنة ٦٩٦ هـ، وكتابات "باب شلا" الإهدائية ٧٣٩ هـ، وكتابات مدرسة أبي العنانية أبي العنانية ٧٥٢/٧٥٦ هـ<sup>٣</sup> (انظر شكل رقم ٤)

#### ٤. الكوفي المزهري:

وقد يطلق عليه الكوفي المحمل أو الكوفي ذو الأرضية النباتية، وهو أصعب الخطوط العربية، فيواجهه الخطاطون صعوبة كبيرة بالتعامل معه. تستقر فيه الكتابة فوق أرضية من سيقان النبات اللولبية وأوراقه<sup>٤</sup>. وهذا النوع من الكتابة تلحق به كتابات تستأثر فيها الحروف بالجزء الأسفل من الإفريز وتشغل الزخارف النباتية كل فراغ يتخلّف بعد ذلك<sup>٥</sup>.

لقد بُرِزَ هذا النوع من الخط عندما ازداد الإحساس بجمال العناصر الداخلية والفنون الزخرفية، ويرجع تاريخه إلى القرن الخامس الهجري، أي أثناء فترة ظهور الخط المضفر. وكثيراً ما يستخدم في اللوحات الخطية المخصصة للعرض، كما زينت به جدران القصور والمساجد والمحاريب.

وعلى الرغم من التشابه بين هذا الخط والخط المضفر، إلا أنها توجد هناك بعض الخصائص التي يتميز بها الكوفي المزهري عن الكوفي المضفر. ففي الكوفي المزهري تستقر الكتابة فوق الأرضية النباتية بعكس المضفر والمورق اللذين تخرج التفريعات النباتية من أطراف حروفهما. وتمتاز الأرضية النباتية التي يكتب عليها بأنها من سيقان النباتات اللولبية والمتداخلة وأوراقها المتفرعة منها<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> نفس المصدر، ص: ٤٨.

<sup>٢</sup> كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي الخط الكوفي، ط١، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٩ م، ص: ١٠١.

<sup>٣</sup> إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، دار الفكر العربي، ص: ٤٦.

<sup>٤</sup> نفس المصدر، ص: ٤٥.

<sup>٥</sup> كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي الخط الكوفي، ط١، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٩ م، ص: ٨٩.

<sup>٦</sup> حمود جلوبي المغربي ونایف مشرف حمد البزاوي، التجارب المعاصرة في الخط العربي، ط١، الكويت، ١٩٩٧ م، ص: ٤٩.

فتدخل في هذه الكتابة الزخرفة النباتية لسد الفراغات الواضحة فيما بين الحروف بصورة عامة، وكذلك لمعالجة الفراغات فيما بين الحروف المنتصبة بصورة خاصة، بملئها بأشكال الزخرفة التوريقية على العموم.<sup>١</sup> (انظر شكل رقم ٥)

#### ٥. الكوفي الهندسي:

يعتبر هذا الخط من أسهل أنواع الخط الكوفي، وقد يطلق عليه الخط التربيعي أو المربع لما يمتاز بشدة استقامة حروفه وكثرة زواياه<sup>٢</sup>. فالخط الكوفي الهندسي يتسم بخصائص بارزة تميزه عن غيره من الخطوط، ومن أهمها: الاستقامة الكلية والمطلقة، دون أي انحناء أو تقويس، في أشكال حروفه. ويسبب هذه الاستقامة تغلب عليه الروايا القائمة سواء في تحديد الحروف أو في تحديد الفراغات البنية لها، وهذا ما يجعل شكله العام يبدو عبارة عن خطوط هندسية واحدة العرض أو السمك<sup>٣</sup>.

وقد اختلف في نشأة هذا الخط الهندسي، فهي لا تزال غامضة، ولكن الأرجح أنه أول ما ظهر في العصر الفاطمي حيث استخدموه في الحفر على الخشب والكتابة به على الزجاج والفالخار والتحف المعدنية. فقد أوجحت به فكرة الزخرفة بالطوب المختلف الحرق في العراق وإيران، كما استخدم بكثرة في مساجد إيران والعراق. وأشهر أمثلة هذا النوع من الخط في مصر: مسجد سلطان قلاوون، ومسجد زين الدين يوسف، وتربة أم السلطان الشهيرة بتربة الوالدة صاحبة القبتين السلطانيتين بقرافة السيوطي من أواخر القرن السابع الهجري<sup>٤</sup>.

ولهذا النوع عدة أشكال هندسية في الكتابة مثل الشكل المثلث والمربع والمخمس والمسدس والمسبع والمثمن أو الشكل المستدير وما إلى ذلك من الأشكال الأخرى. وهذا النوع في مجموعه زخرفي بحت، وقد يصعب تشكيل هذا النوع دانياً لحدة زواياه وعدم مرونتها أثناء التشكيل الدائري. كما تتعدد قراءة عباراته لشدة تداخلها واشتراك حروفها.<sup>٥</sup> (انظر شكل رقم ٦)

#### خاتمة البحث:

في ضوء ما مرّ بنا في السطور السابقة، يجدر بنا أن نقول إن الخط العربي هو تراث عربي إسلامي أصيل، بل هو روح الأمة الإسلامية التي بها الإسلام فيها، وحفز المسلمين على تعلم الخط والكتابة لما لها أهمية كبرى في تدوين الأفكار والأراء وتسجيل الأخبار والدواوين وكتابة المصاحف الشريفة والأحاديث الكريمة ووضع

<sup>١</sup> إدهام محمد حنش، الخط العربي وحدود المصطلح الفنـي، ط١، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٨، م، ص: ٨٥.

<sup>٢</sup> حمود جلوبي المغربي ونایف مشرف حمد البزاـع، التجارب المعاصرة في الخط العربي، ط١، الكويت، ١٩٩٧، م، ص: ٤٨.

<sup>٣</sup> إدهام محمد حنش، الخط العربي وحدود المصطلح الفنـي، ط١، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٨، م، ص: ٨٦.

<sup>٤</sup> كامل سلمان الجبورـي، موسوعة الخط العربي الكوفي، ط١، بيروـت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٩، م، ص: ١٣٠.

<sup>٥</sup> إبراهيم جمعـة، دراسة في تطور الكتابات الكوفـية، دار الفكر العربي، ص: ٤٦.

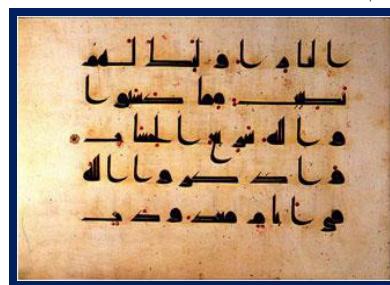
الكتب والمخطوطات وما إلى ذلك من الأغراض والمقاصد. وهكذا، فإن الخط العربي قد تنوّع أقلامه وكثُرت أنواعه في هذين القرنين. ومن أقدم هذه الأنواع الخط الكوفي الذي نشأ أولاً في الحجاز واستخدم على شكلين، وهما الشكل المقوّر والشكل المبسوط. ويسمى الشكل المقوّر باللين وبالنسخي، وهو خط كثُر استعماله في المراسلات والكتابات الاعتيادية والرقاع. أما الشكل المبسوط، وهو ما يسمى باليابس، فقد استخدم في معظم الأحيان في كتابة المصاحف الكبيرة وفي النقوش على المحاريب وأبواب المساجد والمعابد وجدران المباني الواسعة. وبالإضافة إلى ذلك، توجد هناك أنواع عديدة للكخط الكوفي منها ما نسب إلى المدن التي نشأ بها، مثل: المكي والمدني والأندلسي والقريرواني والعراقي والشامي والمصري وغيرها. وقد اتّخذت هذه الأنواع في كل بيته طابعاً متميّزاً واصطبغت بالأثر المحلي، فالخط الكوفي الأندلسي يختلف عن الخط الكوفي القريرواني، وهذا يختلفان عن الخط الكوفي في العراق والشام.

<sup>١</sup>(شكل رقم ١) المصدر: احتاجك يبه، (٢٠١٠)، "الخط الكوفي البسيط"



(كتابات كوفية بسيطة منقوشة على أميال (علامات طريق) من عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، وهي مؤرخة سنة ٦٨هـ)

<sup>٢</sup>شكل رقم ٢) المصدر: فلاش كارد، "الخط الكوفي" ،



<sup>١</sup> <http://www.hawaalive.com/women/a7t-t85412.html>

<sup>٢</sup> <https://www.studyblue.com/notes/note/n/art-history-i-final/deck/4707033>

(بعض آيات من سورة البقرة مكتوبة بالخط الكوفي البسيط. الآية رقم ٢٠٣-٢٠٤)

(شكل رقم ٣) المصدر: احتاجك ييه، (٢٠١٠)، "الخط الكوفي المورق"<sup>١</sup>



("وقفوهم إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ" كتبت هذه الآية بالخط الكوفي المورق)

(شكل رقم ٤) المصدر: نبيه الرفاعي، (٢٠٠٧)، "المفرد"<sup>٢</sup>



("وَلَا غَالِبَ إِلَّا اللَّهُ" بالخط الكوفي المضفر)

(شكل رقم ٥) المصدر: احتاجك ييه، (٢٠١٠)، "الخط الكوفي المزهر"<sup>٣</sup>



("ربنا عليك توكلنا" بالخط الكوفي المزهر)

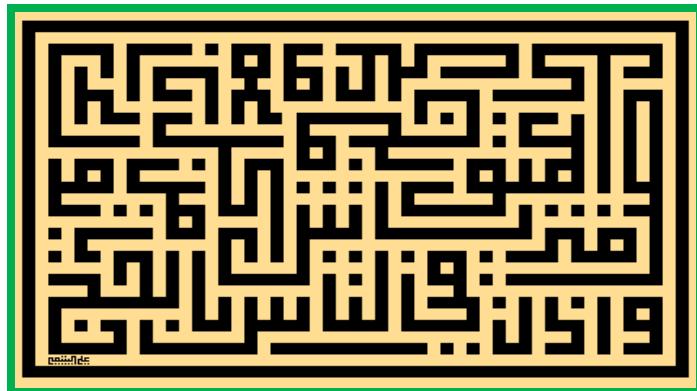
(شكل رقم ٦) المصدر: ستارتايمز، (٢٠١٣)، "الخط العربي..."<sup>٤</sup>

<sup>1</sup> <http://www.hawaalive.com/women/a7t-t85413.html>

<sup>2</sup> <http://www.mobda3.net/vb/showthread.php?t=243>

<sup>3</sup> <http://www.hawaalive.com/women/a7t-t85414.html>

<sup>4</sup> <http://www.startimes.com/f.aspx?t=33495172>



(”وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق“ بالخط الكوفي الهندي)

### المصادر والمراجع

١. جمعة، إبراهيم، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، (لا. م)، دار الفكر العربي، (لا. ت).
٢. شوحان، أحمد، رحلة الخط العربي من المسند... إلى الحديث، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١ م.
٣. لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢ م.
٤. الألوسي، عادل، الخط العربي نشأته وتطوره،، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط١، القاهرة ٢٠٠٨ م.
٥. حنش، إدhem محمد، الخط العربي وحدود المصطلح الفنى، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط١، الكويت، ٢٠٠٨ م.
٦. الجبوري، كامل سلمان، موسوعة الخط العربي الخط الكوفي، دار ومكتبة الهلال، ط١، بيروت ١٩٩٩ م.
٧. المغربي، حمود جلوى، و: الهازاع، نايف مشرف، التجارب المعاصرة في الخط العربي، ط١، الكويت، (لا. ن)، ١٩٩٧ م.



## الصحافة في عصر الحديث - نظرة على الصحافة الإلكترونية

د/ نجم الدين<sup>١</sup>

### الملخص

الجريدة أو الصحيفة هي نشرة تصدر نسخة متعددة، وهي ذات فائدة عامة ولها علاقة بالأحداث الجارية وتتضمن معلومات وتنشر آراء . فقد تكون الصحافة من أكبر الوسائل لتسجيل الحوادث والواقع، وبذلك يمكنها أن تمثل مرآة العصر. ولذا أن لصحافة دور كبير والتأثير الكبير على مجتمعنا. منذ ثمانينات القرن الماضي شهد مجال الاتصال الإعلامي تحولات كبرى ناجمة بالخصوص عن تطور غير مسبوق في التكنولوجيا والتقنيات المعتمدة التي فرضت الخبر المباشر وسرعة البث والتلقي. وبذلك اضطرت كل الوسائل الإعلامية والإتصالية إلى إعادة النظر في أساليبها في نهاية القرن التاسع عشر والذي مكن من نقل الخبر في وقته الحقيقي.

ومع تكامل مجالات الاتصال المؤسسي والإعلام تعقدت أكثر مهمة الصحفي الذي وجد نفسه أمام الاتصال الشامل يمطر عليه البلاغات والملفات الإعلامية والمؤثرات الصحفية ولقاءات العمل والبعثات الصحفية..الشيء الذي خلق جوا يتميز بتضاعف ومultiplication مضاعفة الأخبار ، إلى أن وجد الصحفي نفسه يواجه أشكالاً متعددة ومتعددة من السطحية والتبسيط للأخبار. إن هذه التحولات قلصت الحدود بين الخطاب الإعلامي والخطاب الدعائي و مختلف مجالات الاتصال. في هذا الإطار العام انقلب نظام عمل الصحافة المكتوبة رأساً على عقب ومن أهم التحولات في هذا الصدد هناك استعمال المعلوماتية وشبكة الإنترنت لإصدار نشرات إلكترونية تمكن القارئ من اختيار ما يهمه والتواصل مع القراء ، بل والاتصال بكاتب المقال. هذه التطورات لن ت redund the المكتوبة ، لكن تسمح لها بمراقبة تطور الوسائل السمعية – البصرية وتمكنها إمكانية التفاعلية والدقة في اختيار المنتوج الصحفي.

شكلت انطلاقة الجرائد الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية "الإنترنت" ظاهرة إعلامية جديدة، ارتبطت بشورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فأصبح المنتج الإعلامي تفاعلياً ما يكون ملكاً للجميع، وفي متناول الجميع. وصار المحتوى الإعلامي أكثر انتشاراً وسرعة في الوصول إلى أكبر عدد من القراء، وبذلك تكون الصحافة الإلكترونية قد أنارت آفاقاً عديدة، وفتحت أبواباً مغلقة، وأصبحت أسهل وأقرب للمواطن.<sup>٢</sup> لا شك أن الصحافة الإلكترونية أحدثت تطوراً كبيراً في عالم الإعلام من خلال نشر ومتابعة الأخبار على مدار الساعة، فاستخدمت كل إمكانات الرسالة الإعلامية، وخلقت علاقة حميمية بينها وبين القارئ الذي يستطيع

<sup>١</sup> أستاذ مساعد ورئيس قسم العربية. كلية دار الأيتام المسلمين - بوينس  
<sup>٢</sup> من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <http://ar.wikipedia.org/wiki>. الصحافة الإلكترونية

المشاركة بكتابه الخبر وإبداء الرأي، كما استطاعت استقطاب العديد من الشرائح خاصة أنها سريعة التأثير والوصول إلى القارئ.<sup>١</sup>

ولو حاولنا وضع تعريف محدد للصحافة الإلكترونية فيمكننا القول أنهنوع من الاتصال بين البشر يتم عبر الفضاء الإلكتروني الإنترنيت وشبكات المعلومات والاتصالات الأخرى تستخدم فيه فنون وأدبيات ومهارات العمل في الصحافة المطبوعة مضافاً إليها مهارات وأدبيات تقنيات المعلومات التي تناسب استخدام الفضاء الإلكتروني كوسيل ط أو وسيلة اتصال بما في ذلك استخدام النص والصوت والصورة والمستويات المختلفة من التفاعل مع المحتلقي، لاستقصاء الأنباء الآنية وغير الآنية ومعالجتها وتحليلها ونشرها على الجماهير عبر الفضاء الإلكتروني بسرعة.<sup>٢</sup>

### نشأة الصحافة الإلكترونية:

نشأت الصحافة الإلكترونية في منتصف التسعينيات، وشكلت ظاهرة اعلامية جديدة مرتبطة بثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وأكثر انتشاراً وسرعة في الوصول إلى أكبر عدد ممكن من القراء، وبذلك تكون الصحافة الإلكترونية قد فتحت آفاقاً عديدة وأصبحت أسهل وأقرب لتناول المواطن.<sup>٣</sup> مرت الصحافة الحديثة بعدة مراحل في استخدام وسائل التكنولوجيا الجديدة، حيث بدأت الصحف منذ السبعينيات في استخدام أنظمة الجمع الإلكتروني.

والصحافة الإلكترونية نمت وكثيراً اعتماد عليها حسب اتساع ظاهرة الإنترنيت وتوافرها إلى عدد كثير من المستخدمين، والصحافة الإلكترونية انتشرت في البلدان الغنية قبل الدول الأخرى وفي الولايات المتحدة يشترك ٧٠٪ من سكانها بالشبكة العنكبوتية بصفة خاصة. وفي الدول العربية وجدت صحفات الكترونية عربية، وجهزت أغلب الصحف العربية اليومية موقع لها على الشبكة وفي ضمنها مواقع ذات أهمية معلوماتية شاملة كموقع صحف الأهرام والبيان والحياة والشرق الأوسط وغيرها من الجرائد العربية، غير أن معظمها لا تفي بخدمات الصحف الإلكترونية الكاملة بسبب اكتفاءها إما بنشر مضامينها المبثوثة في الطبعة الورقية أو أنها تكتفي بوضع نصوص مختارة من هذه الطبعة على موقعها الإلكتروني دون أن تؤسس اقساماً أو ادارات تحرير مستقلة للنسخة الإلكترونية كما فعلت صحف عالمية عديدة.

ثم توالي بعد ذلك إنشاء الصحف الإلكترونية في العالم، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي عام ١٩٩٢ أنشئت "شيكاجو أونلاين" أول صحيفة إلكترونية على شبكة أميركا أونلاين. وبحسب رأي أكاديميين،

<sup>١</sup>- عادل الأنباري "الصحافة الإلكترونية فنون التحرير الصحفي على الإنترنيت" دار البشير للثقافة والعلوم ، ٢٠٠٨ م

<sup>٢</sup>- الجورنالجي (موقع كل الجنالجية في مصر) - نقرأ عن: جمال غيطاس في المؤتمر الرابع للصحفيين، العنوان: الصحافة الإلكترونية، التاريخ، .: Sep 23

2005http://www.khayma.com/librarians/archive/lis/199.htm

<sup>٣</sup>- زيد متير سليمان "الصحافة الإلكترونية" دارأسامة للنشر والتوزيع، الأردن ، عمان ٢٠٠٨ ، ص ١٠

فإنّ موقع الصحافة الإلكترونيّة الأولى على (الإنترنت) هو موقع "باليو ألتوكالن" (Palo Alto Online)، الذي انطلق عام ١٩٩٣ في كلية الصحافة والاتصال الجماهيري في جامعة فلوريدا، ثم احتج به موقع آخر في ١٩ يناير ١٩٩٤ هو ألتوكالن ويكيبيدي؛ لتصبح الصحيفة الأولى التي تنشر بانتظام على الشبكة.<sup>١</sup>

وبدأت الصحافة عبر (الإنترنت) تتطور في الولايات المتحدة والغرب، خاصةً مع توفير خدمة (الإنترنت) المجانية في تلك الدول، وبدأت غالبية الصحف الأمريكية تتجه إلى النشر عبر (الإنترنت) خلال عامي ١٩٩٤-١٩٩٥، وزاد عدد الصحف اليومية الأمريكية التي أنشأت موقع إلكترونيّة من ٦٠ صحيفّة نهاية عام ١٩٩٤ إلى ١١٥ صحيفّة عام ١٩٩٥، ثم إلى ٣٦٨ في منتصف عام ١٩٩٦. وتُعدّ صحيفّة "واشنطن بوست" الأمريكية هي أول صحيفّة تُنفيذ مشروعًا إلكترونيًّا صحفياً على (الإنترنت)، كافَ تنفيذه عشرات الملايين من الدولارات، وكان هذا المشروع بدايةً لظهور جيل جديد من الصحف الإلكترونيّة، التي تخلّت للمرة الأولى في تاريخها عن الورق والأخبار، والنظام التقليدي للتحرير والقراءة؛ لتسخدم جهاز الحاسوب وإمكاناته الواسعة في التوزيع عبر دول العالم.<sup>٢</sup>

ويُعتبر مشروع "واشنطن بوست" هو استجابة للتطورات المتسارعة في ربط تقنية الحاسوب مع تقنيات المعلومات، وظهور نظم وسائل الإعلام المتعدد (Multi media)، والتنامي لاستخدام شبكة (الإنترنت). واتساع حجم المشتركين فيها داخل الولايات المتحدة، ودول أخرى عديدة، خصوصاً في الغرب، والبدء قبل ذلك بتأسيس موقع خاصّة للمعلومات، ومنها معلومات إخباريّة متخصصة، مثل: الرياضة والعلوم، وغير ذلك.<sup>٣</sup> وعرباً أصدرت أول صحيفّة عربية نسختها الإلكترونيّة منذ أكثر من أربع عشرة سنة، وهي صحيفّة "الشرق الأوسط"، اليومية العربية بأنّها أول صحيفّة عربية إلكترونيّة عندما نشرت هذه الجريدة صفحاتها الإلكترونيّة في أول مرة عبر شبكة الإنترنت في ٩ سبتمبر ١٩٩٥، أعلنت فيه أنه بدءاً من ٩ أيلول ١٩٩٥ ستكون موادها الصحافة اليومية متوفّرة إلكترونيّاً للقراء على شكل صور عبر شبكة الإنترنت. وتزامن معها إصدار صحيفّة "النهار اللبنانيّة"، حينما أصدر طبعة إلكترونيّة يوميّة خاصةً، وبعدّها تقدّمت الواقع التي تحمل أسماء صحيف عربية كثيرة.<sup>٤</sup> فيمكننا القول أنّ الصحف العربيّة القديمة المتوفّرة على إنترنت لم تتوافر فيها شروط الصحيف الإلكترونيّة.

<sup>١</sup>- حسين فاروق "الصحافة الإلكترونيّة: إعلام الجيل" مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية ، المملكة المتحدة، لندن. الأحد ٢٥/١١/٢٠١٢

<sup>٢</sup>- موقع يوم الجديد، "الصحافة الإلكترونيّة وملامح الإعلام الجديد" ، متوافر على <http://yomgedid.kenanaonline.com/topics/57197/posts/108683>

<sup>٣</sup>- الأكاديمية المفتوحة للصحافة العربية، "الخبر الإلكتروني" ، متوافر على <http://pressacademy.net/modules/news/article.php?storyid=163>

<sup>٤</sup>- جريدة "الشرق الأوسط" هي جريدة عربية أسسها الأخوان هشام ومحمد على حافظ، وصدر العدد الأول منها في ٤ يوليو ١٩٨٧ م.

<sup>٥</sup>- شريف درويش اللبناني، تكنولوجيا النشر الصحفي: الاتجاهات الحديثة، ٢٠٠١، الدار المصريّة اللبنانيّة للنشر، القاهرة.

أمام الصحافة العربية في شبكة (الإنترنت)، فقد كانت حتى عام ٢٠٠٠ قاصرةً في استخدام أساليب وتقنيات النشر الإلكتروني. ومن أشهر الصحف الإلكترونية في مصر: الشروق، المصري اليوم، اليوم السابع، الدستور. وهناك أيضًا عدّ من الواقع الإلكتروني الإخباريّة التي ليس لها نسخة ورقية، مثل: إسلام أون لاين، المصريون، إيلاف.

سرعة انتشار المعلومات ووصولها إلى أكبر شريحة وفي أوسع مجتمع محلي ودولي ووقت وأقل تكاليف. وسرعة تحديد وتعديل الخبر الإلكتروني، وسرعة الاستجابة للقارئ وسهولة مناقشة الخبر بين الكاتب والقارئ.<sup>١</sup>

### النشر المكتبي والصحافة العربية

النشر المكتبي (Desktop Publishing) تعبير استخدم في مجال الصحافة اليومية للدلالة على استعمال الكمبيوتر وبرامج الكمبيوتر لإنتاج الصحيفة. لهذا الاستعمال تأثيرات سواء على مستوى وتيرة العمل في الجريدة وإنتجها أو على مستوى تخزين المواد المنشورة في الجريدة بهدف إعادة استخدامها عند الحاجة كمصدر من مصادر المعلومات الأولية. قبل الدخول في التفاصيل، لابد من توضيح الفرق بين استخدام الكمبيوتر كطابعة للمادة الصحفية واستخدامه كمنتج للمادة الصحفية. في الحالة الأولى يقوم المستخدم بطبع النص الصناعي وبذلك فإن الكمبيوتر ينفذ دور الطابعة (Type Writer) فقط. أما في الحالة الثانية فإن الكمبيوتر بالإضافة إلى دور الطابعة ينفذ عمليات لها علاقة بتصميم وإخراج الصحيفة وتوزيع المواد الصحفية من نصوص وصور ورسومات داخل الصفحات. أما ثالث استخدام تكنولوجيا النشر المكتبي على الصحف العربية يمكن ملاحظته في أمرين. الأمر الأول هو التأثير على مستوى أسلوب العمل داخل الصحيفة، أما الأمر الثاني فهو التأثير على مستوى تخزين النصوص المنشورة وإسترجاعها.<sup>٢</sup>

### أول صحيفة الكترونية عربية:

وباءً من سبتمبر عام ١٩٩٥ سعت الصحف العربية إلى الإفاده من شبكة الانترنت في نشر نسخ الكترونية من إصداراتها المطبوعة حيث ظهرت النسخة الالكترونية من صحيفة الشرق الأوسط تلتها صحيفةنهار اللبنانيّة عام ١٩٩٦، ثم توالي صدور النسخ الالكترونية لتبلغ في منتصف ٢٠٠٠م، ٢٦ نسخة، وتعد صحيفة الجزيرة أول صحيفة سعودية تنشر نسخة الكترونية من إصداراتها المطبوع عام ١٩٩٧. دخول

<sup>١</sup>- المرجع السابق، ص ١٠.

<sup>٢</sup>- بشير، عماد (١٩٩٧). توسيع الاستفادة من الصحف العربية في إنترنت يتطلب التوصل إلى مقاييس موحدة لا تتعدى المطلوب لتصفح الشبكة. الحياة، ١٣، ١٢٤٩٤، ١٩٩٧/٠٥/١٥.

الكمبيوتر ونظام النشر المكتبي الى الصحيفة اليومية حمل الكثير من التغيير في سير العمل داخل غرف التحرير وغرف الانتاج والتصميم والاخراج. ويمكن تلخيص أهم النتائج بالآتي :

أ - الاعتماد على الكمبيوتر كوسيلة نشر إلكترونية أثر على طريقة تلق الأخبار اليومية من وكالات الأنباء التي تشتهر بها الصحيفة. وكالات الأنباء مثل رويتر.. وغيرها من وكالات الأنباء في مختلف اللغات تستقبل داخل الجريدة التي تستخدم الكمبيوتر بواسطة وسيط أنباء،

ب - الاعتماد على الكمبيوتر كوسيلة إلكترونية أثر على طريقة تصميم وإخراج الصحيفة. تصميم الصفحات وإخراجها يتم بشكل آلي وعلى الشاشة مباشرة وليس يدوياً كما هو الحال مع الصحف التي تتبع الأسلوب التقليدي في إنتاج الصحيفة.

ج - الاعتماد على الكمبيوتر كوسيلة نشر الكترونية أثر على طريقة استقبال الصور من الوكالات المتخصصة. فالصور يستقبلها وسيط صور يسمح للمحرر بالبحث عن صور معينة ويسمح له أيضاً باختيار الصورة المناسبة لنصه الصحفي. بعد اختيار الصورة يمكن للمحرر أن يحولها بواسطة الشبكة الداخلية إلى مصمم الصفحة أو إعطاء المصمم رقم الصورة المطلوبة. بعدها يقوم المصمم بجلب الصورة إلكترونياً ويضعها في مكانها المحدد داخل الصفحة.

د - الاعتماد على الكمبيوتر كوسيلة نشر الكترونية أثر على طريقة النشر الدولي للصحيفة. الإنتاج الكلي للصحيفة أي الصفحات كلها ترسل إلى موقع الطباعة في البلدان التي تطبع أو تصدر فيها الصحيفة بواسطة خط هاتفي ISDN وغيرها من الخطوط الهاتفية أو بواسطة قنوات الأقمار الصناعية من مكان إنتاج الصحيفة.

### **النشر الإلكتروني والصحافة العربية- العالم العربي وتقنيات المعلومات**

الدول العربية أملت بالإمكانيات الكبيرة التي تجود بها تكنولوجيا المعلومات والاتصال في ترقى وتنمية العالم المتقدم، وبذلت مجهوداتها أن تحلق بركب الحضارة العالمية، وتلعب بأدوار في تكنولوجيا العصر، ولكن تصل إلى تخفيف الفجوة بينها وبين الدول المتقدمة، في الاستفادة والاستفادة من تيارات المعلومات لصالح مجتمعها وترفيتها. وهكذا تمكنت الدول العربية دخول واجتياز حدود التقدم التكنولوجي في الاتصالات والمعلومات وذلك بما تملكه من رصيد حضاري وإنساني، وتم إنشاء وبناء أول قمر صناعي لها عام ١٩٤٨ وتتابعت الدول العربية أكثرها في إنشاء أقمار صناعية تلوا على التلو وحق اليوم وللآن الزاهر.

١- بشير، عماد (٢٠٠١). الصحافة العربية اليومية في العصر الرقمي. ندوة مجلة العربي "الثقافة العربية وأفاق النشر الإلكتروني" ، الكويت: ٢٢-٢١ نيسان (أبريل).

أما النشر الإلكتروني فيستدعي التوفير الإلكتروني لنصوص وصور الصحيفة كمصدر معلومات فوري من خلال شبكة إنترنت أو على أقراص مدمجة أو من خلال الشبكة الداخلية للصحيفة، ويستطيع المستفيد الوصول إلى النصوص من خلال برامج خاصة بالبحث والاسترجاع. وعلى رغم الفرق بين هاتين التقنيتين، غالباً ما يمزج المتخصصون بين المصطلحين عند تناولهم مواضيع تتعلق بتكنولوجيا النشر ويوحدونهما في مصطلح واحد هو النشر المكتبي الإلكتروني (DTEP).<sup>١</sup>

### الخاتمة

نتيجة استخدام تكنولوجيا النشر المكتبي في إنتاج النصوص وتصميم الصفحات طرقت الصحافة العربية باباً آخر من أبواب تكنولوجيا المعلومات حققت فيه تقدماً لا يأس به على مستوى النشر الإلكتروني. وأصبحت الصحف متوافرة على إنترنت بأشكال عدّة وتمكنّت من حزن النصوص والصور على وسائط تخزين إلكترونية بما فيها الأقراص المدمجة مع قابلية البحث والاسترجاع الآلي الفوري لها.

### المصادر والمراجع

- الإعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة- صادق، عباس مصطفى مجلة الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك (٢٠٠٧)،
- الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية- نسيم الخوري، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحتات الدكتوراه ، (بيروت: ٢٠٠٥)
- إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك المستقبلاً لعربي - السيد احمد مصطفى عمر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٣
- الإعلام في الوطن العربي في ظل إرهاب العولمة - د. مصطفى رجب - جامعة سوهاج مصر ، الوراغ للمشروع والتوزيع، الطبعة الأولى - ٢٠٠٨
- الإعلام والمجتمع في عالم متغير - د. حين حماد مكاوي(الأستاذ الإذاعية والتليفزيون - وكيل كلية الإعلام - جامعة القاهرة، الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٢
- الإعلام والموضوعية في القرن الحادي والعشرين- رؤية تحليلية نقدية - الدكتور محمد منير حجاب، دار الفجر للنشر والتوزيع- القاهرة، ٢٠١٠
- أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة - د. محمد الحمزاوي ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٨
- الإنترن特 والصحافة الإلكترونية - "رؤيه مستقبلية"- د ماجد سالم تريان، دار المصرية اللبنانية ٢٠٠٨



<sup>١</sup>- صادق، عباس مصطفى (٢٠٠٧). الإعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة. مجلة الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، ٤.

## حركة أبولو: الوحدة في التنوع

د/ منصور أمين. ك

المُلْكُوكُ

حركة أبولو خطوة جريئة ممدودة من قبل جماعة من الأدباء لتحقيق الأهداف المتنوعة مثل السمو بالشعر العربي وتوجيه جهود الشعراء توجهاً شريفاً، ومناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر وترقية مستوى الشعراء أدبياً واجتماعياً، والدفاع عن كرامتهم ومصالحهم. وفتحت جماعة أبولو باب عضويتها للشعراء من كل الاتجاهات الشعرية، ولم توحد أبولو شعراءها في إطار فني واحد. كما لم يستطع الناقد أن يجمعهم على مبادئ وشروط، ومنهم الرومانطيقيون والرمزيون والكلاسيكيون المحافظون والمعتدلون. وتباحث الورقة عن التنوع الذي يقوم بين أدباء حركة أبولو من حيث ميلهم إلى التقليد والتجدد مع وجودهم.

حركة أبو لو

حركة أبولوجماعة أُسست سنة ١٩٣٢ م في مصر. ومن أعضاءها، الرئيس : أحمد شوقي، نائبان للرئيس: خليل مطران وأحمد محرم، السكرتير: أحمد زكي أبو شادي، الوكيل: إبراهيم ناجي، الأعضاء الممدون: علي محمود طه وصالح جودت وعلي العناني وكامل كيلاني ومحمد عماد ومحمد صادق وسيد إبراهيم وأحمد الشايب وحسن القايطي وحسن كامل الصيرفي ومحمد أبو الوفا وغيرهم.<sup>٢</sup>

وأهم عوامل التي أثرت في تكوين هذه الجمعية الشهيرة، هي انفراط عقد جماعة الديوان بسبب الخلاف بين روادها، وتأثير الشعراء بمذهب خليل مطران الرومانطيقي ووجدوا فيه نموذجاً للتجديد، والتأثير بالشعراء الرومانطيقيين الإنجليزيين لأن معظمهم أجادوا اللغة الإنجليزية، وتأثراً بهم بشعراء المهاجر خاصة بـ شعر جبران خليل جبران، والإحساس بقوّة الشخصية والحرية الفردية. وإن كان تأثير أبوالو في مجال الإبداع الشعري أبرز من تأثير جماعة الديوان التي دعت إلى التجديد على المستوى النظري والنقدi. ولكن نتاج شعراءها لم يرق إلى مستوى الدعوة النظرية لآعلامها.<sup>٣</sup>

"أبولو" .. اسم موافق أم لا؟

لم يكن عباس محمود العقاد أولاً على وفاق مع جمعية أبولو في تسميتها، وحينما كتب في عدد المجلة الأولى لم يكن مشيداً ولا مادحاً، بل كان مفتداً ناقداً، انتقد تسمية الجمعية بهذا الاسم اليوناني 'أبُولُو' واقتصر اسمه 'عطَادٌ' بديلاً عنه، ويقول: "مساهمتي في تحرير العدد الأول من مجلة أبولو ستكون نقداً لهذه التسمية

أ.س.م.ب.ي.س ممباد، ملبرم، كيرلا

قاموس الأدب العربي الحديث، د.حمدي السكوت، الطبعة الثانية، دار الشروق- القاهرة، ١٥٨.

قاموس الأدب العربي الحديث، د. حمدي السكوت، الطبعة الثانية، دار الشروق- القاهرة، ص- ١٥٩

التي لنا مندوحة عنها فيما أعتقد، فقد عرف العرب والكلدانيون من قبلهم ريا للفنون والأداب سموه 'عطارد'، وجعلوا له يوما من أيام الأسبوع وهو يوم الأربعاء، فلو أن المجلة سميت باسمه لكان ذلك أولى من جهات كثيرة، ومنها أن أبولو عند اليونان غير مقصورة على رعاية الشعر والأدب، بل فيه نصيب لرعاية الماشية والزراعة، ومنها أن التسمية الشرقية مألوفة في أدابنا ومنسوبة إلينا. وكذلك أرى أن المجلة التي ترصد لنشر الأدب العربي والشعر العربي لا ينبغي أن يكون اسمها شاهدا على خلو المأثرات من اسم صالح مثل هذه المجلة، أرجو أن يكون بغير هذا الاسم في قدرة حضرات المشاركين في تحريرها.<sup>١</sup>

وردد عليه أحمد زكي أبو شادي، وذكر أن الجمعية استعرضت عدة أسماء للمجلة قبل اختيار اسم أبولو، ولم تنظر إليه كاسم أجنبي، بل كاسم عالمي محبوب، وأنه لا انتقاد للمؤثرات العربية، وأن النقل عن الكلدانيين ليس أفضل من النقل عند الإغريق، ولكن العقاد لم يقنع بما قاله أبو شادي. ويؤكد شوقي ضيف تسمية 'أبولي' بقوله: " وأما غايتها العناية بالشعراء وحياتهم المادية، وأما اسمها وقد استعاروه من الميثولوجيا الإغريقية التي تزعم أن أبولورب الشعر والموسيقى، وكأن هؤلاء الشعراء أرادوا أن يسموا أنفسهم باسم عالي يشير إلى فهم، ولكن أبولورب كل شعر عند الإغريق، لا يفرق في ربوبيته بين شعر ولا بين مذهب فني ، ولعل هذا أول ما يلاحظ على تلك الجماعة، فلم يكن لها هدف شعري ولا مذهب أدبي معين، بل هي جماعة كل شعر مصرى، ويتضح هذا في اختيار رئيسها وأعضائها، ففهم كثير من شعراء المهمة مثل شوقي وخليل مطران وأحمد محرم وغيرهم."<sup>٢</sup>

### الوحدة في التنوع

إذا كان أبولو آلهة كل شعر عند الإغريق، يضم تحت جناحيه جميع طيور الشعر، بكل ألوانها وأصواتها وفنونها المختلفة، فقد بدت جماعة أبولو، تندرج في معنى اسمها فهي جماعة كل شعر مصرى سواء كان تجديدا أو تقليديا أو معتدلا، ويتضح لنا ذلك من خلال اختيار رئيس جماعة أبولو وأعضائها مثل شوقي وخليل مطران وأحمد محرم. وتصف حركة أبولو بأنها غير منتظمة، لأن شعراها غير منظمين أصلا، بل هم مشتتون، وقلما جمعت بين طائفة منهم رابطة فنية صحيحة، بل لكل منهم اتجاهه، وكل منهم طريقه.<sup>٣</sup> وأن أعضاء جماعة أبولو أفادوا من حركة البعث والإحياء التي كان البارودي رائدها، كما أفادوا من حركة الجيل الجديد، وما كان يذيعه طه حسين وهيكيل والعقاد والمازني من آراء جديدة في الأدب والشعر، ثم جاءهم نموذج ثالث من شعراء المهرج.<sup>٤</sup> وهنا يذكر عن بعض أدباء مهمين لجماعة أبولو، ميولهم إلى النزعات المتنوعة.

<sup>١</sup> المدارس الشعرية العربية في العصر الحديث، الرابط: <http://artist.ibda3.org/t845-topic>

<sup>٢</sup> شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، الطبعة السابعة، دار المعارف، ص.-٧٠.

<sup>٣</sup> د. شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف بمصر، ص-٦١.

<sup>٤</sup> أنس داود، التجديد في الشعر المهرج، دار الكاتب العربي القاهرة، ص-٤٣.

### أحمد محرم...الكلاسيكي الحالص

وهو أحد النائبين للرئيس لجماعة أبواب والأديب الفذ الذي تمسك القيم التراثية في أعماله، وشعر أحمد محرم نموذج للشعر الكلاسيكي الحالص الملتم بمقاييس الشعر العربي القديم في اللغة والصياغات والأخيلة. فقد كانت ثقافته ثقافة تراثية. لا نلمع في شعره أي تأثير للثقافة الغربية، وشعره في ديوان "مجد الإسلام" على وجه الخصوص تطغى عليه نبرة تقريرية واضحة. وعلى الرغم من أن أحمد محرم يعد واحداً من أبرز الأصوات التي تمثل التيار التقليدي في الشعر العربي الحديث، وعلى الرغم من إقامته شبه الدائمة في مدينة دمنهور بعيداً عن العاصمة.

ويرى في أعماله الأشعار الوطنية. وقد اعتقد أحمد محرم مبادئ الحزب الوطني وانضم إليه، وقد وظف شعره للتعبير عن مواقفه الوطنية الحارة، فكان يهاجم الإنجليز وأعوانهم. ويهاجم الحكومات المتعاونة معهم، ويعرض بالقصر الخديوي.<sup>١</sup> وهو شاعر فريد في مجال الوطنية والدينية.

### أحمد شوقي....الكلاسيكي المعتمد

وهو الرئيس الأول لجماعة أبواب، وأهم أعلام الأدب العربي الحديث. بلغ أحمد شوقي إلى القمة بالشعر التقليدي الذي يبدأ بأعمال البارودي، فرد إلى الشعر العربي جماله القديم بعد عصر الانحطاط، إلا أنه بالرغم من إقامته في فرنسا أربع سنوات، واتصاله أو إمكان اتصاله بآدابها، ولم يخرج شعره عن الدروب المتوارثة، وظللت الثقافة الشعرية الطاغية عليه هي الثقافة العربية، وذلك بالرغم من أن فرنسا كانت في أواخر القرن التاسع عشر وأيام إقامة شوقي بها تتعج بالمعارك الأدبية، وتتصارع فيها مذاهب الشعر والأدب من رومانتيقية وبرناسية ورمزية وواقعية وفنية. وكان باستطاعة شوقي أن يتفاعل بهذه المذاهب وأن يخرج منها بفلسفة شعرية جديدة يجمع بينها وبين ثقافته العربية الواسعة، فيخرج بشعر إنساني عالي يجمع بين جدة المضمون وروعه الصياغة.<sup>٢</sup>

وتنقل شوقي بين مصر ولänder الغرب فضلاً عما تخلله من سفرات توجه إلى بلدان الشرق، وعلى الأخص تركيا والبلاد العربية . جعلت لشعر شوقي طابعاً خاصاً يتراوح بين القدم والحداثة. ويكون شاعرية شوقي بيّارين: حفاظ على القديم بعراقته وأصالته من جهة، ومن جهة ثانية إقبال على الجديد بما فيه من مغريات. فلقد كان شوقي في ما نظمه محافظاً على أصالة الشعر العربي متمسكاً بعموده حتى جاءت معظم قصائده تأخذ عليها مأخذ لغوي أو فنياً.<sup>٣</sup> وبعد من الشعرا المعتمدين.

<sup>١</sup>قاموس الأدب العربي الحديث، د. حمدي السكوت، الطبعة الثانية ،دار الشروق- القاهرة، ٦٨.

<sup>٢</sup> د. محمد مندور، الشعر المصري بعد شوقي الحلقة الأولى)، مكتبة هضبة مصر ومطبعها، ص-٥.

<sup>٣</sup> فوزي عطوي، أحمد شوقي أمير الشعراء، دار صعب - بيروت، ص-٩٧.

## خليل مطران ....رائد الرومانطيقية

كان خليل مطران رائداً بارزاً من رواد التجديد في الأدب العربي الحديث، وأضاف مدرسة خاصة به باسم "مدرسة مطرانية"، ويجمع أغلب الأديباء على أن خليل مطران يمهد بأرائه وشعره السبيل أمام الشعر العربي الحديث ليجتاز مرحلة الإحياء وامتدادها، وإلى مرحلة تمثل فيها روح العصر وتجاربه وقيمه الفنية الجديدة، وإن اختلقو حول مدى تأثيره في هذا الشاعر أو ذلك، أو هذه الجماعة من الشعراء أو تلك، فمن قائل : "إن الأجماع يكاد ينعقد على أن خليل مطران يعتبر رائداً للمدرسة الجديدة في الشعر العربي المعاصر، حتى ليكاد يختلط طرقاً يشبه الطريق الذي احتلته في العصر العباسي مدرسة البديع وعلى رأسها أبو تمام، وفي مواجهة مدرسة عمود الشعر وعلى رأسها أبو عبادة البحري. وذلك عندما يقارن النقاد بين مدرسة البارودي وأحمد شوقي وحافظ وغيرهم ممن ساروا على عمود الشعر العربي، والمدرسة الحديثة التي تنتسب إلى مطران وتمتد في مدرسة أبوالو خلال أحمد زكي أبو شادي وإبراهيم ناجي ومن سار على دربها من الشعراء الناشئين من مصر وغيرها من البلاد العربية".<sup>١</sup>

ويؤكد د. طه حسين أن خليل مطران أحد من الشعراء المجددين الذين فتحوا صدر الشعر وزرعوا فيها الأفكار الحديثة مع حفظ التراث القديم، ويقول: "مطران ثائر على الشعر القديم، ناهض مع المجددين، وهو قد سلك طريق القدماء فلم تعجبه، فأعرض عن الشعر، ثم اضطر فعاد إليه وحاول أن يعود إليه مجدداً لا مقلداً. وهو يبنئك بأنه يعرض عليك في ديوانه شيئاً من شعره القديم لتبيّن به مقدار ما وصل إليه من التجديد، وهو متواضع لا يزعم أنه بلغ من التجديد ما يريد وإنما يترك ذلك للذين سيأتون بعده. وهو معتدل لا يرفض القديم كله وإنما يحتفظ بأصول اللغة وأساليبها في حرية كما يتأثر القدماء في إطلاق فطرتهم على سجيتها".<sup>٢</sup> ويجمع الدارسون الذين نظروا في أدب خليل مطران وتناولوه بالتحليل على أن الخليل رائد المدرسة الرومانطيقية في الأدب العربي. ومحمد مندور يشهده بالشاعر الفرنسي ما قبل الرومانطيقى أندريه شينيه<sup>٣</sup> (Andre Chenier) قائلاً : "يمكن القول بأن مدرسة الخليل تشبه على حد بعيد مدرسة الكلاسيكية الجديدة التي نادى بها في فرنسا الشاعر الكبير أندريه شينيه قبيل الثورة الفرنسية الكبرى وقبل ظهور الرومانطيقية".<sup>٤</sup> وأحمد عبد المعطي حجازي يقول أيضاً : "فليس من المبالغة في شيء أن نقول إن مطران كان أول المجددين وكان صاحب تأثير كبير على حركات التجديد التي ظهرت بعده".<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> د. عبد القادر القط، الاتجاه الوجданى في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية ، بيروت- لبنان، ص-٩٥.

<sup>٢</sup> د. طه حسين، حافظ وشوقى ، مكتبة الغانجى بالقاهرة، ص-١٧-

<sup>٣</sup> كان الشاعر الفرنسي من أصل يوناني.

<sup>٤</sup> فؤاد القرقروري، أهم مظاهر الرومانطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فيها، ص- ٣٠-

<sup>٥</sup> نفس المرجع، ص- ٣٠.

## إبراهيم ناجي....متوج الرومانطيقية

إبراهيم ناجي وهو أحد أحجار زاوية للرومانطيقية العربية، وبعد شعر ناجي النموذج الأصفي للشعر الوجداني للرومانطيقية المصرية، يقرأ أعمال شعاء الرومانطيقية من الإنجليزيين والفرنسيين الكبار في مصادرها الأصلية. ولم يخرج شعر ناجي عن الإطار الوجداني إلا في قصائد معدودات بعضها في مدح أو تكريم أو رثاء بعض رجالات السياسية والفكروالأدب منمن كانت تربطه بهم علاقة صداقة ومودة. وتشتمل أشعاره الانفعال بالطبيعة وكل مظاهر الجمال فيها، والتطلع على المثل الأعلى و الحياة الفضلى، والشعور بالغريبة في مجتمع مستبد بالشروع والناس جميا،

<sup>١</sup> وتحليل العواطف الإنسانية في نفسه، وفي فوس الآخرين مواقفهم.

## أحمد زكي أبو شادي....مزيج الرومانطيقية والواقعية

أحمد زكي أبو شادي زعيم مدرسة أبواب وروحها وجسمها، زين منصب السكرتار في الجمعية. وقد اختلف النقاد على شاعريته اختلافاً كبيراً، فقوم يقررون شاعريته، ويقولون أنه من أقدر شعاء الجيل الجديد، وقوم آخرون ينكرون عليه هذه الشاعرية، ويزعمون أنه لا يراعي حرمة اللغة ولا يحافظ على رونق الديباجة العربية، الواقع أن شاعراً كأبي شادي خليق أن يثير مثل هذه الضجة. وكان أبو شادي يرى الرجعية والجمود والتقليد أعداء الحرية، ومن ثم حاربها وأعلن الثورة عليها، وكان يؤمن بالإنسانية في الثقافة ومن ثم درس روائع الأدب العربي قديمه وحديثه، وأدب المهجـر وأعلامه، وتناول أصول الأدب الإغريقي ومذاهب البلاغة عند الأولين.<sup>٢</sup>

يتراوح شعره بين التزعة الرومانطيقية في وشبابه، وتظهر في قصائده الغزلية والوجدانية والطبيعة والنفسية؛ وبين التزعة الصوفية والاجتماعية والإنسانية في كهولته؛ والتزعة الواقعية التي تظهر في شعره منذ أصدر ديوانه "عودة الرايع" حتى وفاته؛ وإن كان الإتجاه السائد في شعره هو الإتجاه الرومانطيقى، ومع ذلك فله شعر رمزي بديع.<sup>٣</sup>

## علي محمود طه....بين الرومانطيقية والرمزية

علي محمود طه أحد شعاء أبواب البارزين، فقد كان يعرف أطراضاً من الآداب الغربية، ولكنه لم يكن يتعمقها، إذ كان حظه من معرفة اللغات الأجنبية محدوداً. ومع أنه ترجم من الشعر الفرنسي بعض نماذجه، إلا أن معرفته بهذا الشعر كانت ضئيلة جداً، ولذلك لم يستطع أن ينفذ إلى مذهب فني يتبناه أو يحتذيه.<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> محمد رضوان ، إبراهيم ناجي شاعر الأطلال وأحلى قصائده العاطفية ، دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة، ص-٧٧.

<sup>٢</sup> محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجـري ، دار الكتاب اللبناني - بيروت، الطبعة الثانية ، ص-٣٩٩.

<sup>٣</sup> محمد عبد المنعم خفاجي، مقدمة كتاب "أبو شادي في المجر" ، مكتبة مصر، ص-٧.

<sup>٤</sup> د. محمد مندور، الشعر المصري بعد شوقي، دار هبة مصر للطبع والنشر- القاهرة، ص-٦٦.

ويعد عدم استقرار علي محمود طه على المذهب الرمزي رغم انفاسه بتجربة الرمزيين، إلى أنه قرأ أدب الرومانطيقيين.<sup>١</sup>

وليس علي محمود طه صاحب نزعة فلسفية في شعره، ولا هو صاحب نزعة نفسية، إنما هو صاحب لغة شعرية تبعث النشوة فينفس سامعه وقارئه بألفاظها البراقة وما تحمل من رنين يبدع فيه ويفتن، ولكن في هذا الرنين لم يجد فكرا بعيداً ولا معنى عميقاً وإنما يجد فيه الألفاظ التي تضغط على الأعصاب بجمال أحانتها وأنفاسها.<sup>٢</sup>

## الخاتمة

وبالجملة تحقق حركة أبولو اسمها اليوناني "أبولو" رب جميع أنواع الشعر، لأنها جمعت ثقافات متفرقة ونزعات متنوعة، وعاش في ظلها أدباء مرموقون تميّزوا في مجالهم الخاصة بدون الثورات الداخلية مثل ما يتمسّك أحمد محرم الكلاسيكية الخالصة وأحمد شوقي الكلاسيكية المعتدلة ود.إبراهيم ناجي الرومانطية، وقام أبو شادي بأسلوب ما بين الرومانطية والواقعية.ولهذه الحركة تأثير بالغ في إنشاء جماعات مختلفة بعدها في طرائفها من أعضاءها وغيرهم. حقا، أنها معلم مذكور في تاريخ الأدب العربي.

## المصادر والمراجع

١. قاموس الأدب العربي الحديث، د.حمدي السكوت، الطبعة الثانية ،دار الشروق- القاهرة، ٢٠٠٩.
٢. د. شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، ٣٠٠٣.
٣. عادل الفريجات، إضاءات في النقد الأدبي، دارأسامة - دمشق، ١٩٨٠.
٤. د. محمد مندور، الشعر المصري بعد شوقي، دارنهضة مصر للطبع والنشر- القاهرة، ١٩٧٨.
٥. محمد رضوان، إبراهيم ناجي شاعر الأطلال وأحلى قصائده العاطفية ، دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة، ٢٠٠٧.
٦. محمد عبد المنعم خفاجي، مقدمة كتاب "أبوشادي في المهجـر" ، مكتبة مصر،
٧. محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجـري ، دار الكتاب اللبناني – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.
٨. فؤاد القرقروري، أهم مظاهر الرومانطية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فيها، التوصية للطباعة والفنون، ١٩٨٨.
٩. د. طه حسين، حافظ وشويـي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٥٥.
١٠. د. عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دارنهضة العربية ، بيروت، ١٩٨٨.



<sup>١</sup> عادل الفريجات، إضاءات في النقد الأدبي، دارأسامة - دمشق، ص-٣٤٨.

<sup>٢</sup> د. شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، ص-١٩٩.

## الملامح الفنية في شعر أبي الفضل بافو المслيلار الترورنغادي

د / عبد اللطيف الفيضي<sup>١</sup>

### الملخص

هذه المقالة دراسة موجزة تهدف إلى إبراز الشخصية الفريدة والموهبة الشعرية للاستاذ بافو المسليلار الترورنغادي من خلال أشعاره وقصائده. والرموز والأساليب البلاغية التي استخدمها الاستاذ في قصائده تكشف قدرته الباهرة في فن الشعر بالرغم من كونه معروفا لدى الاوساط العلمية فقها وصوفيا يعتني بالأمور الدينية. والدراسة توضح أمامنا قدرته الباهرة في تجسيد المعاني إلى الأفهام وعقليته الخلقة في استخدام الخيال الذي يقودنا إلى عالم واسع. وتزين أشعاره تلميحاته إلى الأحداث التاريخية ونصبه الرموز لتوليد معانٍ عميقة مبتكرة، وكان له ملكة نادرة في تفنن الألفاظ وتنوعها كما يتسم بجزالة الألفاظ وقوتها العبارية. وكما هو واضح من أشعاره اطلاعه الشامل والدقيق بدواوين الشعراء القدامى حيث يقلّدهم في الألفاظ والمعاني. وقد قرض الشعر في المديح والرثاء والتهانى والوصف كما نظم في بحور خليلية وفي ألحان محلية.

الشيخ الفقيه الورع التقى عاشق خير البرية الاستاذ أبو الفضل بافو المسليلار الترورنغادي انتقل إلى رحمة ربّه الكريم في اليوم الحادي والعشرين من شهر آب عام ٢٠١٤م، في سن الخامس والثمانين بعد خدماته الطويلة والتي تمتد أكثر من نصف قرن في التدريس والإفتاء والإرشاد وبحياته المثالية الصامتة. ولد الاستاذ بافو مسليلار سنة ١٩٣٣م في ترورنغادي قريب تشماد من مقاطعة مالابرم بولاية كيرالا، الهند، حفيداً للشيخ العارف بالله عبد الرحمن التانوري النقشبendi. وكان يقرض الشعر منذ سنّ المراهقة مع كونه عالماً نحرياً في العلوم والفنون الإسلامية ، وقد حصل الاستاذ على جوائز كثيرة مثل جائزة الإمام الغزالى وجائزة المخدوم وجائزة عبد يمانى وغيرها لتفوقه في التدريس والارشاد وخدماته الدينية ولوهنته الشعرية واللغوية. وممّا يميز الاستاذ من أقرانه ومعاصريه أنه كان شاعراً قديراً أعطاه الله موهبة فذة وقدرة باهرة في قرض الشعر وإنشاده حتى ينتهي إلى مجموعة الشعاء المرموقين في البلاد العربية ، بأسلوبه الشعري وصياغته اللفظية وخياله الواسع، وممّا يزيد شعره بهاء وحسناً جزالة ألفاظه ووفرة معانيه وسمات قصائده البلاغية والبديعية.

قلما نجد شاعراً في ديارنا كيرالا مثل الاستاذ بافو مسليلار، أظهر براعته اللغوية والفنية في اللغة العربية منظومة وشعرًا. والاستاذ أجاد الشعر في أكثر موضوعاته كالمداائح النبوية والمراثي والتهانى والمديح والأناشيد ومناقب الشهداء والصالحين ، كما أجاد في ألحان محلية .

<sup>١</sup> أستاذ اللغة العربية، كلية ت. يم. الحكومية ، تور

أريد بهذه الورقة تسلط الضوء على بعض ما استوحى من ميزات أشعاره الفنية والبلاغية حسبما اطلعت من قصائده المتوفرة، حيث أننا لم نجد جميع ما قررته الأستاذ في مناسبات متعددة، كما يبدو أن عشاق الشعر والأدب من أهالي كيرلا لم يبذلوا عناء كافية في تشجيعه وتخلق الفرص له حتى تستفيد كاملاً من مواهبه الأدبية والشعرية. ومن ميزات أشعاره:

(أ) قدرته الباهرة على التصوير واستخدام الخيال:

وتظهر جلياً في مراثيه الطويلة التي أكثر فيها الوصف والخيال من غيرها، ونجد كل مرثية من مراثيه زهاء مائة سطر. وهي تصور أمامنا صورة صادقة من حياة أصحاب المراثي الشخصية والاجتماعية والدينية بأدق جوانبها في نسق لطيف وأسلوب سائع كأنهم يتمثلون أمامنا أحيا.

وهذه رثاء الشيخ آدم حضرة، مؤسس مدرسة الباقيات الصالحات في ويلور. يصف فيها وفاة الشيخ مصيبة عظمى ألمت بالأمة الإسلامية جميراً حتى يعدها حادثة كأهوال يوم القيمة. فيبدأ قصيده في البحر البسيط:

من حولها كثرت في الدين أرزاء	قد حلَّ داهية بالقوم دهيء
في شرليل على الغبراء خضراء	هل جاءت النفخةُ الأولى أم انفطرت
مسَّ الجميعَ بها مسَّ وإغماء	أم حلَّ صاعقة بالأرض هائلةُ
أم يومٌ حرَّة يا بئس الدهيماء	أم عاد ما حلَّ في أفلاد فاطمة
ضاقت عليهم رحيب الأرض فيحاء	حار الورى كالحباري في الفلاة كما
والله ما ذاك مما ساغ صهباء	صاروا سكارى وقد جاش النفوس فلا
كادت بشدتها تنشقَ غبراء <sup>(١)</sup>	لَا بل أصابت دينَ الله بائفة

يشبه الشاعر هنا حيرة الناس ودهشتهم ببني وفاة الشيخ، بأهوالهم وفرجهم عند أشرطة الساعة، ويصف بأن الناس صاروا بسماع هذا النبأ العظيم المحزن كحالهم عند النفخة الأولى يكادون يموتون من الضيق والحزن، كأنه يشير إلى قول الله تعالى في سورة الزمر: (وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>). ويصف أيضاً شدة دهشتهم حتى كأنهم سقطت عليهم السماء منفطرة في ليلة مظلمة عندما كانوا في سبات ناعم ، وهذا البيان يذكرنا قول الله تعالى في سورة الانفطار حيث يصور أهوال القيمة : (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ، وَإِذَا الْكَوَافِكُ اُنْتَرَتْ<sup>(٣)</sup>) أو كأنهم أخذتهم الصيحة فصاروا مجانين ذهبت عنهم

<sup>(١)</sup> ديوان الترقالي ، أبو الفضل محمد بافو المслиمار ، دار الأدب العربي ، مالايرم. ط ١٤٠١ ، م ٦٨ :

<sup>(٢)</sup> سورة الزمر :

<sup>(٣)</sup> سورة الانفطار: ١-٢

عقولهم، كما صورها جل وعلا في سورة الحج : (يُوْمَ تَرْوَهُمَا تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى<sup>(١)</sup>).

ثم يشبه حاليهم أيضاً بمن حلّت بهم كارثة عظيمة من الحروب والمقاتلة كما وقعت في كربلا<sup>(٢)</sup> بين أولاد فاطمة رضي الله عنها وجيش يزيد، أو وقعوا في وقعة حرب<sup>(٣)</sup> الحامية التي جرت ضد عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

فإن الشاعر يبرز قدرته الفائقة في تصوير وتجسيم مصيبة الوفاة وتشاغل الناس بها، بتشبّهها بهذه الحوادث العظام التي هزّت كيان المجتمع في الماضي ولا تزال تهزّ في المستقبل. فاستیحاء هذه الأمور من التاريخ ونصبها أمام أعيننا واكتشاف التشابه بينهما لا يقدر إلا من رُزق له خيال واسع وإنما بهذه المصادر واستيعاب بهذه الحوادث .

ونرى وصفه الرائع في وصف الطبيعة كأنه شوقي كيرلا، عندما يهنى السيد محمد كويان بن السيد حامد كويان بمناسبة زواجه حيث يقول:

عم الأنام مسرة ورخاء	سعد الزمان وساعد الآلاء
عظي فجاوبه بتلك مساء	والصبح لاح مناديا بسعادة
ملتفة وزهورها زهراء	روض المنا محضره أوراقها
شغل البالبل بالسرور غناء	ما للطّيور على الغصون رواقصا
وترّمت بهديرها الورقاء	يتفاخر الطاؤس يهدي حسنها
أبهى البنفسج قد علاه سناء	ما أجمل النسرين ما أزهى وما
ما زدت نظرهما يزيد بهاء	أحسن بذاك الياسمين ونرجس
وتعطرت بنسيمها الأرجاء	قرت عيون الناظرين بحسنها
أم هل بدت من جنة حوراء	واها لتنا هل عاد عيد أكبر
شاعت بذكركماله لأنباء	يوم سعيد فيه عقد نكاح من

المناسبة عقد الزواج أوقات فرح وابتهاج يجتمع فيها النساء والولدان والشبان بالتزئن والتبرج، ويتبادلون أفرادهم وأخبارهم في جو مليء بالضوضاء والتسريع. يرى الشاعر هذه الصورة في ذهنه ويمثلها أحسن تمثيل، حتى لا نرى الطاؤس والحمامة والبلبل وغيرها من الطيور وكذا الورد والياسمين والنرجس والبنفسج

<sup>(١)</sup> سورة الحج: ٢

<sup>(٢)</sup> كربلا: فصل من فصول الإسلام الملطخة بالدماء ، قتل الحسين وأهل بيته في هذه الواقعة ، وهي من أشهر الطامات كما قال الفخرى.

<sup>(٣)</sup> وقعة حرب جرت سنة ٦٤ هجرية بين أهل المدينة وفيهم عبد الله بن الزبير من طرف وبين يزيد بن معاوية والأمويين من طرف آخر.

والنسرين وغيرها من الزهور إلا وشاركت في هذا البناء والسرور بمظاهرها الطبيعية وفي أشكالها المتنوعة كأن العيد الأكبر حل بهذه الأمة ! . ولا شك أن هذا الرسم البياني في غاية الروعة والبلاغة في تجسيد الابتهاج والتفرج في مثل هذه المناسبة.

ويقول في رثاء العالم العالمة مولانا حضرة محمد أبي بكر رحمة الله عند ذكر عماته في مدرسة الباقيات الصالحات في ولور بعد وفاة الشيخ العالمة آدم حضرة رحمة الله .

شیخ المشایخ عزّہا وشمائلہ	إذ كان ناظرها المحقق آدم
آمت وكاد يضرّها إرمالها	حتّى إذا لبّي نداء مماته
عنه فحمل ظهره أثقالها	فتشاوروا فيمن يقوم خليفة
أولى فهل أحد سواه بنالها	هذا أبو بكر وتلك خلافة

نرى فيه خياله الخلاق وبراعته الفائقة في تشبيه عمادة مدرسة الباقيات بالخلافة الرشيدة، فترشيح الشيخ محمد أبي بكر لهذا المنصب من قبل الأساتذة، يمثله الشاعر بترشيح الصحابة رضي الله عنهم إجماعاً أبو بكر الصديق رضي الله عنه لمنصب الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم . وهنا يظهر تمثيله البارع في قوله: هذا أبو بكر وتلك خلافة أولى ، فهل أحد سواه بنالها ، مع تلميح لطيف إلى اتفاق اسمهما.

#### ب) تقليد الشعراء القدامى من العرب:

وهذا يدلّ على عمق اطلاعه على دواعين الشعراء ما قبل الإسلام وما بعده من العهود الأموية والعباسية والعثمانية والحديثة، وعلى سعة حفظه كثيراً من أشعارها. نرى واضحاً في أشعاره تأثير لبيد بن ربيعة وكعب بن زهير والفرزدق والمتني وأبي تمام والبوصيري والشوك. وهذه ظاهرة نريها في الكلاسيكية الجديدة التي كان رائدها محمود سامي البارودي.

ويقول عندما يرثي الشيخ آدم حضرة رحمة الله:<sup>(١)</sup>

شاعت فتاواه في الدنيا يدونها	شوقاً وتبعها صدقاً أجلاء
إن كنت جاهله لا ريب يعرفه	مصرُّ وطيبةٌ مختارٌ وبطحاء
هذا خطيب بلغ مصقع لسن	صمصامة من إله العرش صمعاء

قارن هذه السطور بسطور الفرزدق في مدح زين العابدين علي بن حسين وهو يعاتب هشام بن عبد الملك في تصغير أمر زين العابدين:<sup>(٢)</sup>

<sup>(١)</sup> ديوان الترنقالي ، أبو الفضل محمد بافو المسلمين ، دار الآداب العربي. ص: ١٣.  
<sup>(٢)</sup> ديوان الفرزدق ، شرح الاستاذ على فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٥١١

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم  
 هذا ابن خير عباد الله كلامه هذا النبي التقى الطاهر العلم  
 هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله في جده أنبياء الله قد ختموا  
 وأيضا يقول فهم:

يا باقيات اصيري ذا قدر خالقنا قد استوى فيه أشرف وأدناء  
 كل ابن أنت وإن باهت بهامته تيجان سلطنة بقاء حباء  
 قارئها بسطور كعب بن زهير ابن أبي سلمي في قصصيته بانت سعاد يقدّم أمّام النبي صلّى الله عليه وسلم شكاياته<sup>(١)</sup>:

وقال كل خليل كنت آمله لا أهينك إني عنك مشغول  
 فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول  
 كل ابن أنت وإن طالت سلامته يوما على آلة حباء محمول  
 ويقول في مرثية محمد كوتى المدعى بكنجو ابن الشيخ عبد القادر المسليار الكندورى:<sup>(٢)</sup>

فلقد أشاع ذرى كمالك سعهم فكانهم لك إخوة لا عذل  
 فإذا أراد الله نشر فضيلة طويث أتيح لها الحسود الأرذل  
 وهذه يشابه بحكمة أبي تمام الشاعر العباسى:<sup>(٣)</sup>  
 إذا أراد الله نشر فضيلة طويث أتاح لها لسان حسود  
 لو لا اشتغال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

ومن هذه الأمثلة أيضا قوله في هنئة السيد محمد كوياب ابن السيد حامد كوياب:

وكأن محمر الشقيق على رما ح زيرجد ياقوتة حمراء  
 أحسن بذالك الياسمين ونرجس ما زدت نظرهما يزيد بهاء  
 والمشاهدة واضحة بينها وبين قول الشاعر:

كأن محمر الشقيق إذا تصوب أو تصعد أعلام ياقوت نشرن على رماح من زيرجد

<sup>(١)</sup> د/ مفید قمیحة، شرح ودراسة دیوان کعب بن زهیر ، دار الشرف للطباعة والنشر.الرياض ، ص ١١٤

<sup>(٢)</sup> أبو الفضل محمد بافو المسليار، دیوان الترقالي ، دار الادب العربي.

<sup>(٣)</sup> الخطيب التبريزى دیوان أبي تمام، شرح ، الجزء الأول ، دار الكتاب العربي بيروت، ص ٢١٣

ج) جزالة الألفاظ وقوف العبارات والتفنن فيها:

وقد أعطاه الله قدرة باهرة في تفنن الألفاظ وتنويعها من غير إخلال للمعنى والأسلوب، على الرغم من اتفاق المناسبات وكثيرها في قصائده، وأطاعت أماته الألفاظ والمعاني كأنما هي في أيدي ساحر ماهر، وزرها جلilyا في مراطيه المتنوعة في تعداد أوصاف المغفور لهم.

## يصف الشيخ آدم حضرة رحمه الله:

شہم ذکی نقی البال ذو ورع سمعی سبط رسول اللہ میفاء

شيخ وقور شير الصبت نائمه أستاذنا البارع النحرير وفاء

قرم نبیل کریم المعی سے — حی من خلافتہ عز و دمیاء

وصف الشيخ محي الدين كوتى مسلیار برونا:

وكان بحثا عميقا في الفنون حمد عا لاله فيه ثان فاق الأقانا

وكان قرما شريفا حاذقا فطنا شرما كرما نقي القلب مولانا

ووصف حضرة محمد أبى يك رحمه الله:

قم نيل، عقدي حربذ  
بعسوب طائفه الهدى، ود حالها

بحـر العـلـمـون مدـرسـة لـفنـونـها وـعـضـالـها

حدث التاريخة ونصب الرموز لتوليد المعانى، العمقة المبتداة

زنگنه - آنلاین سینما

شیخ

١٠) كم من عطاس رروا من ماء مدحنه علماً وكم سقيت من داك ادواء

٢) ام عاد ما حلّ في افلاذ قاطمه  
ام يوم حرّة يا بس الدهيماء

— (٣) حدیقة کالبیر حاء تقول في  
هَا کل وقت إن ما لي تاكا

<sup>(١)</sup> من ميراثه عن الشيخ آدم حضرة رحمه الله

<sup>(٢)</sup> من نفس مرثته السابقة.

<sup>(٣)</sup> من مديثه عن موي حاج المكتبي

فإن كلمات ماء مدين ويوم حرة وحديقة بيرحاء في هذه السطور إشارات توجى إلى أنفسنا معانى مبتكرة شاملة أكثر من مدلولاتها اللغوية وتأخذ بأيدينا إلى مصادرها الأصلية وإلى الحوادث المذكورة في القرآن والحديث والتاريخ الإسلامي ليكون وقعاً في النفوس أقوى وأشد.

إضافة إلى هذه، نرى كثيراً من الخصائص الفنية والتكتنیکات الشعرية في قصائد إبراد الحكم والأمثال السائرة ، والسخرية العفيفة بالعادات والتقاليد السائنة، والاقتباسات الموحية، والمحافظة على الموسيقا الرنانة قوية الجرس. وما إلى ذلك مما يخدمها أي شاعر له موهبة ذاتية وتذوق وجداً.

## الخاتمة

ولا شك، أن الاستاذ بافو الميليار، كان آية في الشعر في بلادنا كيراً كما كان آية في العلم والمعرفة يغمرها العفة والتواضع والبساطة كما ميزه من سائر الشعراء خوفه في الله ومحبته الشديدة بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وتعلقه الشديدة بالأولياء والصالحين.

## المصادر والمراجع

١. ديوان الترنقالي (مجموعة قصائد الاستاذ بافو الميليار) دار الادب العربي ، مالابرم.الطبعة الأولى م ٢٠١١
٢. ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزى ،الجزء الأول، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثانية م ١٩٩٤.
٣. ديوان الفرزدق ، شرح الاستاذ على فاغور، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م
٤. ديوان كعب بن زهير ، شرح ودراسة د/ مفید قمیحة ، دار الشرف للطباعة والنشرالرياض ، الطبعة الأولى ١٩٨٩ م



## تداخل الأجناس الأدبية

السيدة، سيناء . كي ١

د. محي الدين كوتى. أى . بي ٢

### الملخص

تشغل قضية تداخل الأجناس الأدبية الدرس الأكاديمي، خاصة بعد إنشغال عدد من المبدعين بالتعبير الكتابي، شعرياً ونثرياً. وقد ولد هذا التزاوج الأدبي لدى المبدع الواحد نوعاً من الآلية التي تستعيض الخطاب الشعري في الكتابة السردية الروائية وبالعكس أيضاً.

بدأت عملية التجنيس من الناحية الواقعية، منذ قديم الزمان، انطلاقاً من فكرة التمييز بين الشفاهي، والكتابي في الكلام، سواء أكان منطوقاً، أم مكتوباً، ثم انتقل الإنسان إلى مرحلة التمييز بين الشعر والنثر. ثم بدأ يميّز بين الشعر والسرد حين أصبح السرد يأخذ خصائصه الأدبية، وفي كل الحالات، كان التبادل قائماً بين الشعر والسرد، حيث نجد بعض خصائص السرد في الشعر وبعض خصائص الشعر في السرد، لكن الشعر، ظل هو المسيطر، لأسباب إيديولوجية، كما انتقلت بعض خصائص الشفاهي إلى النص المكتوب، وهي ما تزال حتى الآن، تتبادل الواقع. فمبدأ التهجين الغنوي، هو أحد المبادئ الأساسية، التي حكمت العلاقة بين الشعر، والسرد. أما في العصر الحديث، فقد أصبح التهجين اصطناعياً، أي مقصوداً بقرار مسبق. لأن كل جنس أدبي، يتضمن في داخله، رغبة قوية، في امتصاص الجنس الآخر، سواء أكان جنساً أدبياً، أو غير أدبي. إذن تبقى صفة التهجين، صفة جوهرية في تفاعل الأجناس، عبر التحويل. إنه الصراع بين الصوت والكتابة.<sup>٣</sup>

وهذه الدراسة تتطرق باختصار إلى تداخل الفن الروائي مع الشعر والنarrative والمسرحي فقط.

### التداخل الأجناس الأدبية

في علاقة الشعر نحن أمام تداخل بين الشعر والنثر. ففي النثر نجد كمية من الشعر أحياناً، كذلك نجد في السرد بعض الشعر ولكن الحدود بينهما غير واضحة، بل متداخلة وغير حاسمة. لقد سبق لي أن تم التمييز بين الشعرية، علم موضوعة الشعر، أي العلم النقدي الذي يقرأ درجات الشاعرية في النص، سواء أكان شعراً أم سرداً، وبين الشاعرية، أي ما ينتجه النص في حين تكون الشاعرية هي المنتوج نفسه.

فنحن نجد أنفسنا أمام أشكال من التداخل والتقارب بين السرد والشعر والدراما مثلاً. وهناك ميل واضح منذ أكثر من ربع قرن في النقد الأدبي للتنظير لتقارب الفنون والأداب، بل هناك تجريب فعلي يتعلق

<sup>١</sup> باحثة الدكتوراه، قسم اللغة العربية بجامعة كاليفورن.

<sup>٢</sup> مشرف البحث، قسم اللغة العربية بجامعة كاليفورن.

<sup>٣</sup> عز الدين المناصرة، الأجناس الأدبية في ضوء الشعريات المقارنة، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان ٢٠١٠، ص: ١٤١

بمحاولات للتطبيق النصي ، بما يوجي برغبة في ولادة أنواع جديدة من هذا التداخل والتقارب ، كما هو حال قصيدة النثر ، التي توحى بالتجا حل بين الشعر والنثر ، حيث وصل الأمر في قصيدة النثر إلى علو السرد فهـا إلى ما يشبه القصة القصيرة . وبالمقابل ولدت قصة قصيرة جداً تشبه قصيدة النثر . هل تكفي القصيدة ، لكي تحدد نوع النص ، أم أن الناقد يتعامل في النهاية مع المنجز النصي المتحقق أمامه فعلاً . إذا قلنا بذلك ، فالرواية مثلاً تمتلك عناصر السارد والمسرود وصيغة السرد والشخص والحبكة والزمان والمكان وغيرها ، ولكن ، كيف نصف المناطق الشعرية فيها ، إذا كانت تحقق شروط الشعر الشائعة . وماذا نقول عن عنصر الحوار وهو عنصر مشترك بين الشعر والنثر والدراما ، قد نجيب بأن ما يقرر هوية النوع ، هو على هذه الخصائص أو قلتها . لكن هناك من يعتريـض بالقول : من قال أن خصائص معينة لنوع أدبي معين ، هي خصائص مطلقة ثابتة عبر الأزمان ، وهم يستشهدون بأنواع أدبية انقرضت وأنواع أدبية ولدت ، وأنواع أدبية انقرضت ثم أعيد إحيائـها . أسئلة عديدة طرحت وما زالت تطرح حول علاقة الشعر بالسرد دون إجابة حاسمة قاطعة .

فالرواية في سردي لا يمكن له أن ينزعـل عن الأجناس الأخرى ، بل إنه ينفتح عليها افتاحاً كلياً في عملية تشـكيلية تخـضع له لضرورات حـكاـية قـابـلـة لأنـ يـتـداـخـلـ أحـدهـماـ بـآـخـرـ وـيـنـصـهـرـ فـيـهـ ، وـربـماـ يـنـدـمـجـ بهـ اندـمـاجـاـ كـلـياـ وـفـاعـلاـ "وهـنـاـ نـزـاحـ الحـدـودـ الفـاـصـلـةـ بـيـنـ الأـجـنـاسـ وـالـفـنـونـ ، وـيـجـرـيـ دـاخـلـ الـمـنـظـومـةـ السـرـديـةـ نـوـعـ مـتـ التـلـاقـ الأـجـنـاسـ وـالـفـنـيـ الـخـارـجـ عـنـ الأـطـرـ ، وـالـقـوـانـينـ الـنـاظـمـةـ لـلـجـنـسـ الأـدـبـيـ ، أوـ الـنـوـعـ الـفـنـيـ "، وـمعـ هـذـهـ الإـعـتـبارـاتـ الـوـصـفـيـةـ يـبـقـيـ النـصـ السـرـديـ نـصـاـ مـسـتـقـلاـ ، وـالـنـصـ الـذـيـ تمـ التـدـاخـلـ مـعـهـ نـصـاـ مـسـتـقـلاـ هـوـالـأـخـرـ .

إنـ النـصـ السـرـديـ بـوـصـفـهـ تـشـكـيلاـ أـدـبـياـ خـاصـاـ يـنـتـيـ إلىـ التـشـكـيلـةـ الـأـدـبـيـةـ الـعـامـةـ أيـ الـعـلـمـ الـأـدـبـيـ لـاـ يـمـكـنـ النـظـرـ إـلـيـهـ بـمـعـزـلـ عـنـهـ ، فـالـعـلـمـ الـأـدـبـيـ "لـيـسـ سـوـىـ خـلـيـةـ ذـاتـ بـنـيـةـ دـيـنـامـيـةـ مـعـقـدـةـ يـتـخـلـقـ مـنـ مـجـمـوعـةـ الـأـعـمـالـ الـمـمـائـلـةـ (الـخـلـاـيـاـ)ـ بـنـيـانـ مـتـعـدـدـ الـوـجـودـ وـالـجـوـانـبـ ، يـكـوـنـ بـمـثـابـةـ الـعـالـمـ الـمـصـغـرـ (مـيـكـروـ)ـ الـعـالـمـ أـكـبـرـ (مـيـكـروـ)ـ تـبـدـيـ فـيـهـ قـوـانـينـ الـإـبـادـعـ الـفـنـيـ عـمـومـاـ "، لـذـاـ فـالـنـصـ السـرـديـ لـاـ يـنـزـاحـ عـنـ حـدـودـ الـعـلـمـ الـأـدـبـيـ وـقـوـانـينـهـ وـاعـتـبارـاتـ الـفـنـيـةـ وـالـمـوـضـوـعـيـةـ بـمـعـنـىـ أـنـ يـمـثـلـ صـورـةـ مـصـغـرـةـ لـلـعـلـمـ الـأـدـبـيـ .

إنـ اعتـبارـاتـ التـدـاخـلـ النـصـيـ بـيـنـ جـنـسـ وـآـخـرـ لـاـ تـعـتمـدـ فـقـطـ عـلـىـ طـرـيـقـةـ تـشـكـلـ هـذـهـ الأـجـنـاسـ دـاخـلـ النـصـ الـواـحـدـ ، بلـ كـذـلـكـ عـلـىـ تـفـاعـلـ هـذـهـ الأـجـنـاسـ فـيـمـاـ بـيـنـهـاـ وـتـلاـحـمـهـاـ حـتـىـ تـبـدـوـ وـكـأنـهـاـ بـنـيـةـ نـصـيـةـ وـاـحـدـةـ مـعـ ضـرـورةـ اـحـفـاظـ كـلـ جـنـسـ بـخـصـائـصـ وـسـمـاتـهـ ، لـذـاـ فـإـنـ مـنـ أـهـمـ سـمـاتـ الـرـوـاـيـةـ الـتـيـ تـرـتـكـزـ عـلـىـ هـذـهـ الـمـنـظـومـةـ السـرـديـةـ "لـيـسـ استـخـدـامـهـ تـقـنيـاتـ سـرـديـةـ جـديـدةـ فـقـطـ ، بلـ رـؤـيـتـهـ لـلـعـالـمـ الـتـيـ تـحدـدـ طـرـيـقـةـ اـسـتـخـدـامـ الـتـقـنيـاتـ السـرـديـةـ وـإـمـكـانـيـاتـ إـلـفـادـةـ مـنـهـاـ .

<sup>١</sup> محمد صابر عبيد ، سوسن البياتي ، المتخيل الروائي سلطة المرجع وافتتاحاً له ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، ٢٠١٥ ، ص ٢٣٥

تخد الرواية لنفسها ألف وجه وترتدي في هيئتها ألف رداء، وتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل، مما يعسر تعريفها جامعاً مانعاً ذلك لأن الرواية تشارك مع الأجناس الأدبية الأخرى بمقدار ما تتميز عنها بخصائصها الحميمة وأشكالها الصميمية، بالإضافة إلى اشتراكها مع الحكاية والأسطورة، إنها تغترف بشيء من النهم والجشع من هذين الجنسين الأدبيين العريقين، وذلك على أساس أن الرواية الجديدة أو المعاصرة بوجه عام لا تلقي أي غضاضة في أن تغنى نصها السردي بالتأثيرات الشعبية، والمظاهرة الأسطورية والملحمة.

إن الرواية تشارك مع الملحمات في طائفة من الخصائص وذلك من حيث إنها تسرب أحداثاً تسعى لأن تمثل الحقيقة؛ وتعكس مواقف الإنسان وتتجسد ما في العالم أو تجسد شيئاً مما فيه على الأقل. وهي تختلف عن الملهمة في كون الأخيرة تكتب عادة شعراً، وتلك تتخذ لها اللغة النثرية تعبيراً، وذلك على الرغم من ظهور بعض الكتابات الروائية أو المفترضة أن تكون كذلك.

تشترك الرواية مع الشعر ذلك لأنها شديدة الحرث على أن تكون لغتها جميلة مثقلة بالصورة الشعرية الشفافة ، فالنثر قبل كل شيء يميل إلى اللغة التي تتحدث عن حياة الناس اليومية ولعل الرواية التي لم تقبل باللغة النثرية الفجة وجدت أن ترقية لغتها يتم عبر لغة الشعر الخارجة عن نظام لغة التعليم والفلسفة والتأليف الأكاديمي، إنها لا ترضى أن تكون وسليتها اللغوية هي اللغة النثرية البسيطة ، فتمامت مع الشعر وطوعت لغتها لصالح أغراض المؤلفين فيها .

#### النص والإعلام الصحفى :

وتتم عملية من هذا الفن بأن يعمد الروائي إلى أثر. أدبي أو غير أدبي . فيقصده ويقطعه من مواده الأساسية ويركبها في نصه الروائي، ويصبح جزءاً من النص كما هي الحال مع النصوص التي تم اقتطاعها من الصحف اليومية، وتم تركيبها عبر الروائي بشرط أن تكون هناك علاقة بين الحدث الروائي والنص المركب.

يقول أشرف أبوالزيد في روايته "شماوس"

"شريط الأستاذ الجامعي تم تلفيقه".

"تفاصيل جديدة في قضية الدكتور كريم ،الشريط ملفق ،فأين الفاعل؟"

"من يرد للدكتور كريم حقه ضد الشريط المزيف؟"<sup>١</sup>

يقول إبراهيم نصر الله في روايته شرفة رجل الثلج :

"راح يقرأ بتمعن الكيفية التي تدبيج فيها الأخبار ،وتصاغ العناوين .أكثـل ما راقـه عـناوـين الأخـبار

الـرياـضـيةـ الـقـيـ كـانـتـ مـثـيـرـةـ عـلـىـ نـحـوـ غـيـرـ عـادـيـ :

"ـريـاحـ (الأـهـلـيـ)ـ (تعـصـفـ حـقـولـ (الـزـمـالـكـ))ـ"

<sup>١</sup> أشرف أبوالزيد، شماوس، دار العين للنشر، القاهرة ٢٠٠٨، ص ٢١٢

"أسود غير المروضة تستعيد مخالبها تفتک بـ(زامبيا)"

"ساعة الحقيقة تدق أمام (تونس)"

"أسود الأطلسي تتخلّى عن أننيابها"

"نسور قرطاج تكتسر عن أننيابها"

لاحظ الخطأ الذي وقع فيه محرر الرياضة فالنسور لا أننياب له .

بحث في الصفحة الأولى عن مناسبة وطنية لم يجد .

ألقى نظرة متفرّحة على الصفحة الثانية .

٢٥% من المواطنين يعانون من أمراض نفسية توزع بين الإنفصام العقلي والقلق والإكتئاب والرهاب الجماعي والوسواس القهري .

إن أهم ما يميز النص الصحفي هو الأسلوب الطباعي الذي يغاير أساليب طباعة النصوص الأدبية الأخرى الذي يتخذ "شكلًا عمودياً خلافاً للكتابة الأدبية الأفقية" فيفيد نصر الله من هذا الأسلوب فلا يخرج عنه لكي يعطي نوعاً من التميّز للنصوص الصحفية داخل السياق الروائي، وهو ينحدر في ذلك شكلين اثنين : الأول : إنه يعمد إلى اقتطاع الخبر الصحفي ويدرجه بطريقة كتابية خاصة بالخبر الصحفي كما هو الحال مع النصوص الروائية التي تم الإشارة إليها .

والآخر : إنه يسعى إلى قص الخبر من الصحف والمجلات الورقية وإلصاقه بالحدث الروائي وكان القارئ يقرأ خبراً في جريدة رسمية وليس نصاً مدمجاً بنص روائي، ففي رواية (شرفه الهنديان) تبرز قدرة نصر الله على إلصاق أخبار صحفية عدّة وفي مواضع مختلفة، يقول الرواية : أتصور ذلك . لقد أدركت الحكومة الأمر، فمنذ أيام منع أي شاب أن يقترب من فتاته في الأماكن العامة دون أن تكون بينهما مسافة أمان (ستون سنتيمتراً على الأقل) ! هل تعتقد أنت الحكومة تقوم بذلك رأفة بحال الحب ومستقبل العشاق ؟ !

ويقول كذلك :

لقدقرأ في الجريدة عن رجل صيفي درب طائره على شتم جاره ، ما دفع الجار لمقاضاة صاحب الطائر !  
وما نوع ذلك الطائر ؟!

أنه من فصيلة (المينة) ، نوع من الببغاءات ربما ؟ وهذا هو الخبر معـي . انظر ٣.

ولنا في مثل هذا الأفعال وجهة نظر ننطلق منها في كيفية توظيف نصر الله لهذه الأخبار ، فالحدث الروائي . غالباً ما . هو الذي يستدعي توظيف ما يمكن توظيفه من نصوص أدبية أو غير أدبية ، بقصد الإثارة

<sup>١</sup> محمد صابر عبيد ، سوسن البياتي ، المتخيل الروائي سلطة المرجع وانفتاح الروايا ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ٢٠١٥ ، ص ٢٢٥

<sup>٢</sup> نفس المرجع ، ص ٢٣٧

<sup>٣</sup> نفس المرجع ، ص ٢٣٧

واغواء القارئ و جذبه إلى منطقة المشهد الروائي بمعنى أن النص هو الذي يدفع بالروائي إلى التوظيف لكنه في مثل هذه الحالات . أي عند توظيف الأخبار الصحفية . فإن توافر المادة الصحفية هو الذي دفع نصر الله احتواء الحدث لا بالعكس ، أي أن الحدث لم يكن له أن ينمو ويتخذ هذا المسار السري ما لم تساعده الأخبار الصحفية في ذلك .

إن مثل الفعل الحكائي يتم حينما يندمج الخبر الصحفي مع الحدث وإلا فوجوده غير مبرر، ونصر الله من الروائيين الذين يدركون أهمية الصنعة الروائية والتقانات الأسلوبية والسردية التي يمكن أن تخدم نصه الروائي ، ومن ثم فإن اشتعاله على النصوص الروائية والإفادة من التقانات إنما يدخل ضمن هذه الخطوة التي حرص الروائي على أن يتمسك بها .

### الرواية والمسرح :

علاقة الرواية بالمسرحية علاقة حميمة قريبة فقد عكفت الكتاب منذ زمن على الإستلهام من النصوص المسرحية كما اعتمدوا طرائق في تقسيم نصوصهم قريبة جداً من التقسيم الذي تعتمد من قبل الكتاب المسرحيين ؛ فصول ومشاهد ، وهناك من استعمل الستار والحوار والديكور فلم نعد نعرف إننا كنا أمام نص روائي أو نص مسرحي ، محمود المسعدي واحد من هؤلاء وقد استعمل هذه الطريقة في روايته أو نقل في مسروياته .

وللمسرح حضور كبير في الكثير من الفنون الإبداعية ولا سيما الفنون القولية كالشعر والسرد ، إذ تفيد هذه الفنون من الطاقة الدرامية التي تغذى النصوص الأخرى بكل يعمق الحراك الفني والجمالي فيها ، وعلى صعيد علاقة المسرح بالسرد الروائي تظهر شبكة تقانات خاصة مرتبطة بالمسرح لها علاقة بأفق السرد الروائي يمكن أن نحددها بما يأتي :

- ١- تعددية الأصوات (الحوار)
- ٢- الشخصيات بما فيها (الكورس) و(الأصوات)
- ٣- الحبكة الدرامية (حكاية الصراع التي تنطوي على بداية ووسط ونهاية)
- ٤- الإشارات الخاصة بالعوامل المساعدة (وصف المسرح ، الديكور ، المؤثرات الصوتية ، أدوات الإكسوار ، وصف الحركة أحياناً )....

وعلى الرغم من أن العرض المسرحي على خشبة المسرح تفترض متلقياً قادماً إلى مكان العرض ، بكل ما يستلزم ذلك من إمكانات مادية وشخصية وغير ذلك ، على النحو الذي يكون مكان التلقي فيه يمثل اللقاء الحاسم بين المتلقي والموضوع المسرحي على صعيد الفهم والتلقي ، إلا إن العرض المسرحي بوصفه نصاً مغلقاً له آلية خاصة للإتصال بالمتلقي ، ذلك لأن التراسل العلامي بين العرض والمشاهد لا يخضع لقوانين وشروط الإتصال المعروفة بين المرسل والمستقبل ، فإذا كان الفعل المسرحي يحدث في آن المشاهدة ، فإن رد فعل التلقي

قد لا يكون مباشراً، بل يظهر بعد أيام أو أشهر حسب طبيعة العرض وشروط التلقي ، مثله مثل السرد قصة أو رواية حين تحتاج القراءة إلى تمثيل فكري ومعاينة ذهنية للتوصل إلى مغزى الفكرة ، وبهذا يحصل تلاق آخر بين الفنانين المتجاورين .

في رواية شرفة الهذيان تتجسد العلاقة بين المسرح والرواية على أنحاء مختلفة بحسب حاجة السرد إلى الدراما كما في هذا المقطع :

اعتلد وهو غير مصدق أنه بات على هذه الدرجة من الإحتراف اشد قامته كعسكري يمنح وساماً؛ وفي الشرفات المقابلة أبصر عدداً لا يحصى من الرجال المشدوبي القامات .

وحين تراجع خطوتين نحو عتمة الداخل . تراجعوا أيضاً . أُقفل باب اشرفه .

أُقفلوا باب الشرفات !

أسدل الستارة

أسدوا الستائر !

اشرع الستارة وقد تذكر شيئاً لا يجوز تركه في الشرفة .

اشرعا الستائر وقد تذكروا أشياء لا يجوز تركها في الشرفة !

.....

وفجأة ....

هبطت العتمة ...

فلم يعد هناك سوى وقع الخط العمياء التي تتحسس الأدراج صاعدة !

فضلاً عن أن هذا المقطع السردي الروائي ينتهي نهاية تكاد تكون مسرحية في إغلاق الستارة التي كانت تعرّض حركة الشخصيات على المسرح "وفجأة / هبطت العتمة / فلم يعد هناك سوى وقع الخط العمياء التي تتحسس الأدراج صاعدة !" فهو طبع العتمة في نافذة السرد الروائي هي إغلاق لستارة العرض المسرحي للحاديحة الروائية في هذه المفصل من مفاصل الروائية .

ثم تتمظهر تفاصيل درامية أخرى في هذه الرواية تكشف عن وعي الروائي بالحساسية الدرامية التي يمكن أن تضيف الكثير إلى الحساسية السردية في الرواية ، ولاسيما استخدام الضوء والظل ، والصمت والكلام .

ضوء باهر أخرس ينبعق من قلب الصمت ... ضوء باهر حاد مثل عماء خاطف يستمر للحظات طويلة .

، ثم .

عتمة ....

<sup>١</sup> نفس المرجع، ص: ٢٤٥

صرخ:قولي شيئا !!

ماذا نقول ؟؟؟

صمت....

صرخت: قل شيئا !!

ماذا تقولين ؟!!!

إن هذا المقطع بترتيبه السردي وتقطيعه الدرامي يظهر طبيعة العلاقة الحميمة بين المسرح والرواية، فالوحدات السردية (كلمات / صفات / أفعال) تسهم في تطوير البنية السردية من خلال طاقاتها الدرامية، إذ نلاحظ أن هذه الوحدات "ضوء باهر / أخرس / قلب الصمت / ضوء باهر حاد / عماء خاطف / عتمة / صرخ / قول / تقول / صمت / صرخت / قل" بعلاقتها واشتباكاتها السرد درامية تكشف عن قيمة هذه وحضورها على النحو الذي يعزز أهمية استثمار طاقة الدراما في العمل الروائي، في إطار تداخل الأجناس التي اشتغلت عليها رواية ما بعد الحداثة بصورة واسعة وعميقة.

#### خاتمة

قد كثر الجدل والنقاش حول تداخل الأجناس الأدبية في الفنون النثرية عامة ، وفي السردية أكثر من سواها ، وفي الرواية أكثر من غيرها من الأجناس السردية حتى نجد من النقاد من يرى أن الرواية " هي الجنس الأكثر تحرّراً لأنّه جنس غير مكتمل لا حدود له ولا ضفاف ، أمواجهة ممتدة دون شواطئ، فهو جنس ما ينفك يجهز على الأجناس التقليدية القديمة ليجعلها في خدمته. وهذه الدراسة تتطلب من الباحثين والأكاديمين في الهند السعي الجاد إلى كشف ظاهرة تداخل الأجناس الأدبية واستيعابها لتمكن المسيرة مع المستجدات من النظريات والتقينيات السائدة في مجال الأجناس الأدبية المختلفة.

#### المراجع والمصادر

١. أشرف أبواليزيد، شماوس ، دار العين للنشر، القاهرة .٢٠٠٨.
٢. عز الدين المناصرة، الأجناس الأدبية في ضوء الشعريات المقارنة ، دار الراية للنشر والتوزيع ، عمان .٢٠١٠.
٣. محمد صابر عبيد ، سوسن البياتي ، المتخيل الروائي سلطة المرجع وانفتاحالرؤيا ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع .٢٠١٥



<sup>١</sup> محمد صابر عبيد ، سوسن البياتي ، المتخيل الروائي سلطة المرجع وانفتاحالرؤيا ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع .٢٠١٥، ص: ٢٤٦

## لحوظات خاطفة ومكثفة في رواية "ثلاثة وجوه لبغداد"<sup>١</sup>

محسن م و<sup>٢</sup>

الدكتور، ك محمد بشير<sup>٣</sup>،

### الملخص

وفي هذه المقالة يحاول الباحث تقديم شخصية غالب هلسا ثم يسعى وضع خلاصة روايته "ثلاثة وجوه لبغداد" وفيها ثلات زوايا لتجرباته الغنية، حتى نفهم أحدها ومحورها بشكل موجز.

شخصية غالب هلسا الفذة (١٩٨٩-١٩٣٢)

"ولد الروائي والقصاص الأردني غالب هلسا في قرية ماعين من أعمال الكرك في الباذلة الأردنية ، في الثامن عشر من ديسمبر عام ١٩٣٢ ، لأسرة مسيحية من عشيرة الهلسا . ألحق أولاً بمدرسة القرية حتى انتقلت أسرته إلى قرية (مادبا) حيث التحق بالمدرسة اللاحادية الإنجليزية خلال الحرب العالمية الثانية ، و كان قد شغف بالقراءة منذ صغره ، فقرأ طه حسين ، والحكيم ، وجبران ، و ميخائيل نعيمة ، كما قرأ كما كثيراً من الشخصيات البوليسية و روايات ديكنز و كونراد في الإنجليزية"<sup>٤</sup>. تفتحت اهتماماته السياسية والنضالية مبكراً، و بسبب منها اعتقل و طورد في الأردن ولبنان والعراق ومصر. آخر عهده بالأردن كمقيم كان عام ١٩٥٤ ، حيث غادر إلى بغداد ثم القاهرة وأكمل دراسته الجامعية عام ١٩٥٨ في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وفيها تفتحت مواهبه و نضجت خبرته و كتب معظم أعماله المعروفة . عام ١٩٧٦ اعتقل و أبعد ما شارك في احتجاجات المثقفين ضد زيارة السادات لإسرائيل، فأقام في بغداد ثلاث سنوات ، ثم انتقل إلى بيروت، ضمن إطار المقاومة الفلسطينية ، و معها خرج أيلول ١٩٨٢ إلى عدنان، و أثيوبيا و بولندا. ثم عاد للإقامة في دمشق عام ١٩٨٣<sup>٥</sup>، توفي غالب هلسا في دمشق يوم الثامن عشر من ديسمبر عام ١٩٨٩، وبعد موته بسنوات طبعت أعماله الكاملة في الأردن، وعقدت حول حياته وابداعاته عدة مؤتمرات.

الرواية هي أحد أنواع فنون الأدب ، الذي استطاع أن يفرض وجوده و يغطي على باقي الفنون النثرية الأخرى إذا استطاع ان يستوعب مشكلات الإنسان و عصره و قضيائاه ، ومن المعلوم، أن الرواية منذ بلوغها مرحلة النضج غدت فكراً معبراً عن الكثير من القضايا المهمة والمهيمنة في الوجود الإنساني إلى الحد الذي

<sup>١</sup> رواية غالب هلسا ، ط١ دار آفاق، قبرص، ١٩٨٤ ، ط٢ الرياط: دار النجمة، الرياط، ١٩٩٢ ، (كتبت مسودتها الأولى في بغداد، قبل العام ١٩٧٩).

<sup>٢</sup> باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية، تحت إشراف الدكتور ك محمد بشير، رئيس الجامعة ، جامعة كاليفورنيا ، كيرلا،

<sup>٣</sup> مشرف البحث ورئيس الجامعة، جامعة كاليفورنيا ، كيرلا.

<sup>٤</sup> د. حمدى السكوت ، قاموس الأدب العربي الحديث ، دار الشوق ، ط ٢٠٠٩ ، ص ٣٩٩.

<sup>٥</sup> عبد الله محمد، الرواية القصيرة في الأردن و فلسطين : بنية الرواية القصيرة ، عمان ، دار أزمونة ، ط ١ ، ٢٠٠٧ ، ص ٦٧.

ذهب فيه بعض النقاد الى القول ، ان التغيرات الكبيرة التي شهدتها العالم الحديث، و خاصة الثورات العظمى ، تدين بالفضل في جانب كبير منها الى عمليات تنامي الوعي والبناء الذهني والتأجيج النفسي التي يثيرها الفعل الروائي ، واذا كان بمقدورنا للأغراض الدراسة الأكاديمية فقط تفكيك الرواية إلى مكونات، او عناصر أولية ، فان المكان بلا أدنى ريب يحتل منزلة مهمة ، ان لم يكن موقع الصدارة ، إلى جانب الزمان ، و الشخصية ، والحدث ، والحبكة إذ لا وجود لرواية من دون مكان ولا مكان من دون وجود رواية.<sup>١</sup>

تعد الأعمال الروائية للكاتب الراحل غالب هسا أكثر النتاجات الأدبية الأردنية إلفالات في القرن العشرين. فهي تحظى بمكانة رفيعة داخل السرد الروائي العربي، وبتقدير خاص من لدن القراء و الكتاب و النقاد العرب على السواء.

### خلاصة القصة

إن الرواية "ثلاثة وجوه لبغداد" تجسيد لفعل إبداعي يعيد النظر في القيم الجمالية المتداولة والمألوفة وغير الجمالية، ويدعون إلى قراءة مشكلات المرحلة ومعاناتها. وينحو الكاتب في روايته هذه "ثلاثة وجوه لبغداد" نحو لون من ألوان مستفيد من أسلوبها المتميزة وتقنياتها النادرة، تعصف بالقيود والأشكال المحددة وتحطم الرتابة والتتابع وتعيد توظيف الأحداث والزمان والمكان توظيفا جديدا ببطاقات أكبر. وتميل إلى اتخاذ تيار الوعي والتذكر والارتداد للتعبير عن نوازع النفس البشرية وهي في حالات الإشراق والتعتيم. ومن الملاحظ أن الشخصية "هو غالب المرحل من القاهرة إلى بغداد، الذي يسير في شارع الرشيد ويقف أمام مكتبة يقرأ عنوانين الكتب ليجد أحدهما له"<sup>٢</sup>

### محور الرواية

هناك في رواية "ثلاثة وجوه لبغداد" ثلاثة أقسام، القسم الأول عنوانه "الوجه الأول من خلال عيون مصرية"، والثاني "الوجه الثاني: الحفلة أو كوميديا الأسماء"، والقسم الثالث الأخير وهو الأكبر حجما" الوجه الثالث: زحف الغابة". ويشتمل الأول من لقطات متباينة يغلب عليها القدر والقمع والسلطة والإبعاد والشذوذ، أما القسم الثاني فيكاد يتكون لوحدة مستقلة تتشكل من خلال الاغتراب والعبث الوهم، ويتشكل الثالث من مشاهد ومظاهر وصور مبعثرة يسيطر عليها الخوف والرعب والحزن والتوجس. وبتركيب الأقسام الثلاثة يتشكل عالم روائي، إضافة إلى دلالات كل قاسم الغموض والكوابيس والأوهام والعجز عن الفهم. بل إن السادس يفقد أخيرا صوته وقدرته على الفهم أو التفكير:

<sup>١</sup> د. خالدة حسن حضر، المكان في رواية الشماعية للروائي عبد الستار ناصر، مجلة كلية الآداب ، العدد ١٠٢، ص ١١٣ ،

<http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aid=74973>

<sup>٢</sup> المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، كانون الأول ٢٠١١، ص ١٠٨ .

## أحداث الرواية

القسم الأول هو "الوجه الأول من خلال عيون مصرية" ، يظهر فيها الراوي، واسمه غالب هلسا أيضاً، كيف وصل إلى بغداد، بعد تسفيهه من سجن المطار في القاهرة. لدى وصوله إلى عاصمة الرشيد، كان غالب يستعيد كل شيء من وجهة نظر عاصمة المعز. انطباعات المصريين للذين يقابلهم، وهو في طريقه إلى الفندق الشعبي الزخيفي، وللذين يتصورونه مصريا جاء للعمل حلاقاً في بغداد. كل شيء في بغداد يحيل إلى مثيله في القاهرة.

الثاني من الرواية هو "الحفلة أو كوميديا الأسماء". وفي هذا الجزء يبدأ الكلام بانتقام الروائي من انهزامه، بتخييل انتصار الراوي. ليس عند غالب فكرة تامة كيف وجد نفسه في تلك الحفلة التي شعر فيها أنه موضع سخرية المضيفين الذين كانوا يصررون على مناداته باسم عباس. وبرغم الجفاء والتتجاهل اللذين أحبط بهما، أو بالأخرى بسببهما، فقد كان على غالب أن يتخييل قدرته على استغواه أجمل فتاتين في الحفلة، ظل يصر على أن اسمهما هما سهام وليلي. وقد تمثلت فحولة غالب الراوي في أقصى مظاهرها الوهمية والمهذانية حين أفلح في مضاجعة ليلي في المرجحة وعلى مرأى من جميع الضيوف، اللذين كانوا يراقبون المشهد، بحياد المنهزمين. على أن هذا الانتصار لا يمكن له أن يكتمل، لأن ليلي، في حقيقة الأمر، هي التي اغتصبت غالباً. وتتبين الإشارة هنا إلى أن هذا المشهد لم يفلت من رقابة الروائي، الذي قسم نفسه سردياً، في تلك اللحظة، إلى مراقب فاعل بأختيلته وأوهامه، ومشارك سلي باستسلامه لأوهام المراقب. ويتجلى هذا في الرواية: "ثم ذاب غالب المراقب، واندمج في غالب الساكن المستسلم، وغاص في نشوة مطلقة. كانت ليلي تعانقه، وهي تئن، وتدعوه أن يلتهمها، ويمزقها ولا يتبعده عنها أبداً. يحس بملمس جسدها العاري - متى خلعت ملابسها؟ - على جسده. وهو، أيضاً، لا يدرى متى وكيف قد تخلص من ملابسه."<sup>١</sup>

وهكذا في أحداث الوجه الثالث لبغداد بعنوان "زحف الغابة" ، هي تدور البيت الذي يسكن فيه الروائي، يتتألف البيت من طابقين. يسكن غالب في الطابق الأرضي، بينما يسكن في الطابق الثاني منه صديق غالب، اسمه أيوب، وهو رياضي عربي تخرج من أمريكا، وذهب إلى بغداد للتدريس في كلية التربية الرياضية. والمفروض أن يكون مدرس مادة التربية الرياضية قوي البنية، ومثالاً على "الفحولة" ، في شكلها الجسدي في الأقل. وقد كان أيوب كذلك فعلاً، فهو الذي هزم مجموعة الرجال التي هاجمت غالب، واصطحبته في سيارة الأجرة التي استقلها إلى بيته. غير أن أيوب، حين يرى غالب وصديقه سهام عاريين، يتعرض لصدمة نفسية، وينهار. لقد تجمع الكبت الذي زرعته فيه المدينة في تلك اللحظة، وانفجر انفجاراً، تحولت فيه فحولته الرياضية إلى خصاء، كما تدل على ذلك تلميحاته الجنسية التي يصارح بها صديقه غالب، حول حجم أداته

<sup>١</sup> غالب هلسا، ثلاثة وجوه لبغداد (رواية) ط ١ دار آفاق، قبرص، ١٩٨٤، ص ٧٨.

الفحولة. يضطر غالب حينئذ إلى الاتصال بمستشفى الأمراض العقلية لأخذ أيوب. ومنذ هذه اللحظة سيتحول البيت بطابقيه مسرحاً لأحلام اليقظة التي يمارسها غالب.

### ثلاثة وجوه لبغداد: الرؤية الاليقينية للعال

حينما يقوم الباحث بالتحليل هذه الرواية أن بغداد لها "ثلاثة وجوه" وعالم الروائي وأزمانه ومشكلاته في الحياة بشكل واضح كما يظهر العلاقة بين الإنسان والعالم أكثر تشابكاً تعقيداً. فالبنية السردية تجسد غموضاً يعتري حركة الواقع ومساره. والحقيقة لا تتمكن في الداخل أو في الخارج، بل هي غائبة أو لها وجوه مختلفة وربما متناقضة شأنها شأن بغداد. ويشعر المرء من خلال ما تشييه البنية السردية بشكل مباشر وغير مباشر أحياناً، أن الذات الإنسانية برمتها مهددة بالذوبان والتلاشي. وتشير الصور السردية والحوارية المتناثرة والمتجاورة والمترادفة بسطوة القمع السياسي والفقر الشديد هيمنة اللامنطق واللامعقول، وانهيار المنظومات الحزبية على اختلافها وتأكليها من الداخل، وتمزق المبادئ والمقولات والشعارات، وتشتت الذات الجماعية وحيرة الذات الفردية وهامشيتها، وغموض الزمن الراهن والآتي.

وتبدو تدخلات السارد هنا متعمدة ومقصودة وذات دلالة. فهو يتدخل بصورة مباشرة وغير مباشرة، لا ليربط بين الأحداث أو يصل مانقطع من الصور السردية، بل تراه يتعمد مخاطبة القارئ ومحاورته ويقصد التعليق والشرح، وهو يهدف من وراء هذا إلى إلغاء المسافة بين التجربة المعيشة وتجربة الكتابة وإلى تحطيم مبدأ هام من مبادئ الرواية الحديثة<sup>١</sup>

لقد كانت البداية مع "ثلاثة وجوه لبغداد" ليس فقط لأنها لا تخرج من نطاق هذه القاعدة التي يسيطر فيها الجنس على كل شيء، وإنما أيضاً لأنها تعتبر باعتراف كثير من النقاد واحدة من أفضل وأروع أعمال غالب هلسا الروائية من حيث البناء وإحكام الصنعة والإيجاز والتناغم بين الوحدات السردية المختلفة، ويرى الدكتور ضياء خضير<sup>٢</sup> بأن "الوجوه الثلاثة" التي قدمها غالب لبغداد لا تبعث كلها على الارتياح في نفس عراقى مثلي، ولا تدفع قسماتها إلى حب المدينة أو معاودة النظر إليها مرة بعد المرة. ولئن كان هذا يشير إلى حقيقة خارجية ليس لها صلة بعالم النص نفسه، فإنه يومي، في الوقت نفسه، إلى طبيعة الالتباس في العلاقة التي قامت بين الروائي والمدينة، والتجربة التي كانت له فيها في المرات الثلاث التي أتيح له أن يدخلها ويعيش فيها أوقاتاً مختلفة من حياته في الخمسينيات وأواسط السبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن الماضي.

بعد انفراط عقد الجبهة الوطنية التي كان الحزب الشيوعي العراقي طرفاً فيها، تبين لنا عمق الشقة وبعد المسافة التي جعلت غالب غير قادر على التلاؤم مع المكان الجديد الذي رأه في بغداد، وعدم قدرته على

<sup>١</sup> مجموعة كتاب، وهي الكتابة والحياة ، قراءات في أعمال غالب هلسا، ط١، دار آزمون، ص ١٠١-١٠٣.

<sup>٢</sup> أستاذ بجامعة بغداد، يعمل حالياً أستاذاً في كلية التربية بصور - سلطنة عمان. دكتوراه دولة في الأدب المقارن - فرنسا.

الانسجام مع بعض الوجوه التي رسمها في روایته تلك. ولذلك يجوز لنا القول مع الروائي المصري "إدوار الخراط" أن الوجوه الثلاثة التي رسمها غالب لبغداد كانت وجوها لغالب هلسا نفسه، وليس لبغداد وحدها. فعلى الرغم من غنى تجربة غالب العراقيه ومحاولته الحميمة اكتشاف "جماليات المكان" في عاصمة الرشيد، والاحساس بنبيض المدينة، فإن بغداد ظلت بالنسبة إليه بعيدة عن أن تكون من نوع المكان الأليف الذي يمثل مركزاً لتكيف الخيال والذكريات المستعادة وهي، كما يذكر غالب في مقدمته لترجمة كتاب "جماليات المكان" لـ "غاستون باشلار ليست معطيات ذات أبعاد هندسية، بل مكيفة بالخيال وأحلام ليقظة".<sup>١</sup>

ومع ذلك هناك من ذكريات غالب هلسا عن بغداد في أحد فصول روایته "الضحك" فإننا نشعر بحنينه الجارف إليها:

"عندما أرغمنوني على مغادرة بغداد رأيتها من خلال الدموع مثلقة بالطيب، مخدرة بالغواية، مرسوطة اليدين.. وأغمض عيني أحياناً، فأرى أنني أجوس في شوارعها ومنحنياها.. أغوص في قسمات وجهها.. أدخل تلك البيوت وأجلس، أنادي الأصحاب.. أجلس، أنادي الأصحاب.. أجلس في المقاهي أتخطى في الحواري".<sup>٢</sup>

#### المصادر والمراجع

١. غالب هلسا، ثلاثة وجوه لبغداد (رواية) ط١ دار آفاق، قبرص، ١٩٨٤
٢. غالب هلسا، الضحك (رواية) ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٠، ط٢، دار المصير، بيروت، ١٩٨١
٣. د. حمدى السكوت، قاموس الأدب العربي الحديث ، دار الشوق ، ط ٢٠٠٩
٤. عبيد الله محمد، الرواية القصيرة في الأردن و فلسطين : بنية الرواية القصيرة ، عمان، دار أزمنة ، ط ١ ، ٢٠٠٧
٥. د. خالدة حسن خضر، المكان في رواية الشاعرية للروائي عبد الستار ناصر ، مجلة كلية الآداب ، ٢٠٠٤
٦. مجموعة كتاب ، وعي الكتابة والحياة ، قراءات في أعمال غالب هلسا، دار أزمنة ، ٢٠٠٣
٧. د. ضياء خضر، حكاية الصبي والصندوق الجنس عند غالب هلسا، ط١ ، ، درا أزمنة، ٢٠٠٣
٨. المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، كانون الأول ٢٠١١



<sup>١</sup> د. ضياء خضر، حكاية الصبي والصندوق الجنس عند غالب هلسا، ط١، ٢٠٠٣، درا أزمنة، ص ١٤-١٥.

<sup>٢</sup> غالب هلسا، الضحك، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٠، ص ٩٩

## عبد الكريم معتوق المزروقي: نظرة طائرة

د/ مظفر عالم<sup>١</sup>

## الملخص

(أما جرير فيعرف من بحر) مقولة مشهورة للمقارنة بين جرير والفرزدق، قرأتها في دراستي الجامعية الأولى، وعرفتها حق المعرفة وأنا أقرأ ديوان (أعصاب السكر) للكريم معتوق. من هو الشاعر كريم معتوق؟ هو عبد الكريم معتوق المزروقي خريج آداب لغة عربية، من مواليد ١٩٦٣ - الإمارات العربية المتحدة. كان رئيس اتحاد كتاب الإمارات في أبو ظبي سابقاً، كتب في الصحافة المحلية عموداً أسبوعياً في جريدة "الاتحاد" بعنوان (القلم الأزرق) وفي مجلة "كل الأسرة" بعنوان (ملح وسكر) ومقالاً يومياً في جريدة "أخبار العرب" بعنوان (معكم). أعد وقدم برامج إذاعية وتلفزيونية منها مدارس إذاعة أبو ظبي و(الثقافة والناس) لتلفزيون دبي، وله برنامج مثل (مبدعون تحت الضوء) و(وجه القصيدة) و(أنا اعتقد).<sup>٢</sup>.

كما أنه "حصل على الجائزة الأولى في الشعر، والجائزة الأولى في القصة في مسابقة كلية التجارة بالكويت بين ١٩٨٠-١٩٧٩".<sup>٣</sup>

كريم معتوق الشاعر الإماراتي الذي توج بلقب أمير الشعراء في الموسم الأول من مسابقة أمير الشعراء التي تنظم في أبو ظبي، والتي يقول عنها أنها "حركت المياه الراكدة في المشهد الشعري العربي، وأصبحت حقيقة، وأخذت مكانها من الإعلام العربي ما لم يأخذ حدث ثقافي أو شعري آخر، وأدركت في مشاركتي في الدورة الأولى أنها قدمني بشكل ماسي إن لم يكن ذهبياً للقارئ العربي الذي لم تكن لي إمكانية الوصول إليه بهذا الشكل المباغت، فالمسيرات الشعرية والندوات والمحاضرات ومعارض الكتب، كلها تؤدي إلى تعارف ووصول الأديب إلى نخبة صغيرة من القراء المعنيين بالثقافة، أما «أمير الشعراء»، فجعل المشهد الشعري شعبياً وجماهيرياً، والمشهد الشعري لم يكن قبل ذلك إلا نخبوياً، فقد كانت الرياضة والغناء هما فقط المتسيدان في المشهد الجماهيري والشعبي العربي، واستطاع هذا البرنامج لعدة أسباب، أذكر منها الاسم والعنوان الذي انتقى بهمارة جذبت عامة المشاهدين. قد يختلف معه بعض الشعراء ولكن هذا دأبهم في الاختلاف، أيضاً وجود آلية محكمة للتتصفيّة جعلت كل مشاهد عربي طرفاً في هذه المسابقة، فأخذت بعدها

١. الأستاذ المشارك، قسم الدراسات العربية ، كلية الدراسات العربية والآسيوية، جامعة اللغة الإنكليزية واللغات الأجنبية، حيدر آباد.

٢. أدب الموسوعة العالمية للشعر العربي

<http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=ssd&shid=493>

٣. المصدر: معجم مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود الباطгин للإبداع الشعري

<http://www.albatainprize.org/Encyclopedia/poet/1323.htm>

جماهيريا عالميا، وهي لفتة تحسب للمنظمين، أضف إلى ذلك أن النخبة الأولى التي اشتركت في «أمير الشعراء» كانت من أبرز الشعراء في الوطن العربي<sup>١</sup>.

له مجموعات شعرية مثل: «طفولة» و «مناهل»، و «طوقتني»، و «هذا أنا»، و «مجونة»، و «حكاية البارحة» و «السامري» و «أعصاب السكر» و «خذلتك الأمة» و «الطلقة الأخيرة» و «قسطرة» و رحلة شعرية «رحلة الأيام السبعة» و رحلة أخرى طبعا ثانية باسم «رحلة ابن الخراز» و قصة شعرية «قصة موسى» و ترجمة شعرية «سوانح» و رواية شعرية «حدث في اسطنبول» واحسنه صاحب السبق فينظم دواوين تتحدث عن هذه المجالات حيث أن هذه المجالات لم يخض فيها أحد إلا نثرا.

كتب قصيدة بعنوان (عتاب متأخر للسيّاب) في مجموعته الشعرية "أعصاب السكر" سأورد بعضها:

شاعر علمي الشِّعر  
ولم يحزنْ علىَّ  
لا ولم اعتُبْ عليه  
كنتُ في طُهر الغباء العربي  
لم أكن أعرفُ ما معنى نجوم الليل  
ما معنى بأن أسمِر لِلصَّبحِ  
وقد كتُبْ صبيَّ  
شاعرُ أيقظَ عندي  
شهوةً الشِّعرِ ولم يُشفقُ علىَّ  
صرتُ من بعدكَ صوتًا شاعرياً  
ولقد أنقنتُ حزناً أممياً  
دون أن أملأَ أحلامَ نبيَّ  
ها أنا أكتُبْ كي ترضى علىَّ الناسُ  
من بعدكَ  
هل ترضى علىَّ .. ؟

<sup>١</sup>. جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٣٠٣١ تاريخ ٥ شوال ١٤٣٥ هجرية

شاعرٌ غافلٌ أيامِي وأهداني المفاتيح  
 وأهداني .. إلى  
 قال لي دعك من الشِّعرَ  
 ومما يكتب النقدُ  
 ودع صفحَك دوماً عن جنونِ الشِّعرِ  
 إنْ كان شهري  
 قال لي أبوابُ ماضيك  
 من الماضي  
 فلا تلتفتِ ، البارحةُ الكبُرى مضتْ عَنَّا  
 فلا تسأل شيئاً  
 حين لا تترك شيئاً .

لا أجد تعبيراً أجمل وأكمل مما قاله الشاعر نفسه عن هذه القصيدة، " بعد التأمل لمدة تزيد على الأربعين عاماً من كتابتي الشعر، التفت لتجربة السِّيَاب بعد ذلك، بعد مرور أربعين عاماً بعد وفاته، وتجلَّ ذلك في تحولِي في كتابة قصيدة التفعيلة، حيث إنني قبل لقائي السِّيَاب وقراءتي شعره كنت في تلك الرعنونة الشعرية في البداية، التي كانت تمنعني من قراءة أي نص غير مشروط بالشكل العمودي، إلى أن قرأت السِّيَاب، وعندها أدركت أنني أكاد أضيقَ مجرةً من الإمكانيات والخيال الشعري وهي شعر التفعيلة، ومن هنا جاء هذا العتاب متأخراً، إذ كتبت هذه القصيدة للسِّيَاب في فترة سابقة. السِّيَاب ليس شاعراً مجيداً فحسب، بل يتميز عن بقية الشعراء في أنه أسس ابتداعاً شعرياً في زمن لا يزال فيه كثير من الشعراء يتخبطون من أجل البحث عن ريادة وهمية فيما يسمى قصيدة النثر أو ما يسمى قصيدة الومضة وكل الصراعات التي تمنع صاحبها فضل الريادة. السِّيَاب شاعر عظيم، وهو لاءُ الذين استطاعوا في مجتمع كالمجتمع العراقي العريق في الشعر والمُسكون بأعلام الشعر وموروثاته، التي بسطت سيطرتها الأدبية والسياسية أيضاً كالجواهري وغيره، يخرج هذا الشاعر ليتبني نهجاً جديداً وهي مغامرة تحسب له" ٢.

ومن روائعه قصيدة تحمل اسم (المساء) وهي ثالث قصيدة تحمل هذا الاسم بعد قصيديتي خليل مطران وإيليا أبو ماضي، ولا أقصد هنا أنها تقليد لهما، أو أنها سارت على نهجهما، بل إنها نافستهما على العنوان، ولا أبالغ إن قلت إنها استحقته وفازت به، لأن المساء من رمزية للحب والعشق والغزل واللقاء

١. كريم معتوق، ديوان أعصاب السكر، دار الياسمين للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، سنة الطباعة غير موجود، ص: ٩٤-٩٦.  
 ٢. جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٣٠٣١ تاريخ ٥ شوال ١٤٣٥ هـ.

والدفء ، وهو ما نلمسه واضحًا جليا في قصيدة شاعرنا كريم معتوق بعكس قصيدة خليل مطران التي تحتوى مساؤها على الألم والجوى والغربة بل ووصل الحد بالشاعر أن أخذ من مساءه الظلام، مشيرة إلى الزوال والموت، كذلك قصيدة إيليا التي يخاطب فيها (سلمي) الحائرة الشاردة تتقاذفها الأفكار والهواجر وهي ترى للشمس الصفراء المريضة وقت الغروب، مشبهًا الغروب بانقضاء مرحلة الطفولة ، واقتراب الكهولة كأشباح في الغيم، ومحاولة الشاعر بث الأمل والتفاؤل في روح سلمي....الخ.

يقول شاعرنا في مطلع قصيدة المساء:

لماذا أحُسْنُ بهذا المساء  
بأنكِ غيرُ جميع النساء  
وأنكِ أقربُ مِنِّي إِلَيَّ  
وأقربُ من دفءِ هذا الهواء  
وأعرفُ بعْدَكِ حجم انكساري  
وحَجَم احتضاري  
كَانَ الشتاءُ  
تمادي..  
وألفَ حنينِ تمادي  
وحزني تمادي عليه الغباء  
لماذا تأخرتِ ، بعضاً كثيراً  
وبعضاً قليلاً  
ونصفَ اشتہاءٍ  
لماذا تأخرتِ ؟  
لونُ القصيدةِ طعمُ القصيدة  
شيءٌ من اللهِ  
هذا العطاءُ  
فكلُّ القبائلِ قبلَكِ يُنْتَمُ  
وكلَّ المحبينِ كانوا سراباً  
 وإنْ شئتِ إنْ شئتِ كانوا هباءً

١. كريم معتوق، أعصاب السكر، دار الياسمين للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، سنة الطباعة غير موجود. ص: ١٦٦-١٦٧

يقول شاعرنا، لماذا أحس هذه الليلة بأنك امرأة مختلفة عن باقي النساء، وأنك أصبحت أقرب إلى نفسي مني بل أن وجودك يدفئني ويحيطني بنوع من الحنان الذي يغبني عن دفعه الهواء.  
أعرف واعترف أنك لو ذهبتِ سأصبح إنساناً محظماً بل سيحصل بي الأمر إلى حد الاقتراب من الموت،  
كان برد الشتاء زاد في شدته وزاد حنيني وشوقي إليك ودخلت أحزاني مرحلة اللاوعي، لماذا تأخرتِ كثيراً، أو  
قليلًا (لم أعد أعي حساب الوقت) لما تفقديني طعم إحساس شوقي لك وتتأخرين.

الشعر هبة من الله يهبها من يشاء، ولكن من قبل أن أعرفك كانت كل القبائل يتيمة منقطعة الصلة  
وكان العاشق المحبين كان لم يكونوا قبل وجودك أنت (فأنت الحب والحب أنت)، وان أردت دقة الأمر  
وخلاسته فإنهم كانوا قبلك هبابا ونقا وترابا، وللقصيدة بقية فلم نخض إلا في أقل من نصفها.

وعن قصائده في المرأة بين الواقع والتخيل يقول: "من الأجمل ألا يطلع القارئ على ما وراء العمل  
الإبداعي لأنه في الغالب، وخاصة في الرواية والقصة القصيرة، يمثل جزءاً بسيطاً من الورقة وجزءاً كبيراً من  
الخيال، فيصبح أمامك عمل إبداعي، فإذا أوغلت في خصوصية العمل وذهبت إلى تفكيرك هذا الخيال وفضح  
سره فسيبقى جزء يسير من الواقع الذي يؤمن به القارئ، ولكنه يخسر جزءاً كبيراً كان به الفن والخيال  
العامران. لا أعني أنه لا توجد أعمال عن قصة حقيقة على أرض الواقع، ولكن كل واقع حقيقي لا بد أن  
يحمل بالخيال لأنه يجد صداح في الشعر، فالحديث عن وقائع مثلاً في السرد وارد، فإن كان للقصيدة القصيرة  
والرواية مساحة من الواقع، ففي الشعر يجب أن تضيق هذه المساحة إلى أكبر درجة" ١.

ومن ديوانه المعنون (طفولة)، الكلمة التي اصطفاها الشاعر، عنواناً لديوانه، يقدم الشاعر عشرين  
لوحة شعرية، غالبيتها من القصائد القصيرة، سنخوض في ذكريات اللوحة الثانية من طفولته، والقائلة:

حين كنا في الصغر  
كانت الأمواج حراس الجزيرة  
لم نكن نخشى من البرد  
ومن حرّ الظهرة  
وإذا جاء لنا الليل وقالوا لها هي أم أدويـس  
لكن لم تجيء  
كان بعض الحزن يأتيـنا  
ويأس يبتـدىء  
يحتـوبـنا

١. جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٣٠٣١ تاريخ ٥ شوال ١٤٣٥ هـ

وإذا قالوا هناك الجن فاحذر  
لم نكن نعرف ما معنى الحذر  
لم نكن نعرف إذ إن القدر  
غير ما نلقاء في هذا الزمان المنحدر  
غير ما نلقاء إذ حتى القمر  
غير ما كان القمر<sup>١</sup>

تمثل الطفولة تجربة غنية في تاريخ الإنسان عامة، والخلق خاصة، بين الشاعر الخالق والطفل صلة وثيقة، وطور الصغر من أهمل الأطوار وأكثراها غنى ووضوح في حياة الإنسان، ويحيا الإنسان دائماً حياة شوق وحنين وذكريات لطفولته بعالمها الزمكاني (الزمني والمكاني) وتمثل هذه المرحلة أهم موارد الانطلاق الشعوري للتجربة الشعرية، وتبرز الأسطورة في اللوحة الثانية بوضوح وصراحة باعتبارها أحد مصادر تشكيل الوعي في الطفولة، والمساهمة في تكوين وجдан للطفل: حين كنا في الصغر كانت الأمواج حرس الجزيرة لم نكن نخسي من البرد ومن حر الظهرية وإذا جاء لنا الليل وقالوا لها هي أم أدويس لكن لم تجيء كان بعض الحزن يأتينا ويأس يبتدئ.. نحن هنا إزاء (أم أدويس) وهي أسطورة شعبية. كما عرفها الشاعر في هامش القصيدة . لسيدة متوجهة تخطف الأطفال في الليل، يجعل الشاعر لهذه الأسطورة بعدها اجتماعية، يبرز من خلاله ضرباً من ضروب التربية الخاطئة القائمة على التخويف، وهو أسلوب يؤدي إلى نتائج عكسية أو سالية، فأسلوب تخويف الأطفال (وهو الهدف الأساسي من ذكر أم أدويس) لم يتحقق، إنما احتواهم الحزن وابتدا اليأس يدب فيهم.

ويستمر مع الأطفال أسلوب التربية الخاطئ وذلك بإخافتهم وتحذيرهم من الجن لكن براءتهم وطفولتهم كانت أصغر من أن يفهموا معنى الحذر أو الخوف أو حتى موضوع القدر، فقد كانت الدنيا في عيونهم جميلة رائعة وليس كما يروها الآن بعد أن كبروا، حتى القمر كان له معنى جميلاً غير معناه الآن الذي اكتنفته صورة من القاتمة.

و من روائعه ديوان (رحلة الأيام السبعة) الذي قال عنه صاحبه: "جميع النماذج التي تناولت الرحلة والسفر كانت نثراً ، وفي بعض الأحيان كانت رواية ، وفي أقرب حالاتها الشعرية أبيات محدودة في قصيدة، سرعان ما تخرج إلى معنى آخر غير الرحلة، فقد كتبت شعر الرحلة وهذا الديوان في عام ١٩٩٢ م مقتدياً بما تمليه على الحالة الشعرية، من تنوع في البحور بما يناسب كل حدث في وقته، ولم أرد أن أعمل بمشرط الشاعر ما يجعلني منسجماً مع ما تعارفنا عليه من وحدة البحري في كل قصيدة، على حساب الدفق الشعري، و

<sup>١</sup> .. كريم معتوق ، الطفولة ، دار الياسمين للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، سن الطباعة غير موجود ، ص: ١٥-١٦

ما تملية الغنائية العالية في السرد الشعري، حيث يتفق ماء الشعر في السرد بما لا يجاريه أي سيل من سيول البناء في الشعر العربي<sup>١</sup>.

يصف الديوان سبعة أيام لرحلة الشاعر وتناول موضوعات متنوعة منضما إلى رثائه للشاعر سلطان بن علي العويس<sup>٢</sup> الذي انتقل إلى جوار رحمة الله في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، فقال:

جاءوا لتعيك لما زلزل الخبر	الخير والحب والإبداع والوتر
هلا أجزت محبا جاء يعتذر	حاذرت نعيك يا سلطان معذرا
تستأثر النجم إسهاما وتحتصر	كانت لديك يد في الأفق سابحة
أن لا تعادي وفي ذا العيب نفتخر <sup>٣</sup>	كانت لديك عيوب نحن نعرفها

لا أجد تعبيراً أجمل وأروع مما عبر الشاعر عن الرحيل المغفور أن الميزات مثل الخير والحب والوتر تتعي وفاة الرحيل وهو يشارك في البكاء والألم بصورة غير مباشرة ويدرك خصائصه الذاتية التي لا مثيل له في الدنيا وكانت نقائصه أيضاً بمثابة المحاسن البشرية.

كما يعرف عبد الكريم معتوق لديوانه الرائع (هذا أنا) الذي يحيط بقضايا إنسانية مختلفة، يحتضن في طيه الوصف والغزل والمدح والرثاء، بدأ الديوان من هوية الشاعر وانتهى بال مدح النبي المعنون "ما لامست بردته". ومن بين مختلف القصائد توجد قصيدة (الرأي) والتي أهدتها المزوقي للشاعر عبد الله البردوني<sup>٤</sup> في أمسيته الشعرية في دبي صيف ١٩٩٤ م قبل الحرب الأهلية في اليمن بأسبوع، واختارت هذه القصيدة من القصائد المتنوعة لأن اليمن على حد زعمي، عاد إلى ما كان عليها من جديد، فقال فيها:

أهـا القـادـم مـن صـنـعا قـل مـا شـئـت  
لـكـن (ـيـمـنـ)

لـم يـكـن سـهـلا كـمـا ظـنـ الـقـادـم فـيـهـ

<sup>١</sup> رحلة الأيام السبعة، كريم معتوق، دار الياسمين للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٥ م ص: ٧-٦.  
<sup>٢</sup> الشاعر سلطان بن علي العويس من بلدة الحيرة ، بإمارة الشارقة الإماراتية. نظم أولى قصائده وهو دون العشرين من عمره . أعلن سنة ١٩٨٧ م عن جائزة سنوية ، قيمة للابداع الفكري الأدبي ، وأخرى لابتكار العلمي ، وحملت كلاهما اسمه ، وأسس مكتبة العويس التي تضم أربعين ألف كتاب ، وقد ترك ديواناً غنياً بالأشعار، تحت عنوان ، ديوان سلطان العويس ، وقد وافته المنية سنة ٢٠٠٠ م .

<sup>٣</sup> رحلة الأيام السبعة، كريم معتوق، دار الياسمين للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٥ م ص: ١٢٧-١٢٦.  
<sup>٤</sup> عبد الله البردوني شاعر يمني وناقد أدبي ومؤرخ (١٩٢٩-١٩٩٩ م)، فقد بصره وهو في السادسة من عمره إثر إصابته بالجدرى. عُين أستاذاً للأدب العربي وعمل أيضاً مسؤولاً عن البرنامج في الإذاعة اليمنية، أدخل السجن في عهد الإمام أحمد حميد الدين وصور ذلك في إحدى قصائده، له العديد من الدواوين والدراسات النقدية ومن أهم قصائده التي اشتهر على إثرها عربياً قصيدة "أبو تمام وعروبة اليوم"

أو كانت عدن

لقمة لينة يمضغها الفكر الذي بهوى

فحديثنا إذن

لم هذا الموت بالمجان

والسيف اليماني لم

والدستير التي تمضغ كالقات لم

أبداً يحزننا هذا اليمن ١

والقصيدة الأنفة الذكر تصور اليمن تصويراً صادقاً قبل عقدين من الزمن، ولكن مع الأسف الشديد

عاد الوطن حالياً إلى ما كان عليه من الظلمة والقهر والعنف وال الحرب.

وبالنسبة لهويته الشخصية قال الشاعر:

هذا أنا

ما إن أراك بجانبي

إلا اشتتت وداعنا

حزني أعز علي من فرجي

و من أعيادنا

غبي.....

لأنك كلما تناهى المسافة بيننا

أدري بأنك لي أنا ٢

و من بين آثاره الشعرية التي وصل إلينا ديوانه (قسطرة) والذي يتحدث عن الحب والجمال والمديح والرثاء والاستغاثة والاحتذار و اللغة العربية وغيرها من الموضوعات الأخرى، فحاول في قصيده (اللغة العربية) أن يرى هذه اللغة من وجهة تختلف من الوجهات المختلفة للشعراء العرب السابقين، مثلاً تصبح لغة الضاد على لسان وائل عبد الله العباسة حيث يقول الشاعر في مطلع قصيده:

لساني كله فخر و عمري طوله دهر

و أحرفه منارات تشبع بخيرها السير

وفي ألفاظه حور يتيه بحبه الحبر

١. كريم معتوق، هذا أنا، دار الياسمين للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٥م، ص: ١٣

٢. نفس المرجع، ص: ٧

و قصيدة رائعة عن هذه اللغة التي تبني حظها للشاعر الراحل حافظ إبراهيم التي قالها كله أنسى على لغتنا ولساننا العربي:

و ناديت قومي فاحتسبت حياتي	رجعت نفسي فاتهمت حصاني
عقمت فلم اجزع لقول عداتي	رموني بعقم في الشباب وليتني

و الأستاذ الشاعر محمد حسن ظافر الهلالي صاغ قصيده عن اللغة العربية على شكل قصة جميلة ومحاورة جذابة، فهو دافع هذه اللغة بكونها لغة القرآن الكريم وقال:

سبحان من في علمه السر كالجبر	مقسم الأرزاق في البر والبحر
متشوقة للأحداث قد شغلت فكري	و من بعد هذا يا أخي هناك قصة

أما شاعرنا المرزوقي فيبدأ قصيده (اللغة العربية) بن

أعجبت مني أم عجبت لذاتي	ها أنت في كل الجهات جهاتي
خلفي أراك و أنت قدامي معي	عيثا أسابق واقفا خطواتي
وهنا أراك هناك تسأل عن هنا	فمضيتك معتصما بحبر دوائي

و عن وجه تسمية الديوان (قسطرة) أعرب الشاعر بأنه مرت بعملية قسطرة ظنها بسيطة و قيل له أنها ستكون بوعي كامل ، فكان يراقب آلة التصوير وهي تدخل الشرايين والقلب، لم يخبر والدته خوفاً عليها ، و حين قيل له بأنه سوف يتألم قليلاً، طلب مكالمتها لأنها كان بحاجة إلى دعائهما، و من بين رفضهم و إصراره خرجت هذه القصيدة ، فقال:

رأيت الموت فامتدت	يدي تستأجر الموتا
لدي قصيدة أخرى	زرعت حروفها صمتا
فيما موت انتظر بالباب	لا تخمد لنا صوتاً

و روایته الشعرية (حدث في اسطنبول) رواية حب و غربة في نص شعرى، تملاً الحب صفحاتها مع وجدان المفترب و شعوره ، هي قصة الشاعر المرزوقي الذي يفر من واقعه باحثاً السلوى من خلال قيامه في اسطنبول أو لغرض السياحة فيها، يتطور السرد بما حدث مع البطل في علاقته مع فتيتين في آن واحد، نيفرا و ليلي و التي تفاقمت بسرعة فائقة، و علاقته مع الشخصيات الأخرى للرواية ترمز إلى الأمة العربية التي فقدت عنها هاجس العزة والهوية.

١ كريم معنوق، قسطرة، كريم معنوق دار الياسمين للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٤ م ، ص: ٢٧

٢ المرجع السابق ، ص: ٢٢٧

## الخاتمة

خلاصة القول إن الشاعر عبد الكريم معتوق المزوقي من الشعراء الكبار من الإمارات العربية المتحدة و الذي قلمه ليس مقصورا على الأصناف الشعرية المختلفة، وبل امتد نطاقه إلى أجناس نثرية متنوعة من القصة والرواية والرحلة والسيرة وغيرها، اصطبغ شتى مضمونين في صبغة نثرية، وصاغها في صياغة حديثة، و الموضوعات التي تناولها في قصائده ربما ليست حديثة ولكن، دون مساء، تقدم من وجهة نظره الفريدة و تتطلب قراءتها في سياق معاصر متغير في كل روح من الزمان .

## المصادر والمراجع

١. كريم معتوق، ديوان أعصاب السكر، دار الياسمين للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، سنة الطباعة غير موجود.
٢. كريم معتوق، ديوان الطفولة، دار الياسمين للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، سن الطباعة غير موجود.
٣. كريم معتوق، ديوان رحلة الأيام السبعة، دار الياسمين للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٥ م.
٤. كريم معتوق، ديوان هذا أنا، دار الياسمين للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٥ م.
٥. كريم معتوق، ديوان قسطرة، دار الياسمين للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٤ م.
٦. كريم معتوق، رواية حدث في اسطنبول ، دار مؤسسة رسان للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق ، سوريا، الطبعة الأولى، عام ٢٠١١ م.



## دور ابراهيم عبد القادر المازني في النقد

د/أ. أشرف الدين

### الملخص

لعبت مدرسة الديوان دورا هاما في الأدب العربي الحديث في مصر، وخاصة في النقد الأدبي. وابراهيم عبد القادر المازني (١٩٤٩-١٨٩٠) أحد الثلاثة الذين لا يكاد يذكر أحدهم إلا ذكر الآخرين، إذ تجمعهم جمیعاً وشیحة فکرية واحدة. واتجاه أدبي لا يختلف كثيراً في طابعه وصرامته وهم من أبرز رواد التجديد في أدبنا المعاصر. هؤلاء الثلاثة هم العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري الذين أنشأوا مدرسة في النقد، قامت على مذهب دعمته كما لخصه المازني نفسه بقوله: "إن الأدب فرع من شجرة الحياة، وأن التقليد يفسده، وإن الأديب يجب أن ينظر بعينه ويفكر بعقله ويحس بقلبه وأن يكون مخلصاً للحياة".

ولقد ذكر العقاد في مقدمة الديوان الذي كتبه هو والمازني "إنما يميز هذا المذهب الجديد أنه مذهب إنساني مصري عربي، لأنه من ناحية يترجم عن طبع الإنسان خالصاً من تقليد الصناعة المشوهة، ولأنه من ناحية أخرى ثمرة لقاء القراءة الإنسانية عامة. ومظهر الوجود المشترك بين النفوس قاطبة"<sup>١</sup>

ولقد قدموا للفكر والشعر ثمرات شهية وبحوثاً لأهم قواعد الأدب والنقد والفلسفة. ولم يكن التجديد في نظرهم التنكر لأصالة اللغة العربية والبعد بقواعدها والخروج عن خصائصها. بل لقد كانت لغتهم وأساليبهم على نسق فريد في نقاوته وبلاعاته. وفي أشعارهم ظهر الابتكار والتطور وتعدد الأوزان وتنوعت الموسيقى. كان العقاد والمازني رجعان في النقد إلى هازليت Hazlet وأرنولد Arnold<sup>٢</sup>

وكان من الطبيعي أن يتعرض المازني لشعراء عصره ليقارن بين ما يكتبونه وما كان يكتبه الأسلاف وما يكتبه الغربيون. وقد كشف المازني نشاطه النقدي التطبيقي التحليلي في مجال الشعر، مختصاً به شعر حافظ إبراهيم، فكتب مجموعة من المقالات في جريدة "عكاظ" متفرقة بين عامي ١٩١٣-١٩١٥ جمعها فيما بعد في صورة كتاب بعنوان "شعر حافظ" وطبعه في مطبعة بوسفور عام ١٩١٥.<sup>٣</sup>

### البعد عن التكلف الفني

هاجمت مدرسة الديوان، العقاد والمازني على الاتجاه المحافظ في الأدب العربي هجوماً شنيعاً على فقدان التجربة الشعرية والوحدة العضوية وصدق العاطفة، وهي اتجاه رومانطيكي واضح في الشعر الحديث. كان العقاد

<sup>١</sup> د/ عبد المنعم الخفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢، ص. ١٢٩.

<sup>٢</sup> ماثيو أرنولد (٢٤ ديسمبر ١٨٢٢-١٥ أبريل ١٨٨٨) (بالإنجليزية: Matthew Arnold) شاعر وناقد وكاتب ومصلح تربوي إنجليزي. لم يقتصر على الأدب، إذ تنوّع كتاباته بين الأدب والتاريخ والسياسة واللاهوت والعلم والفن.

<sup>٣</sup> العشماوي، الأدب وقيم الحياة المعاصرة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٠٥.

مولعا بالتجدد والابداع والابتكار وقد دفعه هذا إلى الإمام في خلق مدرسة شعراء الديوان التي تعد أساسا للأدب الرومانسي في الأدب العربي.

كان نقد المازني عنيفا إلا أنه كان يهدف إلى الإصلاح، وهو أول شعراء الجيل الجديد الذي كتب نقدا عمليا عن معاصريه من الشعراء وعن حافظ "شاعر النيل" خاصة. وبنقده ظهر ناقد في الأدب العربي في مصر يجمع بين الأدب العربي والغربي بتبحره فيها. يقول المازني: قال لي صديق "لقد تاب حافظ عن قول الشعر وزجر غراب غروره فهلا أقصرت أنت أيضا عن نقه؟ فقلت لهن كان حافظ قد تاب فإن الناس لم يتوبوا، وما زال فيهم من يعبد من الشعراء ويسميه شاعر النيل وشاعر الشرق. ولن أكف عنه حتى يثوب الناس إلى رشدتهم ويعلموا أنه لا يعد إلا في رجال المكتبة الخديوية."

ويتبع "لو كان للأدب حكومة تنتصف له من المسيء، وتكافئ المحسن لكان أقل جزاء حافظ على ما ارتكب من الشعر أن يبتاع ما اشتراه الناس<sup>١</sup>. والذى يراجع نقه يجده على نوعين: نوع إجتماعي يوجهه إلى بيئته وما يراه فيها من تقاليد بالية، وعادات سخيفة، وتهافت على قشور الحياة دون لبابها، ولا بدع قد نشأ في عهد كان المجتمع المصري فيه يتنازعه تياران قويان، تيار التقليد القديمة وتيار الحضارة الجديدة. وقد نشأ عن تلاطم هذين التيارين تلك الحملات الإصلاحية التي عرف بها أدبنا في النصف الأول من القرن العشرين<sup>٢</sup>.

### الوحدة العضوية للقصيدة

تتميز القصيدة العربية القديمة بأنها غالبا لا تربطها وحدة موضوعية واحدة، وقد علل ابن قتيبة في كتابه "الشعر والشعراء" ذلك تعليلا طريفا. إذ رأى أن الغزل في بدء القصيدة كان يقصده الشاعر للإثارة فإذا مما انتهى الشاعر من ذلك عاد فوصف المطي التي ركها، والصحراء التي سار فيها، ثم المدح الذي قصده وانتهى إليه من رحلته<sup>٣</sup>

وقد نقد العقاد القصيدة عند شوقي بأنها تفقد الوحدة الموضوعية. وكانت القصيدة عند العقاد مجموعة من المعاني تدور حول موضوع واحد. وأيضا يقول العقاد: إن الشعر يقاس بمقاييس ثلاثة: أولها: إن الشعر قيمة إنسانية قبل أن يكون قيمة لفظية. فيحتفظ الشعر بقيمة الكبرىي غدا ترجم إلى جميع اللغات.

الثاني: إن الشعر تعبير عن نفس صاحبه. فالشاعر الذي لا يعبر عن نفسه صانع وليس ذا شخصية أدبية.  
والثالث: إن القصيدة بنية حية وليس أجزاء متناشرة يجمعها الوزن والقافية.

<sup>١</sup> إبراهيم عبد القادر المازني، شعر حافظ، ١٩١٣، ص ١٤.

<sup>٢</sup> أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الجديدة، دار الفكر العربي، ١٩٨٢.

<sup>٣</sup> ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ١٤ - ١٥.

يقول العقاد: إن القصيدة ينبغي أن يكون عملاً فنياً يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال ببعضه والصورة بأجزائها. واللحن الموسيقى بانغامه، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت الصورة أخذ ذلك بوحدة الصنعة وافسدها. فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته.<sup>١</sup> وهذا يدل على اهتمام العقاد للوحدة العضوية ودعوته لها<sup>١</sup>

#### الخاتمة

سار المازني في قصائده على اعتبار القصيدة كلاماً واحداً وعملاً فنياً واحداً وبنية حية متربطة الأجزاء والأفكار والأحساس. وهذا اتجاه رومانسي واضح في الشعر الحديث. وأول من قرر ذلك "لسنج" الألماني (١٨٢٩) - (١٨٧١) وهو رومانتيكي في فكرته هذه على الرغم من كلاسيكيته في آرائه الأخرى. وقد أعجب برأيه "جوتة" وهو من أعلام الرومانسية في ألمانيا. ويقرر هذا المبدأ الفني أيضاً "أوسكار وإيلد" فالقصيدة الغنائية عنده ذات وحدة عضوية حية نامية.<sup>٢</sup>

#### قضية المجاز

ودراسة المازني القيمة في حصاد الهشيم للمجاز ونشأته يستهلها بصفحة طويلة للفيلسوف الإنجليزي "لوك"<sup>٣</sup> يؤكد فيها أن المجاز قد نشأ في اللغات على أساس نقل الألفاظ أي الرموز اللغوية من مجال ينتقل إلى نقد آراء علماء البيان العربي القدماء في المجاز ونشأتها

#### المصادر والمراجع

١. حمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المجري، دار الكتب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢.
  ٢. العشماوي، الأدب والقيم الحية المعاصرة، دار المهمة العربية، بيروت، ١٩٨٠.
  ٣. عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن، تاريخ الأدب العربي الحديث، دار القلم، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٧.
  ٤. عباس محمود العقاد، الديوان في النقد والأدب، مكتبة السعادة، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٢١.
  ٥. حمدى السكوت، عبد القادر المازني، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٧٨.
  ٦. الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي - عصر الدول والإمارات مصر، درا المعارف، القاهرة، ١٩١٩.
- ☆☆☆

<sup>١</sup>ديوان العقاد، ص ٤٦.

<sup>٢</sup>نفس المرجع، ص ١٤٨.

<sup>٣</sup>جون لوك (٢٩ أغسطس ١٦٣٢ - ٢٨ أكتوبر ١٧٠٤) (بالإنجليزية: John Locke) هو فيلسوف تجاري ومحامي إنجليزي، ولد في عام ١٦٣٢ في رنجتون Wringiton في إقليم سومرست وتعلم في مدرسة وستمنستر، ثم في كلية كنيسة المسيح في جامعة أوكسفورد، حيث انتخب طالباً مدى الحياة. لكن هذا اللقب سحب منه في عام ١٦٨٤ بأمر من الملك، وبسبب كراهيته لعدم التسامح ال碧ورتياني عند اللاهوتيين في هذه الكلية، لم ينخرط في سلك رجال الدين. وبدلًا من ذلك اخذ في دراسة الطب ومارس التجريب العلمي، حتى عرف باسم (دكتور لوك).

## دراسة تحليلية عن "حالات من الليل يغشاها النهار" ( مجموعة قصصية ) لناصر الظاهري

نحاس أ. أتش<sup>١</sup>

د / علي نوفل. ك<sup>٢</sup>

### الملخص

هذه المقالة تقوم بدراسة تحليلية عن مجموعة القصص "حالات من الليل يغشاها النهار" لناصر الظاهري ورأي وله ولد عام ١٩٦٠ في مدينة "العين" ودرس الصفوف الابتدائية الأولى فيها ثم أكمل دراسته في مدينة أبوظبي. وله أعمال ثمينة في الأدب العربي والقصة هي المجال المركزي للظاهري قد وقع اختياري على مجموعة قصصية للدكتور ناصر الظاهري لأطفر بشرف التقديم والتحليل لهذه المجموعة القصصية الرائعة . إن ما يميز مجموعة القصص ( حالات من الليل يغشاها النهار) إضافةً إلى سعة الخيال وحسن الصياغة وجمال التعبير وروعة الحبكة ودقة الوصف وجذالة الألفاظ هي تلکم المعاناة الأكثر تأثيراً على المغتربين وأهلهم ألا وهي فراق شريكة الحياة مدة طويلة لأنها تخلق في النفس اضطراباً شديداً وفي القلب ألمًا عظيمًا لا يمحوه سوى حقيقة اللقاء وحرارة العناق. إن كتاب حالات من الليل يغشاها النهار لامست الواقع بكل تفاصيله المؤرقه والمؤلمة. وكان لسعة خيال الأديب دور كبير في جذبي واستعمالتي لإتمام قراءة كتاباته القصصية مرات ومرات.

### شخصية الأديب

ولد ناصر الظاهري عام ١٩٦٠ في مدينة "العين" ودرس الصفوف الابتدائية الأولى فيها ثم أكمل دراسته في مدينة أبوظبي.قرأ ناصر الظاهري الأدب الروسي مما شكل نقلة مهمة في حياته القصصية ينتقل بعدها إلى الأدب الفرنسي وأدب أمريكا اللاتينية . في عام ١٩٨١ كتب أولى قصصه وكان محورها بعض اليوميات في مدينة العين وفي عام ١٩٨٦ نشر قصته الأولى بعنوان "حسون الحاوي . "دخل ناصر الظاهري أكثر من خمسين مدينة لكل مدينة شمس و ملامع و أصوات و ألوان وكل مدينة ستكتشف له أسرارها و تعطيه قصصها. حيث كتب مشاهداته لأكثر من ٢٢ بلداً في العالم عبر مقالات شهرية تحت عنوان " تذكرة سفر "<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> باحث الدكتوراه ،قسم اللغة العربية، كلية الفاروق

<sup>٢</sup> رئيس قسم اللغة العربية ومشرف البحوث، كلية الفاروق

<sup>٣</sup> <http://www.adab.com/literature/modules.php?name=Sh3er&doWhat=ssd&shid=1272>

قال عنه الأستاذ الشاعر يوسف أبو لوز في كتابه شجرة الكلام - وجوه ثقافية وأدبية من الإمارات- : "يكتب تجواله الذاتي في الأشياء وتفاصيلها فقد كتب مشاهداته لأكثر من ٢٢ بلداً في العالم عبر مقالات شهرية تحت عنوان " تذكرة سفر". فهو يتذوق الأمكانة ثم يكتب عنها ويمتلك رؤية إنسانية شاملة فكتاباته تلامس الشعر وهي تعتبر أفضل كتابه لديه وقصصه هي الخزانة الفكرية التي يحملها وعاشها ويعيشها خلال رحلاته بين الماضي والحاضر.

### دراسة تحليلية

وقد وقفت ملياً عند بعض عبارات الأديب لبعض المفردات المستعملة في دول الخليج العربي والتي أدرجها في بعض قصص الكتاب ثم عقب بشرح واضح في حواشى الكتاب فأيقتنت أن الكاتب أراد توسيع دائرة الإستهداف لكل شرائح المجتمع فخاطب فيها الفصحاء البلغاء بأجمل العبارات وأبيتها وخطاب آخرين بما يستعملونه ويفهمونه حتى تكتمل الفائدة إن ما يميز مجموعة القصص ( حالات من الليل يغشاها النهار) إضافةً إلى سعة الخيال وحسن الصياغة وجمال التعبير وروعة الحبكة ودقة الوصف وجذالة الألفاظ هي تلكم المعاناة الأكثر تأثيراً على المغتربين وأهليهم ألا وهي فراق شريكة الحياة مدة طويلة لأنها تخلق في النفس اضطراباً شديداً وفي القلب ألمًا عظيمًا لا يمحوه سوى حقيقة اللقاء وحرارة العناق ثم ذكر معانات أخرى بإسلوب أدبي رائع إحداها لحمل عاش يحمل أغراض الناس من رصيف إلى رصيف حتى نفق على الرصيف ولم يجد من يحمله أو يحقق حلمه في بناء بيته يسكنه. وشريكة حياة تشاركه فقره وحمله وحلمه ولم يقتصر الكاتب على نقل معانات المغتربين في خارج أوطانهم بل ثم معاناة وغرية ومرارة داخل الوطن وهي أكثر إيلاماً للنفس أن تعيش غريباً في وطنك ومهاجراً في أرضك ثم لا تجني من هذه الغربة وتلك سوى الألم فهي حالات من الليل يغشاها النهار.

ولم يغفل الأديب في قصصه الرائعة تلك الجوانب الإيجابية في حياة الناس من (قصة العويد) وأن غالبية البشر يحتقرن أي عمل صغير ثم لا يدركون نفعه إلا بعد فترة من الزمن ((والله كبر العود)) وذكر أيضاً بعض الظواهر الإجتماعية السيئة وهي سوء تعامل المجتمع مع ذوي الاحتياجات الخاصة وشدة معاناة أهله في تربيته والسعى إلى إسعاده في قصة (المهدي) وقد أتعجبني أيضاً إبراده بعض مظاهر المعاناة والألم من خلال تعداد تلك القصص القصيرة المعبرة وقد أضاف قصصاً توضح حجم التباين الكبير والفرق الشاسع بين فئات المجتمع الواحد بشكل كبير ومؤلم وانتقل إلى معانات خارج الوطن من نوع آخر وهو الصراع الذي يحدث في منزل المعدد للزوجات وعدم القدرة على تحقيق الاستقرار الأسري في ظل ضعف شخصية الزوج فالمجموعة القصصية رائعة جداً فقد تفنن الكاتب الأديب في طريقة العرض حيث كان التنوع فقد جمع في تلك القصص حالات الغربة ومراراتها والفقير والبطالة والموت بعيداً عن الأهل والأحباب والكفاح المستمر بحثاً عن العيش الكريم وتطرق إلى موظفي المصالح الحكومية الشرفاء وضرب مثلاً بقصة ذلك الرجل الذي أُفني ثلاثة عاماً

ولم يحصد منها سوى أوراق التقاعد وحفلة شاي وشهادة تقدير ووسام استحقاق وسمعة طيبة بينما بعض الكتبة الذين كانوا يعملون تحت إمرته صاروا يملكون بيوتا فخمة ويلبسون ملابس أنيقة يتحرج ويخرج حينما يراهم وأضاف أن والده الذي ناضل من أجل حرية وطنه وقتل وهو في ميدان الدفاع والكافح ضد المستعمر لا يملك سوى نياشين وأنواط منحت له بعد أن قدم روحه وفي يوم من الأيام أراد أن يحصل على ما يسد حاجته مقابل تلك الأوسمة والنياشين فلم يجد لها قيمة. عموما فمحفوبيات الكتاب كانت متميزة ورائعة ابتداء من بائع الصحف والتعويض والنفق وثلاث حقائق على الرصيف وشغب القائلة وطوبية الجنة والعويد وجهانكير خان ثم المهي وتفاصيل باريسية وخطوة إلى الحياة وخطوتان إلى الموت ثم أتمها بجري الأحرار.

#### ١. أقف لحظات مع بعض العبارات في قصة النفق :

لقد بني هذا النفق في مكان لا يبلغ إلا بشق الأنفس ، وفي زمان نعيشه ولا نحيا فيه ، بني بحجارة كانت أثافي لمواقد الثورة في منازل القدس العتيقة ، وأمام ناظري جيفارا شب هذا النفق عن الطوق .. كبير وعظم ، طال وعمق حتى أصبح جيفارا بهيم على وجهه في غيابه ظلمته وصمته ، لا يستطيع أن يحكى قصته وقصة بناء هذا النفق حتى لمصرعه على يد مرتزق آخر فصيح ، وفجأة أصبح حتى هذا النفق حقيقة بعد أن كان حلما ، وأصبح جيفارا حلما بعد أن كان حقيقة<sup>١</sup>

هذه المقابلة ترمي إلى سعة الخيال عند الكاتب وتمكنه من ترتيب وسبك الأفكار بطريقة مؤثرة

٢. وفي ثلاث حقائق على الرصيف أتمّي أن أعرف كيف حصل الكاتب على هذه الأسماء .. هل اطلع على روايات مليبارية .. شنكاربابو ، لاكتشي ، ورياض باي .

ومما أثر علىي عند قراءتي هي تلك النظرة الأخيرة رياض باي " على الطريق الذي اعتاد أن يمشي فيه كل يوم ، والأماكن التي يزورها أو يتزدّد إليها ، دكان ألبان ، بائع الشاي على قارعة الطريق ، أصدقائه ، معارفه ، الناس الذي اعتاد أن يراهم كل يوم بالصدفة ، الحلاق الذي اعتاد أن يحلق عنده شهريا ويثيرر معه يوميا .<sup>٢</sup>

إنه وقوف على الأطلال وقصة نضال

٣. ونلّم إلى تلك المعاناة التي بينها الكاتب مع قصة " طوبية الجنة " ..

" كبر ولد مريم وأصبح ينادي باسمه الصريح الذي اعتاد أن يسمعه في الفصل .. تزوج .. قضى شهر العسل في الهند ، لكنه شهر لم يكتمل ، لم يستطع البقاء فيها .. هناك الفقر مقدس والموت مقدس ، البقر مقدس والحجر مقدس ، عدا الإنسان .. كان يراه متکالبا عليه الجوع والفقر والمرض والجهل والإنسان نفسه .. كانت جل مصاريفه تذهب إلى الطالبين ، وما أكثرهم في يومي ، لذلك قرر العودة ، وألا يرجع إلى يرجع إلى

<sup>١</sup> د. ناصر الظاهري، حالات من الليل يغشاها الظلام، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠١٦، م، ص: ٢٩.

<sup>٢</sup> المصدر السابق، ص: ٤٨

هذه المدينة الولود الجحود .. تذكر نيتوا .. نظر إلى زوجته واحتلقت حديثاً شبيهاً بلوك المطاط .." (طوبيرة الجنة ، ص ٦٤ ، حالات من الليل يغشاها النهار)  
إبها المعاناة بكل جزئياتها .. فقر، وفراق، وألم وأمل  
٤. ونتيجة لضيق الوقت سوف نستكمل الفقرات من قصة "جري الأحرار" ..

وهنا يصف لنا الكاتب المعاناة التي يجدها الزوج المعد وكذلك الضرمان وإليكم هذه الفقرة .." ظلت غرف البيت شبه مغلقة ، الآذان وحدها كانت خلف الأبواب تستصيخ السمع أو خطوات قادمة ، وحين تتعطل لغة الصبر ، تخرج الضرمان تعثّن رئتها بهواء الحوش الكبير وتلوذان بالصمت غير المبرر ، وعلى الرغم من أن أباً حارب كان يجمعهما أكثر الأوقات على صحن واحد ، إلا أنهما كانتا تتناولان حبات العيش بأطراف أصابعهما مثل طفل مريض ، ترجمه أمه الوجل على صحن صنعته له وحده<sup>١</sup>

#### الخاتمة

نعود مرةً أخرى إلى البدء لندرك حجم المعاناة من فارقوا حبيبنا في غربته تحت عجلة سيارة كبائع الصحف مادي كالشاب الذي فارق كيرلا وهو يحلم بالعودة إليها غنياً مات وهو يحياته في حبيبه وحببيته تنفس بسمتها المعروفة في قلبه قتلته سيارة بعد أن أعطى عمره ل لتحقيق الناس قتل في ذات الشارع خلف الناصية المرة خلف البنك المكتظ بأرصفة السادة . وهنا أيقنت أن الكتاب عاش بيننا بجسده وروحه وشاهد حجم المعاناة وهو سر جعل للقصص أثراً كبيراً. أو أن تجربة الكاتب في تأليف الروايات والقصص دراسته العميقه للإعلام والأدب الفرنسي وترأسه لاتحاد كتاب وأدباء الإمارات العربية وعضويته في منظمة الصحفيين العالمية ومشاركته في كثير من المؤتمرات والندوات الدولية أكسبه قوة في الأداء وجمالاً في الروح.

#### المصادر والمراجع

١. أبو لوز، يوسف، شجرة الكلام وجوه ثقافية وأدبية من الإمارات، دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر، ٢٠٠٠.
٢. ناصر الظاهري، حالات من الليل يغشاها النهار، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ٢٠١٦.
- ٣.جريدة الإتحاد، الإمارات العربية المتحدة الاسترجاع: ٢٠١٧/٥/١٦ الرابط: <http://www.alittihad.ae>
٤. نبذة عن ناصر الظاهري، الاسترجاع: ٢٠١٧/٥/١٦ الرابط:  
<http://www.adab.com/literature/modules.php?name=Sh3er&doWhat=ssd&shid=1272>



<sup>١</sup> المصدر السابق، ص: ١٢١

## أصوات على أفضل الكتب

### لتعلم اللغة العربية وتعليمها لغير الناطقين بها

بقلم: الدكتور عباس كي.بي ١

#### الملخص

اللغة العربية هي من إحدى اللغات العالمية في العصر الراهن، وهي لغة رسمية في كل دول الوطن العربي بالإضافة إلى: تشاد، وإريتريا، وفلسطين المحتلة، كما تدرس بشكل رسمي أو غير رسمي في الدول الإسلامية وسائر المجتمعات الإسلامية في أرجاء العالم. وهي إحدى اللغات الرسمية المست في منظمة الأمم المتحدة. وفيما يأتي قائمة بأبرز الدول التي يُتحدث فيها باللغة العربية: المملكة العربية السعودية، الإمارات العربية المتحدة، الكويت، قطر، مملكة البحرين، سلطنة عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، الصومال، إريتريا، تشاد، الجمهورية التونسية، الجمهورية الجزائرية، جمهورية جزر القمر، جمهورية جيبوتي، جمهورية السودان، الجمهورية العربية السورية، الصومال، الجمهورية العراقية، فلسطين وأراضيها المحتلة، الجمهورية اللبنانية، الجمهورية الليبية، جمهورية مصر العربية، مملكة المغرب، موريتانيا، جمهورية اليمنية<sup>٢</sup>. يتزايد عدد من يتعلم هذه اللغة المباركة في هذه الأيام في العالم كله باعتبار على أنها لغة تتطور أكثر مما يتصور العالم في الحقول المختلفة ومنها التجارة والسياسة والثقافة والتكنولوجيا الإعلامية والمواصلات الحديثة وإلى ذلك. ويجد بالذكر هنا لا يكفي من يرغب في دراسة هذه اللغة العالمية من قلة المصادر والموارد في صددها في المكتبات والسوق في العالم، وتسلط هذه المقالة الأصوات على أهم الكتب المؤلفة في العالم العربي لتعلم وتعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى.

أبرز الكتب والمناهج المفيدة لتعلم وتعليم مهارات اللغة العربية

تنوع مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها حسب أهدافها، ومحنتها مناهجها، والمدخل التربوية والنظريات التي استندت عليها وقت تأليفها ومن أمثلتها ما يأتي:

• **أحب العربية:** (أربعة أجزاء)، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

• **تعلم العربية:** (جزءان) الوقف الإسلامي، د. عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان.

<sup>١</sup>) أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، بكلية فاروق، كيرلا، الهند.

<sup>٢</sup>) مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ١٠٠ سؤال عن اللغة العربية، دار وجوه للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط٢، ص: ٢٤.

- **تعلموا العربية:** (ثلاثة أجزاء) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.
- **تعليم الأجانب اللغة العربية:** معهد تعليم الأجانب اللغة العربية، دمشق.
- **سلسلة (أحب العربية):** تأليف: د. محمود إسماعيل صيفي، ملأعماهم بين (٦-١١).
- **سلسلة (العربية للناشين):** تأليف د. محمود إسماعيل صيفي، وناصف مصطفى عبد العزيز، ومختار الطاهر حسين، وهذه السلسلة ملأعماهم بين (١١-١٧).
- **سلسلة ( دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها):** تأليف في. عبد الرحيم، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، متاح في:

<http://www.waqfeya.com/book.php?bid=7845>

- **سلسلة إنقاذ لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها:** معهد عربي للغة العربية- الرياض.
- **سلسلة اقرأ:** مؤسسة اقرأ الثقافية العالمية- شيكاغو.
- **سلسلة الطريق إلى العربية:** من تأليف مركز قطر الثقافي الإسلامي (فنار)، وهي مكونة من خمسة كتب، متاحة في موقع المركز على الرابط:

[http://www.fanar.gov.qa/Publication\\_All.aspx](http://www.fanar.gov.qa/Publication_All.aspx)

- **سلسلة اللسان لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها:** أعدها مركز اللسان الأم بالإمارات العربية المتحدة، والمعلومات عن هذه السلسلة متاحة:

<http://mothertongue.ae/index.aspx?id=158>

- **سلسلة تعليم اللغة العربية:** (٤٥ جزءاً) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- **سلسلة كنوز لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها:** معهد عربي للغة العربية- الرياض.
- **سلسلة مسارات لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها:** معهد عربي للغة العربية - الرياض.
- **العربية المعاصرة:** آن آربر، متشجن، الولايات المتحدة الأمريكية، بيتر عبود، مركز دراسات الشرق الآدنى وشمال أفريقيا.
- **العربية الميسرة:** (سبعة كتب) مستويات، بدءاً من التمهيدي، مؤسسة غرانطة للنشر والتوزيع.
- **العربية بالراديو:** السيد يعقوب بكر وأخرون، القاهرة.
- **العربية بين يديك:** (أربعة أجزاء للطالب، وأربعة أجزاء للمعلم، ومعجم)، طبعة العربية للجميع، مؤسسة الوقف الإسلامي، من تأليف د. عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، ود. مختار الطاهر حسين، ود. محمد عبد الخالق محمد فضل.

- العربية لغتي: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.
  - العربية للحياة: جامعة الملك سعود.
  - العربية للراشدين: مؤسسة الوقف الإسلامي.
  - الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: أصدرته المنظمة العربية للتربية الثقافة والعلوم (في ثلاثة أجزاء)
  - الكتاب الأساسي: جامعة إفريقيا العالمية.
  - كتاب: تعلم العربية للناطقين بغيرها - الكتاب الأساسي: تأليف جامعة أم القرى، متاح في :
- <http://www.waqfeya.com/book.php?bid=6120>
- منهج في تعليم اللغة العربية: داود عطيه وعبد خياط، بيروت، ١٩٦٣ م.
  - الميسر في تعليم اللغة العربية لأبناء الجالية الإسلامية في المهرج: د. عزيز الحسيني والأستاذ عبد الله بناني، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.
  - النحو العربي المبرمج للتعليم الذاتي: د. محمود إسماعيل صيفي وأخرون، جامعة الملك سعود<sup>١</sup>.

وهذه الكتب كلها مفيدة للغاية لدراسة وتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها ولعل مفيدة في هذا الصدد التعارف على كتاب مما ذكر أعلاه للتتفاهم عن الاستراتيجيات التي اتخذها مؤلفوه في تيسير عملية دراسة اللغة العربية واكتساب مهاراتها الأربع. وأفضل من بينها تقديم كتاب "العربية بين يديك" بين يديكم للمراجعة إليها ولإعتماد علمها لدراسة اللغة العربية في أسرع وقت ممكن.

العربية بين يديك

يقدم مشروع العربية للجميع سلسلة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها تحت عنوان "العربية بين يديك" ليدعم تعليم العربية لغير الناطقين بها، وهو مشروع يتميز بالشمول والتكامل: فهو يستعين بجميع الوسائل التعليمية، من كتب وبرامج إذاعية، وتلفازية، وحاسوبية، وعن طريق الشبكة الدولية "الإنترنت" حتى يتحقق تعليم العربية بأفضل الأساليب وأحدثها، وليجد كل دارس ما يحقق رغبته، ويلبي حاجته<sup>٢</sup>.

هذه السلسلة قد خضعت إلى التجريب والاختبار والتقويم في مناطق مختلفة من العالم، وفي مؤسسات تعليمية متعددة ومتخصصة من جامعات ومعاهد ومراكز لتعليم العربية لغيرها. وقد قام بتجريب

<sup>١</sup> د. محمد علي شرابي، دليل متعلمي العربية لغيرها، دار وجوه للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية-الرياض، ط٢، ص: ١٦-١٩.

<sup>٢</sup> د. عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، د. مختار الطاهر حسين، العربية بين يديك، العربية للجميع، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط٢، ص: ب.

هذه السلسلة مؤلفوها وغيرهم من المتخصصين في تعليم العربية لغير الناطقين بها ومن غيرهم في جميع القارات.

**أهداف السلسلة :** تهدف السلسلة إلى تمكين الدارس من الكفايات التالية : الكفاية اللغوية، والكفاية الاتصالية، والكفاية الثقافية. وفيما يلي بيان موجز بهذه الجوانب الثلاثة.

#### الكفاية اللغوية: وتضم ما يأتي

أ- المهارات اللغوية الأربع، وهي:

- ١- الاستماع (فهم المسموع)
  - ٢- الكلام (ال الحديث)
  - ٣- القراءة (فهم المقرء)
  - ٤- الكتابة (الأالية والإبداعية).
- ب- العناصر اللغوية الثلاثة، وهي:
- ١) الأصوات (الظواهر الصوتية المختلفة)
  - ٢) المفردات (والتعابير السياقية والاصطلاحية)
  - ٣) قواعد النحو والصرف والإملاء.

#### الكفاية الاتصالية :

وترمي إلى إكساب الدارس القدرة على الاتصال بأهل اللغة، من خلال السياق الاجتماعي المقبول، بحيث يتمكن من التفاعل مع أصحاب اللغة مشافهة وكتابة، ومن التعبير عن نفسه بصورة ملائمة في المواقف الاجتماعية المختلفة.

#### الكفاية الثقافية:

حيث يزود الدارس بجوانب متنوعة من ثقافة اللغة، وهي هنا الثقافة العربية الإسلامية، يضاف إلى ذلك أنماط من الثقافة العالمية العامة، التي لا تخالف أصول الإسلام.

**مكونات السلسلة:** تتألف السلسلة من الكتب والمواد التالية:

- حروف العربية.
- وكتاب الطالب (١) جزءان، وكتاب المعلم (١) - للمستوى المبتدئ.
- كتاب الطالب (٢) جزءان، وكتاب المعلم (٢) - للمستوى المتوسط.
- كتاب الطالب (٣) جزءان، وكتاب المعلم (٣) - للمستوى المتقدم.
- كتاب الطالب (٤) جزءان، وكتاب المعلم (٤) - للمستوى المتميز.

- المعجم العربي بين يديك.

- وتصحب السلسلة مادةً صوتيةً.

#### الخاتمة

ذكرت هنا في هذه المقالة بعض الكتب التي ستُفيد من يهتم بتعلم اللغة العربية وتعليمها وكلها مؤلفة أيضاً من خارج الهند، وقائمة الكتب المعدة في هذا الصدد عديدة في داخل الهند وخارجها. وجدير بالذكر هنا أن كل كتاب ألف لأجل تعلم اللغة العربية يتميز من جانب أو جانب آخر. الاستفادة منها هي الأهم.

#### المراجع والمصادر:

١. د. علي عبد المحسن الحديبي، دليل معلم العربية للناطقين بغيرها، دار وجوه للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية- الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.
٢. د. عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، د. مختار الطاهر حسين، د. محمد عبد الخالق محمد فضل ، العربية بين يديك، العربية للجميع، الرياض- المملكة العربية السعودية، الاصدار الثاني، ٢٠١٥.
٣. د. محمد على شرابي، دليل متعلمي العربية الناطقين بغيرها، دار وجوه للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية- الرياض، الطبعة الأولى ٢٠١٦.
٤. مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ١٠٠ سؤال عن اللغة العربية، دار وجوه للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية- الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠١٦.
٥. د. محمود إسماعيل عمار، دليل ثقافة اللغة العربية للناطقين بغير العربية، دار وجوه للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية- الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.



## قراءة في رواية 'النهايات'

د/ عبد المجيد تي<sup>١</sup>

### الملخص

نشرت هذه الرواية عام ١٩٧٧. وهي الخامسة من أعمال الروائية لعبد الرحمن منيف (١٩٣٣-٢٠٠٤). تدور أحداث هذه الرواية حول حياة البدو في قرية 'الطيبة' وعاداتهم وتقاليدهم وتعايشهم مع الصحراء، والوسائل التي يتبعونها في جلب قوتهم لاستمرارتهم في الحياة ، وعلاقة القرية بالمدينة والوعود الكاذبة من جهة سلطة المدينة في بناء سد لحماية القرية من الجفاف. وحصلت الرواية على إقبال كبير داخل مجتمع العربي وخارجها، حتى أنه تم طبع أكثر من ١٢ طبعة منها حتى عام ٢٠٠٧ ، وأشاد بها النقاد كثيراً لمعالجتها عن التغيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في حياة العرب عامة وحياة البدو خاصة. لم يضع منيف 'النهايات' تحت إطار تاريخية أو جغرافية محددة، مثل أعماله الأخرى، فالطيبة هي وسليته للتعميم.

وهي رواية تتحرك فيها الأحداث في خطوط التي تتوازى فيها الواقع والرموز. وهي على مستواها الواقعي تأخذ القارئ إلى تجربة أهل القرية المسمية 'الطيبة' وانتسابهم إلى الجذور، ودهشتهم الدائمة نحو الحب والحياة والموت. وهي على مستواها الرمزي تأخذ القارئ إلى اكتشاف الإنسانية والإنسان. فيشكل منيف شخصية عساف رمزاً للقرية التي تبدو بظاهرها غير ما تبطن من 'طيبة' تجاه أبناءها. والرواية عالم ذكريات عذبة التي بقيت حاضرة في قلوب أهالي 'الطيبة'. واختيار الكاتب لهذا الاسم الجميل 'الطيبة' لقريته هو اختيار رمزي، لأن كل قرية هي طيبة بالنسبة إلى سكانها. فكلمة 'الطيبة' تجمع بين معنى طيب المذاق والتعايش والهواء والطبيعة وبين معنى البقاء والحياة الساذجة والسكان البسطاء.

### المبحث الأول : خلفية الرواية

'الطيبة' هي قرية اختلقها الكاتب لتدور الرواية حولها، وهي أرض خصبة وطيبة موفورة بالخيرات. وسكانها البسطاء متجردون من جميع مشقة الحياة في المدينة، يتمتعون بثروتها حيث لا يمكن لأهلها أن يفارقونها مهما مر عليها سنوات الفيضان والقطح والجفاف. وهي في نفوسهم وطنهم الحنون ومنهم ومرعاهم حتى يجدوها جنهم.

### المبحث الثاني : بنية الكتاب

اعتمدت للبحث الطبعة الثانية عشرة ، ٢٠٠٧ م ، أشرف عليها الناشران: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، والمركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية. وهو مائتان وثلاث عشرة صفحة. قام بالرسم والتصميم مروان قصاب باشي. ورقمه: 4-138-68-9953 .isbn

<sup>١</sup> أستاذ مساعد ، كلية الفاروق، كاليكوت.

### **المبحث الثالث : فصولة**

تنقسم الرواية إلى فصلين، والفصل الأول يخلو من اسم أو عنوان ، وهو ينقسم إلى تسع عشرة وحدة، وهذه الوحدات تتناول قضية البدو الذين يعيشون في قرية 'طيبة' وهي تقع على حدود الصحراء وقرب مدينة. والفصل الثاني بعنوان 'بعض حكايات الليلة العجيبة' ينقسم إلى ست عشرة وحدة، أربع عشرة منها القصص التي حكها الرجال ليلة يوم مات فيه 'عساف' بطل الرواية.

### **المبحث الرابع : خلاصة القصة**

ذات يوم، وصلت جماعة من المدينة في سيارة ، فيها أربعة من الضيوف، إلى القرية ليصطاد الحيوانات من الصحراء، ووافق معه عساف على مرافقتهم إلى مكان في أعماق الصحراء، لأنه يعرف هو فقط أين توجد الحيوانات والطائرات بدقة. بدوا الصيد، الأربعة في السيارة وعساف تحت الشمس على قدميه مع كلبه الوفي، ولا اصطاد الأربعة في السيارة على ما يزيد على خمسة طيور كانت حصيلة عساف على ما يزيد على عشرين طيرا. وحين ارتفعت الشمس في السماء قرر الجميع لتناول الغذاء. وبعد ذلك ، في حالة مجونة زئن للأربعة الصيد على الرغم من أن اليوم قد انتصف، وواافق عساف على ذلك خلافاً لعادته. واستأنفوا الصيد ، عساف على قدميه بينما الآخرون في السيارة. ولم يلبث هبت عاصفة رملية هائلة على جميعهم، حتى وصلت فرقة نجدة لإنقاذهم في اليوم التالي، وعثروا على الرجال الأربعة إلا عساف، وكانت الأربعة بين الحياة والموت، واستعادوا وعهم بعد أن يُقدم لهم الماء والطعام . وبعد بحث طويل مستمر عثروا على عساف شبه مدفون في الرمال وكلبه جاثم فوق رأسه ليحميه من النسور التي تحوم حول جنته، أخذت الفرقة جثته وترك الكلب. ولما عاد الموكب الحزين إلى القرية انفجر الجميع في التعبير عن الحزن والغضب. وما وضعت الجنازة عند المقبرة، حتى كانت النساء الطيبة تهيأن لاستقبال الميت، وتجمّعن على شكل دائرة، بدأن الرقصة منتظمة، وكان ذلك دون اعتراض من الرجال، ولم تفعله الطيبة إلا قبل عشر سنوات جزءاً من عادات البدو. وقام العم ذكر أعمال الدفن بمهارة ، وعاد الناس إلى بيوتهم وفي نفس الوقت تتوجه مجموعة من الرجال إلى المدينة لكي يبحث موضوع السد للمرة الأخيرة. أما المختار، الذي ظل صامتا طوال الوقت أعلن: "لن أعود إلى الطيبة إلا لأحمل بندقية وأبقى في الجبل، ومن هناك ومع الآخرين سوف نعمل شيئاً كثيراً غير الصيد. أما إذا وافقوا على بناء السد فسوف أعود على ظهريلوزر لكي يبدأ العمل، ولكي تبدأ الطيبة تعرف معنى الحياة بدل هذا الموت الذي تعيشه كل يوم".<sup>١</sup> هكذا تنتهي الرواية.

**المبحث الخامس : قضية الرواية** إن مسرح الرواية هو قرية 'الطيبة' التي تقع على حدود الصحراء، وهي حكاية مدهشة، تحدث في أحدي سنوات قحطها، مثل الحكايات التي وقعت قبل أعوام حقيقة كانت أو خيالية. يعالج الكاتب في هذه الرواية كثيراً من الحكايات عن الإنسان في قرية طيبة وتعايشه مع الصحراء

<sup>١</sup> النهايات، عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧.

خصوصاً في سنوات القحط، حيث يأتي الموت من آن لآخر ويختطف من يشاء. ومن ضمن حكايات هذه الرواية كلاب الصيد والحراسة والوعول والغزلان والكلاب المدللة وطيور الكدرى والغربان والخراطيش والبنادق وأخيراً الموت كنهاية.

صمم الكاتب الرواية إلى نصفين، وفي النصف الأول، يتحدث طويلاً عن عساف وبنديتيه وكلبه للصيد. وهذا يجعل شخصية عساف ذات اللدالات المختلفة كما نرى لشخصيات منيف عاممة. هو شخصية ذات أبعاد وفحة ومع ذلك هناك تشابه بين شخصية عساف ومتعب الهدال في الجزء الأول من مدن الملح ، وهو آخر الكاتب عسافاً بنفس الحالة النفسية التي أخرج بها متعب الهدال.

والنصف الثاني مجموعة من القصص تحت عنوان 'بعض حكايات الليلة العجيبة'، يحتوي أربعة عشر حكاية عن الحيوانات بما فيها حوادث الصيد وحكاية مدهشة ومثيرة للفكر والمتعة وحوادث أخرى مختلفة، واثنتان منها اقتبسهما الكاتب من كتاب الحيوان للأديب الجاحظ. وفي جميع الحكايات تتشابه النهاية وهي الموت لتلك الحيوانات، ومعظمها كانت النهاية أثناء الصيد. حاول منيف خلال هذه الحكايات أن يناقش ماهي الصلة بين الحيوان والإنسان وكيف يُحَوَّل عمل الصيد من اكتفاء بالعيش إلى هم ورغبة في القتل فقط والتمتع به. وفي نفس الوقت يحاول لتويعية الإنسان عن الطمع المفرط نحو ثروة الصحراء والحيوانات.

#### المبحث السادس : بطل الرواية

"إذا كان هنالك بطل رئيسي في هذا العمل فهو مجتمع القرية ككل. إذ على الرغم من أن الرواية تصور أفعال الأفراد، غير أن الأثر الذي تحدثه هذه الأفعال إنما يرى ضمن الصورة الكلية ، أي صورة القرية كوحدة متكاملة. وأي رسم للشخصيات إنما ينبع من خلال وصف أفعالهم هذه وأثر هذه الأفعال على القرية أو على أجزاء منها ، ولا يتم رسم الشخصيات عن طريق تحليل دوافعهم الداخلية، أوبدرجة أقل من خلال الحوار، وهو قليل نسبياً في هذه الرواية ولا يتعرّف القارئ في الواقع إلا على أربعة أسماء لشخصيات في هذا العمل الذي يتكون من ١٨٧ صفحة. وبدلاً من ذلك، فإننا نسمع الكثير عن 'الطيبة' وسكانها من 'كبار السن' و'الشبان' وما إلى ذلك".<sup>١</sup>

والبطل الشخصي يأتي في الرواية في مكانة ثانية، شكله منيف في صفة غير مألوفة في الرواية العربية. وهو عساف، قد بلغ عمراً بين الأربعين والخمسين سنة. يحضر عساف متميزاً بجسد وبنية قوية، وهو أعزب لأسباب يختلف فيها الناس، ويتداولون بشأنها روايات عديدة، وليس له عمل. ومع ذلك أنه وجه أليفٌ في الطيبة، وأنه صياد ماهر. يخرج إلى الصيد إما وحده أو مع كلبه. لكن تدريجياً تولدت العلاقات بينه وبين أهالي

<sup>١</sup> الرواية العربية ، روجر آلن ، ترجمة : حصة ابراهيم المنيف، مجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٧ .

الطيبة بصفة عميقة حتى لا يعود يشك القارئ في انتسابه إلى عالم الواقع، رغم أنه يصادفه في ضواحي الطيبة يمشي صحبة كلبه، منترياً ومدنداً، ويصادفه صامتاً يواجه قدره.

"كان عساف في تلafيف الرواية محظى عناء الجميع، وخاصة في مجالس السمر، حيث يحلو لأهل الطيبة ابتكار جوانب في شخصيته، فيصفونه أحياناً بالشجاع المقدام، وينسبون له في منعطفات أخرى من الرواية، وقائع ومواقف لا تخلو من طرافة، ذلك لأن مجالس الطيبة لا تحلو بدون الحديث عن مغامراته في الصيد وفي الحياة. وفي حال تأخره أو غيابه عن هذه المجالس، يبادر الجميع فينادون بصوت واحد نريد عساف، أحضروه حياً أو ميتاً. فيحضر بحضوره ويحضر بغيابه".<sup>١</sup>

#### المبحث السابع : الدراسات

وقد جرت حول هذه الرواية دراسات كثيرة منها : مدار الصحراء لشاكير نابلسي والنص الموازي في أعمال عبد الرحمن منيف لـ محمد رشدي عبد الجبار دريدي. "عقدت كلية الآداب، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة البحرين جلسة لمناقشة رسالة ماجستير للطالب محمد سعيد الهاجري تحت عنوان 'الحس المأساوي في رواية النهايات لعبدالرحمن منيف'، وذلك يوم الإثنين الموافق ٥ مارس/ آذار الجاري بمقر الجامعة بالصخير. بالإضافة إلى ما يحمله نص رواية 'النهايات' من معانٍ وأفكار تخدم غرض الدراسة التي تهدف إلى بيان 'الحس المأساوي' في الرواية، والتماس الرؤية الفلسفية في التعامل مع النص، مبيناً أن 'الحس المأساوي' يميل إلى الفلسفة أكثر من ميله إلى الأدب".<sup>٢</sup>

#### المبحث الثامن : أسلوبه

أشهر الكاتب بأسلوبه في كتابة الواقع السياسي والاجتماعي في الدول العربية. أن الروائي عبد الرحمن منيف قد احتل مكانة مميزة في مسيرة الرواية العربية ليس بسبب احتفال النقد بأعماله وحسب، وإنما لتميز هذه الأعمال من الزوايا الفنية، حظيت أعمال منيف باهتمام جلي؛ فدرستُ رواياته كافة بما في ذلك رواية النهايات".<sup>٣</sup>

#### المبحث التاسع : النهايات في رأيهم

يرى النابلسي "أن هذا العنوان يرمز إلى النهايات التي ستواجه العالم العربي، إن هو ظل سائراً بنفس الطريق التي كانت بلدة الطيبة سائرة على هما".<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> عساف بطل رواية النهايات يعيش بيننا، كمال عبد اللطيف، جريدة الاتحاد الاشتراكي يوم ٢٠١٤ -٠٦-١٣

<sup>٢</sup> <http://www.alwasatnews.com/news/221030.html>

<sup>٣</sup> السرد المؤطر في رواية النهايات، محمد الشوابكة <http://alghad.com/articles/732549> on 16/10/2015

"كيفما تقرأ هذه الرواية ، فأنت باستمرار تتحرك في خطوط تتواءز فيها الوقائع والرموز. هي على مستواها الوقائي تعود بك إلى تجربة أهل الطيبة ، انتماهم إلى الجذور، وذهولهم الدائم ازاء الحب والموت. وهي على مستواها الرمزي تعود بك إلى اكتشاف الانسان ، اينما كان ، انتماه إلى هذه القوى الغامضة في الكون التي تجعل من الحب والموت أعنف وأخصب ما في الطبيعة كلها".<sup>١</sup>

" إن هذه الرواية تدخل سمة بالغة الأصالة إلى نطاق تقاليد القصة العربية الحديثة ، وهي سمة يمكن اعتبارها من جوانب عدة عودة إلى أنماط سردية سابقة. فالرواي في هذا العمل لا يهمه تقديم منظور واحد عن الأحداث ، كما أنه لا يضيره أن تأخذ قصته بعض الوقت إلى أن تكتشف جوانبها شيئا فشيئا، فشأنه شأن الحكواتي التقليدي ضمن إطار تقاليد الثقافة الشعبية العربية، يجد في البيئة المحيطة التي يروى فيها حكايتها مجالا فسيحا من الزمن يتبع له كل الوقت الذي يحتاج اليه. فالاقتصاد في الحديث ليس وارادا هنا ، بل ان الإسهاب والتنوع أمور محببة. وليس هنالك ضرورة ملموسة هنا لتلبية احتياجات الضغوط والمطلبات القائمة في الحياة المعاصرة والتي جعلت من القصة القصيرة النمط الأدبي المفضل في العديد من المجتمعات الحديثة".<sup>٢</sup>

"العاج روائي رمزا موضوع الفرد والسلطة القاتلة ، في عمله الغنائي 'النهايات' حيث الفرد القريب من الطبيعة حر، فإذا لامسته السلطة قادته إلى الموت. رسم علاقة الفرد بالطبيعة بمجاز الصيد ، من حيث هو ضرورة عقلانية تحافظ على حياة الإنسان والحيوان معا ، وقرأ علاقة السلطة بالطبيعة بفعل: القتل الذي يصطاد الطيور المدافعة البنادق الأوتوماتيكية".<sup>٣</sup>

#### المبحث العاشر: ترجمته

ترجمت هذه الرواية إلى اللغة الانجليزية وقام بترجمتها الأستاذ روجر آلن سنة ١٩٨٨ ، وهو باسم endings.

#### المصادر والمرجع

١. النهايات ، عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية عشرة، بيروت.
٢. عساف بطل رواية النهايات يعيش بيننا، كمال عبد اللطيف، جريدة الاتحاد الاشتراكي يوم ٢٠١٤-٦-١٣
٣. الرواية العربية ، روجر آلن ، ترجمة : حصة ابراهيم المنيف، مجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٧ .
٤. السرد المؤطر في رواية النهايات، محمد الشوابكة <http://alghad.com/articles/732549> on 16/10/2015



<sup>١</sup> النهايات ، عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية عشرة، بيروت.

<sup>٢</sup> الرواية العربية ، روجر آلن ، ترجمة : حصة ابراهيم المنيف، مجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٧ .

<sup>٣</sup> فيصل دراج، النقف الديمقراطي وسياسة الكتابة، بدايات ، العدد ١٠ ، شتاء ٢٠١٥ .

## أهداف مجلة الصباح للبحوث وشروط نشرها

ترحب هذه المجلة بالبحوث المبتكرة ذات الصلة بأي مجال من المجالات الأدبية واللغوية والنقدية والتربوية والثقافية والفنية.

**أهداف المجلة**

- تقوم المجلة بنشر البحوث القيمة في حقول الآداب العربية في العالم.
- تهتم المجلة بنشر الدراسات في أي فضاء من علوم العربية من نحو بлагة وصرف وعروض.
- تعنى المجلة بنشر المقالات البحثية في الاتجاهات الأدبية وما إليها.
- تفضل المجلة بنشر المقالات المبتكرة في أي مادة من مواد الوسائل التعليمية النظرية للغة العربية للناطقين بها وبغيرها.

### شروط النشر

- أن تكون المقالة ذات القيمة البحثية العربية ولم يسبق نشرها في أي مجلة أخرى.
- أن يكون عدد الصفحات يتراوح ما بين ٨-٦ صفحات.
- أن تكون المقالة على منهجية البحث الأدبية العلمية في اعدادها وكتابتها من توثيق وهوامش وملحق ومصادر ومراجع.
- أن تكون المقالة مطبوعة مصححة على برنامج Microsoft Word في نوع خط Sakkal Majalla Arabic وحجمه ١٤.
- أن تشمل المقالة على كتابة عنوانها باسم كاتبها مع البريد الإلكتروني ورقم الهاتف والسيرة الذاتية الموجزة.
- أن ترقق المقالة ملخصا في حدود الصفحة بما فيه الكلمات المفتاحية وتحديد مشكلة البحث وأهداف الدراسة والمراجعة النقدية لما سبق وكتب عن الموضوع ووصف منهجية البحث والتحليل والنتائج.

### الملحوظة

- المقالات تخضع للتحكيم العلمي على نحو سري.
- المقالات التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات جذرية عليها تعاد إلى أصحابها والمقالات المرفوضة لا تعاد إلى أصحابها

## EDITORIAL BOARD

### **Advisory Board**

- Dr. Mohammed Basheer.K, Vice Chancellor, University of Calicut
- Dr. T.A. Abdul Majeed, Registrar, University of Calicut
- Prof. E.P. Imbichi Koya, Principal, Farook College
- Dr.C.P. Aboobacker, Former Head, P.G & Research Department of Arabic, Farook College
- Dr. Basheer Ahmed Jamali, Professor, Center for Arabic and African studies, JNU
- Dr. Habeebully Khan, Professor, Jamia Millia Islamia, New Delhi
- Dr. Sanahulla Nadvi, Aligarh Muslim University, Aligarh
- Dr. N.A.M Abdul Khadir, Honorary Professor, Department of Arabic, University of Calicut
- Dr. A.B. Moideen Kutty, Head, Department of Arabic, University of Calicut

### **CHIEF EDITOR**

**Dr. ALI NOUFAL. K**

Asst. Professor & Head, P.G & Research Department of Arabic, Farook College

### **EDITOR**

**Dr. ABBAS.K.P**

Asst. Professor, P.G & Research Department of Arabic, Farook College

### **MEMBERS**

- Dr. Yunoos Salim, Asst. Professor
- Dr. Sajith E.K, Asst. Professor
- Dr. Abdul Majeed.T, Asst. Professor
- Dr. Muhammed Abid U.P, Asst. Professor
- Dr. Abdul Jaleel. M, Asst. Professor
- Mr. Sageer Ali. T.P, Asst. Professor

◊ Please note that all correspondence to be addressed to:

**Editor,**

Majallath Al Sabah Lil Buhooth,P.G & Research Department of Arabic,  
Farook College, Farook College (PO) Calicut Dt., Kerala, India, 673632  
Email: [majallathalsabah@gmail.com](mailto:majallathalsabah@gmail.com)  
[hodarabic@farookcollege.ac.in](mailto:hodarabic@farookcollege.ac.in)

**Website:** [www.farookcollege.ac.in](http://www.farookcollege.ac.in)

Phone : 0495 2440660 Fax: 0495 2440464

⇒ Copyright rests with the authors of the respective papers, who alone are responsible for the contents and views expressed

Published by: P.G & Research Department of Arabic,Farook College

Printers : A-One Offset – 0495 2442934